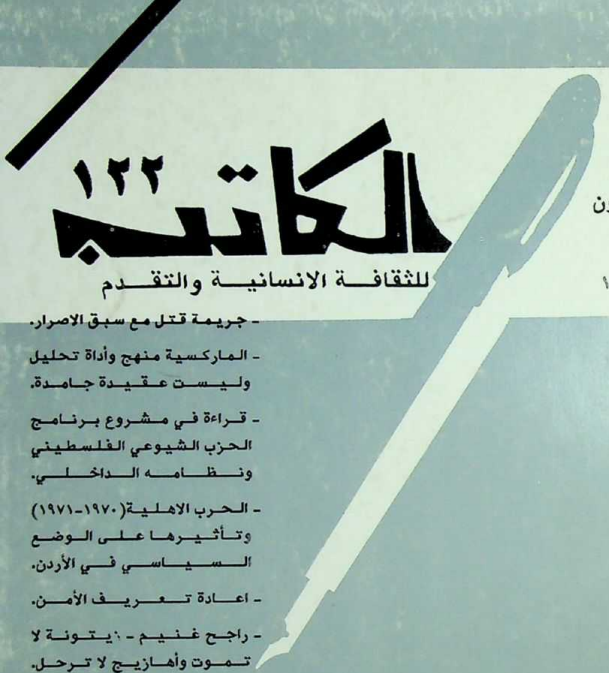

• شاقل

العدد

الثاني والعشرون

بعد المئة

حزيران ١٩٩٠

الكاتب ١٢٢

للثقافة الانسانية والتقدم

- جريمة قتل مع سبق الاصرار.
- الماركسية منهج وأداة تحليل وليست عقيدة جامدة.
- قراءة في مشروع برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني ونظامه الداخلي.
- الحرب الاهلية (١٩٧٠-١٩٧١) وتأثيرها على الوضع السياسي في الأردن.
- اعادة تعريف الأمن.
- راجح غنيم - زيتونة لا تموت وأهازيج لا ترحل.
- الرواية الفلسطينية اواخر الثمانينات الحياة - الثورة - الخروج - المصير.
- مسرحية «القميص المسروق» بين التغريب والتجريب.
- ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية.

لتكف المجزرة اليومية المستمرة

ضد شعبنا العربي الفلسطيني.

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

● الساعة ٦,٣٠ صباحا ـ عند «مفرق الورود» قرب ريشون لتسيون (الأحد ـ ٩٠/٥/٢٠).

(تصوير: تسفي فريدمان. خاص بـ «الاتحاد» ـ يافا ـ تل ابيب)

122

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

القدس - هاتف: ٠٢/٨٥٦٩٣١ - ص.ب: ٢٠٤٨٩

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٦٠	٧٥
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (١٢٢) حزيران ١٩٩٠ - السنة العاشرة No. (122) June 1990

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

سياسة

٤	«لتكف المجزرة اليومية المستمرة ضد شعبنا العربي الفلسطيني.	أسعد الأسعد
٧	جريمة قتل مع سبق الاصرار.	منير سلام
١٠	قائمة بأسماء شهداء الشهر الثلاثين للانتفاضة.	الكاتب

دراسات وأبحاث ومداخلات

١٣	الماركسية منهج وأداة تحليل وليست عقيدة جامدة.	بسام الصالحي
١٨	قراءة في مشروع برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني ونظامه الداخلي.	تيسير العاروري
٢٨	الحرب الأهلية (١٩٧٠-١٩٧١) وتأثيرها على الوضع السياسي في الأردن.	د. محمد شحادة
٤٥	اعادة تعريف الأمن.	جسيكا توخمان ماثيوز ترجمة: فيصل أبو السكن.
٥٥	راجح غنيم: زيتونة لا تموت وأهازيج لا ترحل.	أسعد الأسعد

أدب

٥٨	الرواية الفلسطينية أواخر الثمانينات الحياة - الثورة - الخروج - المصير.	د. حسام الخطيب

Digitized by Birzeit University Library

الآراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير.

فنون

٧١	مسرحية «القميص المسروق» بين التغريب والتجريب.	أكرم المالكي

قصة

٧٧	رحلة نحو المستقبل.	عمر ابو عقاب
٨٠	قصص قصيرة جدا.	تيسير عبد العزيز

شعر

٨٣	خاطرة تعب.	المتوكل طه.
٨٥	دع المساء الخريفي، ينسكب في فجوات العيون المتعبة.	محمد رشاد محاميد
٨٧	ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية.	

Digitized by Birzeit University Library

عضو الكنيست توفيق زياد

« لتكف المجزرة اليومية المستمرة ضد شعبنا العربي الفلسطيني »

أسعد الاسعد

مع صدور هذا العدد من مجلة «الكاتب» تكون الانتفاضة قد اكملت شهرها الثلاثين، دفع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين خلالها ثمنا باهظا، من دم ابنائه وبناته، حيث استشهد اكثر من تسعمئة شهيد، من بينهم اطفال وشيوخ، بالاضافة الى عشرات الاف الجرحى، واعتقل اضعاف ذلك وهدمت مئات البيوت، وابعد العشرات، وضرب الاقتصاد الفلسطيني، جراء الاجراءات الاسرائيلية المختلفة، وتتزامن هذه المناسبة، مع مرور ثلاثة وعشرين عاما على احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان، معمدة بسيل من التضحيات الفلسطينية. يصعب حصرها في مقالة سريعة، لا تستهدف البحث في تفاصيل ما جرى ويجري بقدر ما تطمح الى التنويه بعظمة هذا الشعب، وهو يزداد يوما بعد يوم، اصرارا وتمسكا بحقه الوطني في تقرير المصير، وانهاء الاحتلال البغيض، دون ان تفت الاجراءات والممارسات الاسرائيلية من عزيمته، ودون ان يكون لهذه الاجراءات والممارسات من تأثير سوى رفع درجة حرارته، وتصميمه على نيل حقوقه، مهما بلغت التضحيات، ولعل الذي يجري منذ ثلاثين شهرا، يؤكد هذا الاصرار والتصميم.

ان ما حدث في ريشون ليتسيون، صباح يوم الاحد ٩٠/٥/٢٠ من اعتداء احد المهووسين العنصريين على العمال العرب، والذي ادى الى استشهاد ثمانية منهم وجرح ثمانية آخرين. ومن ثم استشهاد ثمانية من المواطنين، على ايدي الجيش الاسرائيلي وجرح مئات آخرين وفي نفس يوم الاحد الاسود ذاك، رغم مأساويته، فانه يؤكد استحالة استتباب الامن واقرار السلام، بغير الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في العيش بسلام، وتمكينه من تقرير مصيره، وبناء حياته، وقد أكدت ذلك، الاحداث التي اعقبت ذلك، وارتفاع درجة حرارة المناطق المحتلة الى حد الغليان، بشكل أعاد الانتفاضة وحرارتها الى وضع دفع بعض الصحفيين والمراقبين الأجانب الى اعتبار يوم الاحد ٩٠/٥/٢٠، بداية «انتفاضة جديدة».

Digitized by Birzeit University Library

ولا اظن انني بحاجة الى الدخول في نقاش جنون الارهابي المجنون - عامي بوبر - اذ ان الشرطة الاسرائيلية قالت انه «مجنون» - والفاعلون دائما كذلك -. ولكن قتل ثمانية اخرين على ايدي الجيش الاسرائيلي في نفس اليوم، وجرح اكثر من خمسمئة اخرين، كيف يمكن تبريره، بل كيف يمكن تبرير قتل اكثر من تسعمئة فلسطيني خلال ثلاثين شهرا؟!!.

ان ما حدث في ريشون ليتسيون. يجب ان يستوقف المسؤولين الاسرائيليين، وعلى رأسهم حكومة اسرائيل، ويستنهض القوى الديمقراطية، بل والشارع الاسرائيلي برمته. فالسياسة الاسرائيلية، ومواقفها تجاه الشعب الفلسطيني، وقضية السلام. والتي أدت الى استمرار الاحتلال، ونهوض التطرف والشوفينية، هي المسؤولة على وقوع هذا الحادث المأساوي وغيره من الحوادث اليومية. طالما بقي الاحتلال، وطالما بقيت السياسة الاسرائيلية على ما هي عليه.

لقد ارتفعت اصوات كثيرة داخل اسرائيل نفسها، تلقى اللوم على السياسة الاسرائيلية نفسها، وتسببها في وقوع الحادث الارهابي المأساوي، ضد العمال العرب العزل في ريشون ليتسيون، ولعل ابلغ ما قيل في هذا الصدد، بيان عضو الكنيست عن كتلة حداش ، توفيق زياد حيث جاء فيه «ان الادعاء بأن المجرم مريض نفسي، هو تبرير للمجزرة» واضاف النائب توفيق زياد «ان مثل هذا التفسير، اصبح منذ زمن طويل، اسلوبا مرفوضا لتبرير الكثير من الجرائم التي ترتكب ضد شعبنا في المناطق المحتلة. واضاف «ان قوات الاحتلال، قامت مباشرة بعد هذه الجريمة الرهيبة بأكمالها بجريمة رهيبة، اخرى، عندما قامت بفرض منع التجول، وباطلاق الرصاص على المتظاهرين احتجاجا في غزة ورفح والضفة فقتلت عددا منهم».

وجاء في البيان الذي اصدره زياد، في اعقاب انتشار نبأ المجزرة: «اننا نحمل المسؤولية كاملة للحكومة ووزرائها وسلطات الاحتلال والمدافعين عنه. ان القمع الاحتلالي الدموي اليومي، والذي اشتد مع انتفاضة الشعب الفلسطيني، هو مجزرة جماعية ضد شعب بأكمله. اما جرائم القتل والاعتداءات الدموية التي يرتكبها سوائب المستوطنين والعنصريين على مختلف اشكالهم، افرادا وجماعات، فهي تتغذى من هذه السياسة الرسمية وتتم بتشجيع منها. وتمضي دائما بدون عقاب. وهذه السياسة الرسمية نفسها، التي تحلل كل الجرائم المحرمة انسانيا وقانونيا، هي نفسها لا غيرها التي تدمر نفسية الدولة بأكملها ونفسية الشعب الاسرائيلي، وتدمر حاضره ومستقبله وتدمغه بالجريمة والعار القومي والانساني».

واضاف البيان: «لقد آن الاوان ان يفهم هؤلاء الحكام والقيادات السياسية الاساسية في هذه الدولة بانه لا يمكن ولا بأي حال القضاء على الانتفاضة الفلسطينية الباسلة واخماد شعلة الحرية المتقدة في صدر هذا الشعب البطل. وان الطريق للسلام العادل يمر عبر الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة بقيادة ممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية. وان على هؤلاء القادة ان يتعظوا بما جرى لمحتلين سبقوهم. وكانوا اقوى منهم بما لا يقاس. فلم يجلبوا غير الدمار لشعبهم نفسه. ان شعبنا لن يمر مر الكرام على هذه الجريمة الرهيبة. وجميع هيئاته الاهلية ومؤسساته ولجانه القطرية والشعبية تتنادى لاعمال الاحتجاج الشعبية الواسعة التي تتناسب مع بشاعة

Digitized by Birzeit University Library

الجريمة».

واختتم البيان بالنداء: «ليكف القتل الاحتلالي. ليكف القمع الاحتلالي. لتكف المجزرة اليومية المستمرة طيلة الوقت ضد شعبنا العربي الفلسطيني. ليكف هدم البيوت والابعاد والاستيطان. ليطلق سراح سجناء الحرية. ولتذهب الى الجحيم هذه الحكومة الملطخة ايديها بالدماء البريئة».

وليعذرني القارىء وليفهمني لاني اتكأت كثيرا في مقالتي هذه، على تصريحات النائب الجبهوي، عضو الكنيست توفيق زياد، اذ ان للضرورة احكام.

يوسي سريد

طابور تشخيص

هذا هو نص المقطوعة النثرية التي ناولها عضو الكنيست يوسي سريد لمراسل الاتحاد في القدس حين سأله الاخير عن رد فعله على مجزرة ريشون ليتسيون خلال اشتراكه، في مظاهرة «سلام الان» في القدس. وقد قال سريد لمراسل الاتحاد:«هذا كل ما لدي الان»!

اذن، لدينا الان مختل آخر،
مختل آخر مناوب،
لان المهرب الاخير لنا من الجنون هو في هذا الجنون،
ما من شخص يستطيع الهرب او الاختباء،
ليقف في طابور التشخيص:
كل من دعا الى الترانسفير
وكل من صور كل انسان عربي على انه حيوان - انساني
وكل من ناداهم «قذرون» في اللاسكلي
وكل من فرض عقوبات مضحكة على قتلة العرب
وكل من وقع صفقات ادعاء مع هؤلاء القتلة
وكل من منحهم العفو
وكل من أبدى تفهما لدوافعهم
وكل من قال -«خسارة انك لم تفز بالقتل»،
وكل من قال -«هذا ليس وقتنا للتفكير وانما وقت
اطلاق النار، ذات اليمين وذات اليسار»
وكل من لم ينطق وصمت: طابور طويل من رجالات الدولة
والجيش والقضاء والاكاديمية والدين
والضحايا تمر من امام الطابور وتتعرف عليهم واحدا واحدا -
حسب الصوت وحسب اليدين -
انت وانت وانت وانت، ايضا

Digitized by Birzeit University Library

جريمة قتل

مع سبق الاصرار

منير سلام

« حتى لو نظرنا الى القضية كلها كجريمة قتل، فان الجريمة ليست مجرد اطلاق رصاصة، ولكنها ملابسات ومقدمات ودوافع وتحريض وتخطيط وتدبير، وحكايات طويلة عريضة».

محمد حسنين هيكل*

الجريمة البشعة التي ارتكبها سفاح اسرائيلي يوم الاحد ١٩٩٠/٥/٢٠ اثارت موجة صاخبة من الغضب الشعبي العارم في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين بالاضافة الى الجماهير العربية في اسرائيل، وما لبثت ان امتدت الى الاردن وبعض الدول العربية المجاورة. كذلك اثارت هذه الجريمة النكراء بحق عمال فلسطينيين يبحثون عن لقمة عيش لهم ولأبنائهم ردود فعل عنيفة على المستوى العالمي، واصبح الجميع يشير باصبع الاتهام الى الحكومة الاسرائيلية عما حدث.

وحتى تبرىء الحكومة الاسرائيلية نفسها من هذه المسؤولية، باشرت بسرعة وعلى لسان جميع قادتها من الرئيس الى اصغر مسؤول حكومي، بالاعلان عن ان مرتكب الجريمة انسان مختل العقل، ومجنون، حيث لم يتردد احد منهم بوصفه غير اوصاف الجنون.

فهل كانت هذه الجريمة مجرد اطلاق رصاص - كما يقول محمد حسنين هيكل - ام انها كانت عملية مخططة ومدبرة بشكل جيد؟ واذا كانت كذلك، فهل يكون ادعاء المسؤولين

* من كتاب خريف الغضب. الطبعة الأولى (في مصر) مؤسسة الأهرام، ١٩٨٨، ص ٤٧٣.

Digitized by Birzeit University Library

الاسرائيليين عن جنون القاتل صحيح وصادق؟!!! أقرب المقربين الى المجرم نفسه وهي والدته صرحت في حديث مع اذاعة الجيش يوم السبت ١٩٩٠/٥/٢٦ ان ابنها ليس مجنونا ولا يعاني من اي مرض نفسي وانه، على العكس، يتمتع بعقل سليم وبذكاء ملموس، ورفضت بشدة، ولثلاث مرات في الحديث نفسه، اية محاولة لاظهاره مجنونا او غير مسؤول عن تصرفاته.

أليس تصرف المجرم نفسه ما يؤكد قول والدته، حيث قام المجرم بتدقيق هويات العمال للتأكد من عدم وجود اي يهودي بينهم. وبذلك يكون هذا ردا عمليا على زيف ادعاء الحكومة الاسرائيلية بأنه رجل معتوه ومجنون ويعاني من مرض نفسي. ومما يؤكد بطلان هذا الادعاء ايضا ما كشفت عنه صحيفة «يديعوت احرونوت» الاسرائيلية يوم ٥/٢٥ بأن عامي بوبر ليس غريبا عن منظمة المستوطنين المسماة بـ «دولة يهودا» حيث قال أحد العاملين في هذه المنظمة عبر محادثة هاتفية ذاكرا فيها اسم المجرم حرفيا «ان هذا الاسم ظهر على قصاصة ورق كأحد النشطاء الذين طلبوا الانضمام الى منظمة «دولة يهودا» وقمنا بتسجيل عناوينهم». ومضت الصحيفة تقول ان احدى الشخصيات المعروفة في حركة «كاخ» العنصرية قال «ان الجاني مقرب لحركة «كاخ» وانه شارك في عدة نشاطات للحركة في ريشون ليتسيون.

ان الحقد والكراهية والتحريض والسموم العنصرية التي تنفثها الاحزاب الصهيونية اليمينية المتطرفة بين الاسرائيليين تجاه المواطنين العرب يخلق المقدمات والدوافع لارتكاب مجازر اخرى على غرار مجزرة ريشون اليتسون، وهذا ما كشفت عنه صحيفة «معاريف» يوم الجمعة ٥/٢٥ بأن أحد اصدقاء مرتكب الجريمة تفوه بأقوال تشير الى انه ينوي القيام بما قام به صديقه، وبأنه سوف يحصل على قنابل يدوية من أجل تنفيذ المهمة وذلك لكي «يحظى بشهرة كتلك التي حظى بها صديقه في وسائل الاعلام».

ان هول وفظاعة الجريمة استدعت جميع الاحزاب الاسرائلية استنكارها ولو ظاهريا، ولكن في السر والخفاء زادت من التحريض على العرب، واسطع مثالٌ على ذلك كان عضو الكنيست صاحب فكرة الترانسفير الجماعي رحبعام زئيفي كتلة موليدت - حين قال في لجنة الخارجية والأمن «ان عقلية العربي تستوجب «الضرب على الرأس» وبدون هذا الضرب لا يمكن حل اي شيء».

بهذه الوقاحة وبهذه العنصرية المنفلتة من عقالها يجري التحريض على العرب، وقال احد شهود عيان المجزرة «بدلا من اسعاف الجرحى قامت الشرطة بمطاردتنا وضربنا بالهروات، حيث ادخلونا الى الباصات».

اذا كانت الشرطة قد تصرفت على هذا النحو، فكيف سيكون تصرفها في حال نجاح زئيفي باستلام وزارة الشرطة، كما يفاوض عليه شامير اليوم؟!!!.

ان هذه المقدمات والدوافع والتحريض تصبح بحد ذاتها جريمة قتل مستمرة ويومية، وتصبح بحاجة دائما وأبدا الى التخطيط والتدبير، وما ممارسات الاحتلال نفسه الا تأكيدا على ذلك، والا ماذا يعني قتل ثمانية شهداء آخرين في نفس يوم المجزرة، بحيث أصبح هذا اليوم يسمى يوم الأحد الدامي/الأسود؟!! وماذا يعني ايضا حظر التجول على أكثر من مليون

Digitized by Birzeit University Library

شخص لمدة اسبوع، محرومين من بعض المواد الغذائية الرئيسية وخاصة لحليب الأطفال، بالاضافة الى المواد الطبية؟!! انها حكايات طويلة عريضة، وتاريخ النزاع الاسرائيلي - العربي مليء بهذه الحكايات، وإزدادت بشكل ملحوظ في فترة الثلاثين شهرا الماضية، حيث اصبح العالم كله شاهدا على هذه الحكايات، وفي محاولة منه لوضع حد لها، بحث مجلس الامن الدولي هذه الحكايات الطويلة والعريضة، ويحاول العالم كله جاهدا ان يضع حلولا مناسبة لها، ولكن اصحابها شنوا هجوما عنيفا على العالم بأجمعه ممثلا بالأمم المتحدة، حيث أصبح هذا العالم كله مجنونا ولا ساميا في نظرهم. وبدت صيحات اصحاب الحكايات كمن يصرخ في الوادي وكالغريق الذي يمسك بالقشة.

ان العالم وهو يراقب ما يجري في الأراضي المحتلة منذ ثلاثين شهرا، لا بد وأن يخرج عن طوره، ويضع حدا نهائيا لانتهاكات حقوق الانسان، وهذا منوط وقبل كل شيء آخر، بالزعماء العرب، المجتمعين اليوم في بغداد، واضعين كل قدرات بلادهم السياسية والاقتصادية والمالية ايضا في خدمة القضية الفلسطينية، وفي الضغط على الولايات المتحدة للقبول بما يراه العالم كله، بأن السلام العادل والشامل يمكن أن يكون عبر المؤتمر الدولي الخاص بالشرق الاوسط، وفي حالة عدم المتابعة والسعي الجاد لتنفيذ قرارات القمة العربية المنعقدة، يعني ان الزعماء العرب يريدون لهذه الحكايات ان تطول أكثر فأكثر، وهذا ما لا تريده شعوبهم ولن تقبل به أبدا.

****

اتصالات بين الليكود ورابين "من تحت الطاولة"!

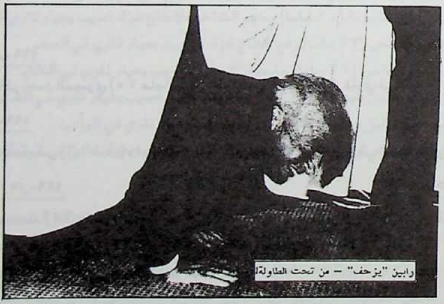

رابين "يزحف" – من تحت الطاولة!

Digitized by Birzeit University Library

قائمة بأسماء شهداء الشهر الثلاثين للانتفاضة

على مذبح الحرية والاستقلال، لا يزال الشعب الفلسطيني يقدم الشهيد تلو الشهيد، بالاضافة الى آلاف المعتقلين والجرحى. يوم ٢٠/ ٥ إرتكبت أروع وأفظع جريمة بشعة بحق العمال الفلسطينيين أدت الى استشهاد ثمانية شهداء وجرح عشرة آخرين، وأكملت سلطات الاحتلال هذه الجريمة بجريمة أخرى أدت الى استشهاد سبعة شهداء وجرح أكثر من ٧٠٠ جريح في قطاع غزة لوحده.

ومع صدور هذا العدد من المجلة، تكون الانتفاضة الشعبية الفلسطينية قد أنهت عامين ونصف بالتمام والكمال قدم فيها الشعب الفلسطيني مئات الشهداء بالاضافة الى عشرات الآلاف من الجرحى والمعتقلين.

وخلال الشهر الماضي - الشهر الثلاثون للانتفاضة - سقط (٤٢) شهيدا وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة حتى ٣١ أيار ١٩٩٠ (٨٩٧) شهيدا.

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر الثلاثون للانتفاضة:-

الأربعاء ١٩٩٠/٥/٢

- عبد اللطيف مصطفى سليم السقا (٢٢ عاما) خانيونس/قطاع غزة. اصيب بعيار ناري في صدره.

السبت ١٩٩٠/٥/٥

- محمد شاكر احمد المصري (٢٥ عاما) مخيم طولكرم. اصيب بعيار ناري في قلبه.

الأحد ١٩٩٠/٥/٦

- محمد خالد موسى (١٦ عاما) رفح/قطاع غزة. أصيب بعيارين ناريين في الصدر والرقبة.

الخميس ١٩٩٠/٥/١٠

- فايز محمد حمد (٢٤ عاما) بلدة بيت حانون/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري اخترق قلبه.
- زياد حجازي علي الرجبي (١٤ عاما) الخليل. اصيب بعدة رصاصات في الرأس.

الجمعة ١٩٩٠/٥/١١

- محمد محمود حمد علان «ابو سمرة» (١٨ عاما) قرية يطا/الخليل. اصيب على يد أحد

Digitized by Birzeit University Library

المتعاونين مع الاحتلال.

- وفاء عبد الهادي سليمان عجاج (٥ أعوام) قرية دير جرير/رام الله دهستها سيارة عسكرية.

- محمود زيدان محمود أبو عياش (٣٠ عاما) قرية بيت أمر/الخليل. رشقت سيارته بالحجارة من قبل المستوطنين مما أدى الى انقلاب سيارته.

الثلاثاء ١٥/٥/١٩٩٠

- سميح عاهد ابو الشيخ (١٤ عاما) قلقيلة. اصيبا برصاصة في رأسه على يد احد المستوطنين يوم الاحد ١٣/٥.

الخميس ١٧/٥/١٩٩٠

- محمد فتحي يونس ابو زينة (٤٦ عاما) الخليل. متأثرا بالغاز

الجمعة ١٨/٥/١٩٩٠

- عصام سليمان عبد النبي المغربي (١٣ عاما) مخيم بلاطة/نابلس. اصيب بعيار ناري في الرأس.

الأحد ٢٠/٥/١٩٩٠ (يوم الأحد الدامي/الاسود).

سقطوا في مجزرة ريشون ليتسيون

- زياد زيدان عبد المجيد العمور (٣٢ عاما) خانيونس
- عبد الرحيم محمود بركة (٤٣ عاما) بني سهيلة.
- زياد عمر سويعد (٢١ عاما) رفح
- عمر حماد أحمد الدهليز (٢٨ عاما) رفح
- سليمان عبد الرازق ابو عنزة (٢٢ عاما) خانيونس
- يوسف ابراهيم منصور ابو دقة (٣٣ عاما) بني سهيلة.
- عماد محمود سالم بركات (٤٣ عاما) غزة.
- زكي محمد حمدان قديح (٣٨ عاما) عبسان الكبيرة.

- موسى ابراهيم حسونة (٣٠ عاما) مخيم الشاطىء/قطاع غزة. اصيب بعيار ناري في الرأس
- شفاء نعيم الهمص (٢٣ عاما) رفح/قطاع غزة. اصيبت بعيار ناري في الصدر
- علي محمود زماعرة (٢١ عاما) حلحول/الخليل. اصيب بعيار ناري في الصدر
- حسام عبد الرحمن عبد الله نزال (١٣ عاما) قباطين. اصيب بعيار ناري في الصدر.
- اياد اسماعيل خليل صقر (١٨ عاما) رفح. اصيب بعيار ناري في الرأس.
- وائل محمد البدرساوي (٢٠ عاما) مخيم الشاطىء. اصيب بعيار ناري في الرقبة.

الأثنين ٢١/٥/١٩٩٠

- عماد احمد سلامة العثامنة (٢٠ عاما) حي الشابورة في رفح/قطاع غزة. اصيب برصاصة في عنقه.

- صفية سليمان جرغون (٥٥ عاما) مخيم خانيونس/قطاع غزة. كادت تختنق من كثافة الغاز الذي القى داخل منزلها، فخرجت من المنزل محاولة استنشاق بعض الهواء النقي، فأصيبت برصاصة قاتلة اخترقت كتفها واستقرت في الصدر.

Digitized by Birzeit University Library

- منال سليمان الديري (١٦ عاما) حي الصبرة/غزة. اصيبت برصاصة في رأسها.
- رسمية علي عطا الله (٥٥ عاما) حي الدرج/ غزة.

الثلاثاء ١٩٩٠/٥/٢٢

- ناجي ابراهيم موسى ابو سبلة (٢١ عاما) مخيم البرازيل/رفح. اصيب برصاصة مستوطن في رأسه يوم أمس.
- احمد جميل احمد مصبح (١٨ عاما) حي الرمال/غزة. اصيب بعيار ناري اخترق صدره.
- سامح عطا الله علي ابو شهب (٢٠ عاما) بني سهيلة/ قطاع غزة.
- غالب جودة حسن زلوم (٤٤ عاما) الخليل. تعرض للضرب المبرح من قبل الجنود.

الأربعاء ١٩٩٠/٥/٢٣

- مصطفى عوض العجم (٨ أعوام) بني سهيلة/قطاع غزة. اصيب برصاصة قاتلة اخترقت رأسه ومزقت دماغه.

الخميس ١٩٩٠/٥/٢٤

- محمد سمير الحلحولي (١٥ عاما) قرية قبية/رام الله. اصيب برصاصة قاتلة في رأسه.
- محمد عبد احمد مشعل شقيرات (٤٦ عاما) جبل المكبر/القدس. متأثرا بالغاز.

الجمعة ١٩٩٠/٥/٢٥

- يوسف كامل عاشور (٢٢ عاما) حي الزيتون/غزة. طاردته قوات الجيش فأصيب بالاعياء الشديد والاجهاد، حيث كان الشهيد يعاني من مرض بقلبه.

الاحد ١٩٩٠/٥/٢٧

- اياد محمد ابراهيم ايو دياب (١٧ عاما) مخيم دير البلح/قطاع غزة. اصيب بعيار ناري في صدره.

الاثنين ١٩٩٠/٥/٢٨

- حماد عزام غانم (شهران) قرية سلوان/القدس. متأثرا بالغاز

الثلاثاء ١٩٩٠/٥/٢٩

- بدور سميح قرادة (٤٢ عاما). نابلس أصيب بعيار ناري في الرأس.

الخميس ١٩٩٠/٥/٣١

- عادل الدين محمود ابراهيم ذيب (١٩ عاما) قباطية/جنين. اصيب بعيار ناري في الصدر على يد احد المتعاونين مع سلطات الاحتلال.
- طالب حسن عبد الله سروجي (١٤ عاما) مخيم طولكرم. اصيب بعيار ناري في الصدر.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء .

Digitized by Birzeit University Library

الماركسية منهج واداة تحليل وليست عقيدة جامدة

بسام الصالحي

تثير القضايا الجديدة، التي طرحها واقع بلدان اوروبا الشرقية، وانعكاساته المتعددة على ساحة النظرية والتطبيق الاشتراكيين، العديد من التساؤلات والاستنتاجات المتفاوتة تبعا للمنطلقات والرغبات التي يشكلها اصحابها.

ولعل من اهم التساؤلات واكثرها جدية، هو ذاك المرتبط باسس التفكير الماركسي والاشتراكية العلمية، ومدى واقعية الغاية السامية للانسان وللطبقات المسحوقة في تحقيق مجتمع جدي، خال من الاستغلال بمختلف اشكاله وقادر على المحافظة على مستوى متطور من التقدم الاقتصادي والاجتماعي، وديموقراطية واسعة، وذلك عبر توفير متطلبات التطبيق الكفيلة بتحقيق هذه الغايات الانسانية السامية.

لقد تفاوتت ردود الفعل في بلادنا، حول هذه القضايا، وارتسمت عبر اتجاهات عدة يمكن تصنيفها على النحو التالي:

١- اتجاه اذهلته المعطيات الجديدة، والوقائع التي عايشتها بلدان اوروبا الشرقية، وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي، وحطمت من امام ناظريه نموذج البناء الاكثر رقيا للمستقبل الانساني، وللاشتراكية، وتادته اما الى محاولة التنصل من افكاره والتراجع عنها بسرعة وبطريقة مرتجلة، او التمسك بصورة جامدة

Digitized by Birzeit University Library

بالافكار والانطباعات السابقة، او مقاومة فهم الجديد رغبة في المحافظ على الجانب المشرق فقط من صورة البنيان الاشتراكي، واملا في انقشاع هذه الزوبعة وعودة الاشياء الى سابق عهدها وبالتوافق مع رغباته وامنياته.

٢- الاتجاه المعادي رسميا وفعليا للاشتراكية، والذي ما انفك عن مهاجمتها والتشكيك فيها، من منطلقات طبقية او عقائدية معينة، فاتخذ من الاحداث العاصفة برهانا اكيدا على توجهاته المعادية، واستخدمها للترويج لانهيار الاشتراكية وفشلها التاريخي، مسقطا عن عمد كافة المظاهر الايجابية، التي حملتها الاشتراكية، ومؤكدا العناصر السلبية، فقط في ممارستها.

وقد حاول هذا الاتجاه النفاذ الى الغاء قانون الصراع الطبقي، والتأكد من مصداقية الملكية الخاصة، او التصورات الدينية كأساس للنظام الاجتماعي والسياسي الافضل وقد تناسى هذا الاتجاه عامدا نواحي القصور والنقص الهائلة في المجتمعات الرأسمالية، او التجارب السابقة والراهنة في استخدام الدين من اجل ترسيخ سلوك سياسي واجتماعي معين، وانعكاسات ذلك الفكرية والاجتماعية والسياسية والتي يحفل تاريخنا العربي بالكثير منها.

٣- اما الاتجاه الثالث، فيحاول رؤية الجديد وهضمه، في اطار المنهج الماركسي العام. والذي يستلزم بصورة واضحة رؤية الجديد دوما، وتحقيق القراءة الموضوعية، لعناصر القوة والنجاح في الاشتراكية، وعوامل الضعف ايضا. وبعبارة اخرى استنباط مكان الاخطاء الكبرى سواء في النظرية الماركسية، او تطبيقاتها الملموسة، وصولا الى اعادة صياغة جديدة للمبنى النظري العام للفكر الماركسي، ومن اجل النضال في سبيل تحقيق المثل والاهداف الانسانية، السامية، للاشتراكية، دون التقيد بنموذج كشكل ملزم للبناء الاشتراكي.

ومها تكن مكابرة، محاولات الماركسيين في بلادنا على اختلاف انتماءاتهم السياسية، لتجاوز الحقائق الجديدة في النظر الى القضايا المعاصرة، وفي مقدمتها معالجة قضايا واقعنا الاجتماعي والسياسي الخاص. وبالقدر الذي يسهم فيه هؤلاء باعادة القراءة النقدية لمنهجهم، بالقدر الذي يقدمون فيه خدمة كبرى للمنهج الماركسي نفسه، كاداة تحليل اجتماعي متطورة، وذات حيوية متميزة، وبالقدر الذي يقدمون من خلاله فعلا لترسيخ الاهداف العادلة لنضال المجتمع، وطبقاته المسحوقة، وفي مقدمتها الطبقة العاملة، من اجل انجاز فعل الاشتراكية في التحرر والعدالة والاجتماعية، والتقدم والديمقراطية.

ومن الضروري في هذا السياق، الانتباه الى التمييز بين الفهم العميق لاسس الماركسية ومنهجها الجدلي (الديالكتيكي)، وبين بعض الاستنتاجات التي نجمت عن هذا المنهج، او الاشكال التي استخدم فيها، تبعا لظروف ومراحل تاريخية معينة اعاقت تقدمه وجمدته في مكان غير ملائم للتطور العميق للمعارف البشرية.

وفي هذا المجال، ينبغي ملاحظة واحدة من اهم سمات النظرية الماركسية، وهي اعتمادها على التبادل الحي للمعارف والمنجزات الفكرية والعلمية، وعدم حصر دورها في مد العلوم والمعارف الاخرى فقط، واعتبارها التجربة والتطبيق، مقياسا اساسيا لصحة استنتاجاتها وتصوراتها، ومن هنا فان المراجعة البسيطة لتطور الماركسية، ومنشأها الفكري والتاريخي، تدل على ارتباطها العميق بالعلوم وبمستوى تطور المعارف البشرية. ولقد كان من اهم تطور الماركسية، ترافقها مع تطور العلوم المعاصرة لها وبالاخص في مجال الطاقة، والخلية والوراثة، وبذلك فقد

Digitized by Birzeit University Library

تميزت الماركسية، بانسجامها مع حركة تطور العلوم ومنجزاتها. والى جانب ذلك فقد اغتنت الماركسية واستندت الى مصادر معرفية متنوعة، اعتبرت من خيرة منجزات الفكر البشري في ذلك الحين، سواء في الفلسفة - هيغل، فورباخ ....، او في الاقتصاد - ادم سميت، ريكاردو، او في ملامح الفكر الاشتراكي، - سيمون، فوريية ...الخ.

ولقد قدم ماركس ذات مرة وصفا لتطويره الكبير في استخدام النهج الديالكتيكي، في اعتباره ان الديالكتيك كان موجودا اساسا لدى هيغل، وان ماركس، لم يصنع سوى ايقافه على رجليه بعد ان كان واقفا على رأسه.

ان الاستفادة من تطور العلوم، ومن منجزات الفكر البشري، ومن الواقع الاجتماعي والاقتصادي السائد والجديد مع نمو وتطور الرأسمالية في حينه، كل ذلك مجتمعا، سمح لكل من ماركس وانجلس، بصياغة رؤيتهما لتطور المجتمع، الطبقي، والاهم لصياغة منهج علمي متطور، كفؤ وقادر على دراسة الظواهر الاجتماعية وتحليلها، واستيعابها بطريقة علمية، ذات مضمون طبقي ينسجم مع الاهداف العادلة والغايات السامية التي ناضلت من اجلها قوى وطبقات اجتماعية كثيرة عبر مراحل التاريخ المختلفة، ولاتزال، وتجلت بتصورات نظرية غير متكاملة او حالمة عبر عنها مفكرون وقادة سابقون لماركس وانجلس.

وفي سياق هذا - التبادل - الحي ان صح التعبير، اكتسبت الماركسية، واحدا من اهم شروط تطورها ومن مقومات قوتها كاداة تحليل علمي للمجتمع، ان هذه الحقيقة البسيطة والمعروفة في آن واحد، وبالدرجة الاولى لكل الماركسيين، هي نفسها التي املت تحذيرات ماركس وانجلس، ولينين لاحقا من تحويل الماركسية الى عقيدة جامدة، الى تعاليم دقيقة، الى شيء مقدس. ولقد كانت هذه التحذيرات في مكانها، وان لم تمنع من الوقوع في الخطيئة التي جرى التحذير منها. لقد كان التلاؤم مع التحذيرات العلمية المشار اليها، يعني في الواقع ادراك الجوهر النظري والاسهام التاريخي للماركسية، في حقل المعرفة الاجتماعية، وهو في استنادها الى المنهج الجدلي(الديالكتيكي) في قراءة التاريخ والمجتمع وتطوره. وقد كان استخدام هذا المنهج (الديالكتيك) بثبات ومبدأية، يعني الاقرار بكافة الاستنتاجات (والرهيبة) احيانا التي قد يمليها هذا الاستخدام بغض النظر عن متطلبات الدعاية السياسية او الشعارات التكتيكية او التغاضي عن مشكلات الواقع الملموس. ان هذا النهج كان يتطلب رؤية الجديد دوما، والواقع بحركته وتراكماته، واخضاع الافكار والنظريات السائدة لاختبارات الحياة دائمة الحركة، ولهذا لم يكن مصادفة احجام كل من ماركس وانجلس عن اعطاء تصورات البناء الاشتراكي وتناقضاته واشكاله اللاحقة، بل انسجاما امينا مع منهجها، وكذلك الامر في التعديلات التي اجراها كل من ماركس وانجلس على رؤيتهما للمسائل المعاصرة لهما، ارتباطا بالواقع والتجربة الملموسة.

ان العبارة الشهيرة التي طالما رددها كل من ماركس وانجلس ولينين، حول الماركسية - بانها مرشدة للعمل وليست عقيدة جامدة. وان النظرية جافة اما شجرة المياه فخضراء دائما، تكتسب في ايامنا هذه قيمة فكرية علمية، بالغة الاهمية، وهي وحدها تشكل البوصلة التي نحتاجها من اجل فهم مجمل المبتكرات المحيطة بنا، ومن اجل اعادة صياغة الاشياء، باصالة علمية خلاقة.

وقد ترد في هذه السياق، مجموعة من التساؤلات الهامة، وان تكن بحاجة الى مزيد من التعمق والمعالجة، واولها هل كان من الصحيح، على المفكرين الماركسيين، معاملة كافة مؤلفات

Digitized by Birzeit University Library

واستنتاجات ماركس وانجلس او لينين، بنفس الدرجة من الدقة والالتزام حيالها؟ وهل كان من الضروري الحكم على افكار الاشتراكية بمختلف صنوفهم سابقا، قياسا الى مدى توافقهم مع استنتاجات ماركس في كافة الحقول، ام في الحقل العام للمنهج فقط؟

وقد نقترب من هذه المسألة اكثر، عندما نتناول اللينينية، فقد تميزت اسهامات لينين في انسجامها مع منهج ماركس (الجدلي) اولا وقبل كل شيء آخر، وتجلى ذلك لدى اعادة النظر في بعض استنتاجات ماركس حول تطور المجتمع الرأسمالي وازمته، مضافا اليها تحليل لينين للواقع الجديد الناشيء - الامبريالية، وبذلك فقد جرى الاسهام فعليا ليس فقط في اغناء الماركسية، وانما ايضا في تحديد شعارات عملية اكثر وضوحا وانسجاما مع الواقع امام نضال الحركة العمالية والاشتراكية، ونقل الى حيز التطبيق تجربة نجاح الثورة الاشتراكية وتجسيدها ماديا.

وبدون ادنى شك، فقد اعطت الاسهامات اللينينية زخما ومصداقية كبيرة للمنهج الماركسي وللاشتركية، عبر امانتها للمنهج قبل اي شي اخر، غير ان الامر المطروح للبحث الآن، يتلخص في مدى المثابرة على هذا المنهج، وبالتحديد منذ ايام انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية، واكتسابها اهميتها العالمية الواضحة، وبالتحديد في مجالي قوانين البناء الاشتراكي من جهة، وتشكل نموذج للتجربة الروسية كمقياس لمدى الارتباط بالماركسية، ولاعتماده - رغم كل التحذيرات النظرية - كقاعدة لنجاح الثوة الاشتراكية.

لقد اكتسبت كتابات لينين واسهاماته العملية، اهمية نظرية كبيرة قرنته بماركس، ولكن يجب التمييز هنا، وبكل دقة ايضا، بين نوعين من الاسهامات اللينينية، الاول فيما يتعلق بالجانب النظري العام لفكر ماركس، والذي مثله لينين من خلال استخدامه للمنجزات العلمية المعاصرة له واللاحقة لماركس في تثبيت علمية النظرية وترسيخها، وفي الدفاع عن هذا الجوهر للماركسية في وجه محاولات التشوية الكثيرة، اما الاسهام الاخر فيتلخص في استخدام المنهج كاداة للتحليل والمعرفة على واقع روسيا الخاص، فضلا عن العالم المعاصر له، وقد، كرس لينين جهده الاساسي، نظريا وعمليا من اجل فهم واقع روسيا وصياغة المهام المرتبطة بذلك، وفي جهده قدم اسهاما ضخما وخلاقا، للحركة الثورية الروسية والعالمية غير ان السؤال الذي يواجهنا هو: الى اي مدى تمت المثابرة لاحقا في التمييز بين متطلبات واقع روسيا الخاص وما عكسته تحليلات هذا الواقع واستنتاجاته، واشكال البناء الاشتراكي وغيرها، وبين تحويل القراءة النظرية لهذا الواقع الخاص الى نموذج عام بات مقرونا بالماركسية واحزابها وحركاتها، وبالنهج العام لها، والى اي مدى جرى الانتباه لاحقا الى التمييز بين المنهج وانعكاسات تطبيقه الخلاق - ثورة اكتوبر مثلا - وبين التطبيق واعتماده كوصفة يمكن ان تلائم البلدان الاخرى. وفي الواقع فانه منذ بدأ التعميم بما في ذلك في عهد الاممية الثالثة - الكومنترن لاحقا. فقد كانت كفة النموذج تتغلب على كفة النهج، وتكرس ذلك كله في المراحل اللاحقة لتطور الحزب الشيوعي السوفييتي، واشكالاته الملازمة لعبادة الشخصية، او الحرفية والتمسك بتصورات وقواعد شبه ثابتة لتطور المجتع ودفع المجتمع قسرا نحوها، بدل ملاحظة التجربة وتطور الاشكال كي تلائم مراحل تطور المجتمع نفسه.

وغني عن القول انه في مجرى هذه العملية بمجملها، تزايد تغليب احد جوانب - التبادل - الملازمة للفكر الماركسي، وهو جانب العطاء، واهمل جانب - الاخذ والاستفادة - مما سمح

Digitized by Birzeit University Library

بتجميد الماركسية، وابعادها عن منهجها، حيث لم تعد معارفها متطورة بانسجام مع تطور العلوم، وتطور التجربة الانسانية - الخضراء دائما - بل انحصرت في مجرى واحد، ادى الى ضعف تعاملها مع معطيات التطبيق الاشتراكي وافرازاته، ومع المنجزات المعاصرة للفكر البشري، وكذلك ايضا مع المرحلة المعاصرة من الرأسمالية، وقد ترافق ذلك كله مع انعكاسات مادية ملموسة، تجلت في المصاعب الاقتصادية، والسياسية، وفي بنية العلاقات الديمقراطية داخل الدولة والمجتمع ... الخ من هذه الظاهر التي يشار اليها كثيرا في هذه الايام، وكذلك فانه من الناحية المعرفية ايضا، جرى تحويل مجمل انتاج ماركس وانجلز ولينين، الى مقياس لصحة الاشياء والافكار والاحزاب والاشخاص ... الخ وبذلك عقد حشر الجوهر الابداعي للمنهج، في الاشكال والتصورات والاستنتاجات، وخلط بها، مما سمح بتأثر المنهج نفسه، وتكبيله.

وللحقيقة، فقد كان الامر كذلك، في بلادنا ايضا، متأثرا بالسمات العامة للظاهرة ومرتبطا بها، واذا ما كان للبيرسترويكا من تأثير مباشر على كافة الماركسيين، من اصحاب الاتجاه الثالث المشار اليه اعلاه، فانه يتلخص في دفعهم مجددا لاعتماد النهج ذاته، وليس نموذج معين له، او بالضرورة كافة استنتاجاته، واعتماد هذا المنهج بابداع من اجل معرفة الواقع الملموس لبلادنا، وصياغة المهام والشعارات على اساسه. وهكذا فان ما قد يبدو بسبب حملات التشويه وكأنه تراجع عن مفاهيم محددة للماركسية، او تخلي عن بعض جوانبها، هو في الواقع الملموس تمسكا اكثر بمنهجها العلمي، وطابعها الثوري، واعادة قراءة لها كما هي في حقيقتها، كمصدر متبادل - اخذ عطاء - وبالنسبة لنا حافزا اكبر من اجل قراءة ثورية اكثر اصالة بالارتباط بتاريخ شعوبنا وتراثها الفكري والحضاري، ومنصرا مساعدا على اغناء الفكر الماركسي وصوابيته، تساهم اكثر فاكثر على ترسيخ جذور منهجه في بلادنا. لقد تحقق في بلادنا الكثير نتيجة نضالات الشوعيين وانتشار الفكر الماركسي، واذا ما كان ذلك قد جاء نتيجة حفر في الصخر، بالاظافر، او بالادوات البسيطة، كما علق احد ابرز النقابيين العمال، فان الاوان قد آن من اجل استخدام آلة كهربائية ضخمة من اجل مواصلة هذا الحفر، وبعمق اكبر، وهذه الآلة حسب المنهج الماركسي الجدلي ذاته، فلنعطي مجتمعنا منهجية الماركسية، ولنغنيها من خبرة منجزاته الفكرية والتراثية الثورية الابداعية.

أسف وإعتذار

نقدم أسفنا واعتذارنا للزميل جميل السلحوت لعدم تمكننا من نشر مقالته « واقع التعليم في الاراضي المحتلة »، وذلك لاسباب خارجة عن ارادتنا

المحرر

Digitized by Birzeit University Library

قراءة في مشروع برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني ونظامه الداخلي

تيسير العاروري

لم تكن صدفة، ان تثير مشاريع الوثائق الجديدة للحزب الشيوعي الفلسطيني كل هذا الاهتمام، نقاشا وعرضا ونقدا، في الاوساط الفلسطينية خاصة، والعربية عامة، فهناك ما يكفي من الاسباب لذلك، سواء منها ما هو متعلق بالقضايا التي اثارتها الوثائق بشجاعة واصالة، او ما هو متعلق بذات الحزب الشيوعي الفلسطيني او بالخاص الفلسطيني او بتعطش العالم العربي ونضوج ظرفه لرياح التغيير او لغيرها من الاسباب، وهي لا شك كثيرة.

ان هدف هذه المساهمة في هذا النقاش الواسع، ليس بالطبع الرد على احد، ولا هو مناقشة كل ما هو جديد في مشروعي الوثيقتين اللتين وضعتهما ونشرتهما اللجنة المركزية للحزب، فذلك اوسع من ان يغطى في مقالة واحدة، وانما هو محاولة لالقاء المزيد من الضوء على بعض اهم القضايا التي طورتها هاتان الوثيقتان، وفي مقدمة هذا العرض اجد انه من المفيد الاشارة لبعض الملاحظات الأولية:-

اولا - تشكل الوثيقتان معا كلا متكاملا، وليس من الانصاف مناقشة اي منهما بمعزل عن الاخرى.

ثانيا- روعي لدى وضع وصياغة مشروع البرنامج، وبشكل واع، ان يكون سهل الفهم، وفي متناول الانسان البسيط، مرتبطا بالواقع الملموس بأصالة وخال من كل ما يمكن الاستغناء عنه، مما يمكن اعتباره ذا طابع بحثي، لتبرير او اثبات الاستنتاج البرنامجي، وهذا على ضوء تجربة التعاطي مع برنامج الحزب الحالي خلال السنوات السبع المنصرمة.

ثالثا- ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني قامت باعداد الوثيقتين مستندة الى

Digitized by Birzeit University Library

تجربة الحزب الفنية، ودوره البارز والمتميز في انتفاضة الشعب الفلسطيني المجيدة وفي تهيئة وخلق مجمل الظروف التي ادت لاندلاع الانتفاضة، من خلال عمل دؤوب ومثابر على مدى فترة زمنية طويلة، ومستندة الى عملية مراجعة وتقييم شاملة، بغرض تطوير النجاحات التي تم تحقيقها في ظل وضع يميزه فيض من النجاحات والانتصارات، وروح معنوية عالية،وثقة قوية بسياسة الحزب وتكتيكاته واستراتيجيته التي حكمت لمصلحتها محكمة الحياة.

وبذلك فان لجنة الحزب المركزية قامت بهذه العملية بمحض اختيارها وقرارها الواعي في ظل اوضاع داخلية ملائمة، وفي ظل تقبل شعبي واسع للحزب ولسياسته، على نقيض حال الاحزاب الشيوعية في دول اوروبا الشرقية التي وجدت نفسها مدفوعة من الجماهير الشعبية، وتلهث خلفها وتحت ضغطها لاجراء التغييرات التي جاءت بالتالي متأخرة عن اوانها، وفي ظل ظروف غير مؤاتية، وبالتالي فان نتائجها كانت فارقا لتأثير يفهمه انه قسط القرار السميع لا يمكن ان يكون صحيحا خارج اطاره التاريخي، اي في وقته السميع حيث ليس هناك ما هو صحيح بالمطلق.

ولعل في ذلك مفارقة تاريخية ذات مدلول عميق، يجب ان لا يغيب عن الذهن لدى مطالعة ما يقدمه الحزب الشيوعي الفلسطيني من تغييرات عميقة في مشاريع وثائقه البرنامجية.

رابعا- استندت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني الى دراسات كثيرة وعميقة وهامة في مختلف الميادين، وبخاصة الاقتصادية والاجتماعية، والدراسات الاشتراكية والعلم الماركسي، التي لم تتوقف عن الظهور خلال العقود الماضية، وفي مقدمتها تلك التي درست المتغيرات الجوهرية في الجوانب الاساسية، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الانساني، وعلى النطاق العالمي خلال هذا القرن، وبشكل خاص منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن. وعلى ضوء منجزات الثورة العلمية التكنولوجية، وسيل المعرفة المتدفق والاثار العميقة لترسخ عصر الثورة المعلوماتية، وغيرها من مستجدات ومميزات هذا العصر.

خامسا- انها محاولة جادة ومخلصة للطلاق النهائي مع منهج التعامل الايماني مع النظرية الماركسية - اللينينية بما كرسه من نماذج جامدة، وروح ميكانيكية وتعميمات مجردة بعيدة كل البعد عن الاوضاع الحسية الملموسة، مما قاد الى تحول النظرية الثورية الحية والخلاقة، خلال عدة عقود، الى عقيدة جامدة، رغم كل ما كان يقال لفظا عن ضرورة محاربة الجمود العقائدي. فهل كان التعامل مع النظرية وحتى سنوات قليلة خلت يتم وفق معيار انها خلاصة كل ما هو ثوري، وتقدمي في الفكر والعلم والتجربة الانسانية، وبالتالي فانها حية ومتطورة باستمرار، كونها تتمثل خلاصة التجربة الفكرية والعملية للانسانية؟!

تغييرات في تعريف الحزب

سنقصر نقاشنا في هذه المقالة على الموضوعات التي تضمنتها الفقرة الاولى في مشورع برنامج الحزب الجديد، الفقرة المتعلقة بتعريف الحزب، كونها تتضمن مجموعة اساسية من التغييرات، قد تكون هي صاحبة حصة الاسد من مجمل النقاشات الدائرة حول مشروعي الوثيقتين الجديدتين للحزب. ولا غرابة في ذلك، فانها تتضمن هوية الحزب الطبقية وقاعدته الاجتماعية، وهويته الايديولوجية واساس بنائه التنظيمي.

Digitized by Birzeit University Library

ان «مقارنة هذه الفقرة بمثيلتها في برنامج الحزب الحالي. وتتبع تطور هذه الموضوعات خلال مجمل صفحات مشروع البرنامج ومشروع النظام الداخلي. والأسباب العميقة التي تقف خلف هذه التغييرات الجوهرية هو محور هذه المساهمة في النقاش الجاري.

لقد جاء في صدر هذه الفقرة ان "الحزب الشيوعي الفلسطيني هو حزب الفلسطينيين رجالا ونساء الطامحين للتحرر والاستقلال الوطني والديمقراطية والتقدم والعادلة الاجتماعية والاشتراكية المنسجمة مع خصائص الواقع الفلسطيني، ويضم في صفوفه الفلسطينيين المناضلين من اجل انجاز هذه الاهداف دون تمييز في العرق او الجنس او الانتماء الاجتماعي او المعتقد الديني، وفي مقدمتهم العمال والشغيلة والكادحون والمثقفون .. حلت هذه الجملة محل نظيرتها التي تنص بأن "الحزب الشيوعي الفلسطيني هو حزب العمال والشيغلة وفقراء الفلاحين والمثقفين الثوريين الفلسطينيين ..."

وفي هذا توسيع كبير وواضح لقاعدة الحزب الاجتماعية. وان نظرة تاريخية على قاعدة الحزب الشيوعي الاجتماعية، تفيد بأنه كان هناك ميل تاريخي لاتساع هذه القاعدة منذ بداية هذه الظاهرة التاريخية (احزاب الطبقة العاملة) في القرن الماضي وحتى الان. وذلك بفعل عمليات موضوعية. مرتبطة بتطور المجتمع الرأسمالي، كانت تدفع باستمرار فئات وشرائح وقوى اجتماعية اترب واقرب الى واقع الطبقة العاملة. وبالتالي نحو تبني برنامجها التاريخي لبناء الاشتراكية.

فبعد ان كانت هذه القاعدة تقتصر بالاساس على الطبقة العاملة (والبروليتاريا بشكل خاص) في القرن الماضي ... كان لينين هو من ادرك. وذلك بالاستناد الى واقع روسيا بالاساس. ان فقراء الفلاحين الذين شكلوا فئة اجتماعية واسعة. شكل تحالفها مع الطبقة العاملة شرطا ضروريا لانتصار الثورة في روسيا ولينين هو صاحب هذا الشكل من التحديد لقاعدة الحزب الشيوعي الاجتماعية. والمتبع حتى الان من قبل غالبية الاحزاب الشيوعية - الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة، والفلاحين الفقراء والمثقفين الثوريين.

وبالطبع فان هذا الميل التاريخي، ما كان له ان يتوقف منذ عشرينات هذا القرن وحتى الان بل على العكس فمنذ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. تسارع هذا الميل وبشكل خاص بسبب التنامي الواسع جدا في قطاع الخدمات بكافة فروعه المتعددة، وظهور فروع جديدة له باستمرار ليس فقط في الدول الرسمالية المتطورة وانما ايضا في دول «العالم الثالث».

ولا ارى اننا في هذه المقالة يمكننا ان نضيف الكثير الى حصيلة الدراسات الماركسية الكثيرة والجادة التي طرقت هذا الموضوع. وخلصت الى استنتاجات هامة خلال العقود الماضية ولا يغير من الواقع شيئا، ولا ينتقص من اهميتها كونه لم تجر الاستفادة المرجوة منها في حينه. بفعل عوامل عديدة. ليس غرض هذه الدراسة الخوض في تفاصيلها ودهاليزها، ابرزها ان المركز لم يمنحها شهادة الميلاد التي تعترف بها ابنا شرعيا للفكر الماركسي "الرسمي".

والطبقة العاملة بالطبع لا يضيرها، بل هو انجاز ومفخرة ومصدر اعتزاز لها ان تتسع دائرة الفئات الاجتماعية التي تتبنى برنامجها لبناء مجتمع العدالة الاجتماعية، مجتمع الاشتراكية.

وقد انعكست هذه العملية الموضوعية التاريخية هذا الميل التاريخي، في التركيب الاجتماعي لعضوية الاحزاب الشيوعية. وعندما تقوم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني بتقديم هذا التعريف فانما هي نصف حالة موضوعية موجودة في الحياة وفي حياة الحزب الشيوعي

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني تحديدا وقد ترجمت ما زكته الحياة فعلا الى كلمات وافكار.

فهل الحزب الان هو فعلا فقط حزب "العمال والشغيلة وفقراء الفلاحين والمثقفين الثوريين"؟ أليس فيه نسبة غير قليلة من الطلبة، ومعلمي المدارس ورياض الاطفال، وصغار الموظفين والعاملين في الخدمات الصحية وغيرها من قطاعات الخدمات، وكذلك من صغار التجار ومختلف شرائح البرجوازية الصغيرة؟ وعلى اساس برنامجه الحالي من اجل التحرر والاستقلال الوطني وبناء مجتمع الاشتراكية.

ثم هل سبق ورفض اي حزب شيوعي قبول عضو فيه بسبب من انتمائه الاجتماعي فقط؟ متى كان الانتماء الاجتماعي حائلا دون عضوية الحزب؟ فعضوية الحزب كانت دوما مشروطة بشروط العضوية اللينينية المعروفة فقط، وليس فيها ما يشير الى الانتماء او المنبت الاجتماعي.

وهذا بالطبع لا ينفي ولا يتناقض مع الدور المتميز للطبقة العاملة والكادحين والشغيلة. وهذا متضمن في النص الذي يؤكد" ... وفي مقدمتهم العمال والشغيلة والكادحون" وبالتالي لا اساس للتخوف على الهوية الطبقية للحزب التي يتضمنها الى جانب ذلك. التأكيد على ان هدف الحزب هو الاشتراكية.

وفي مرحلة النضال من اجل الاستقلال والتحرر الوطني، هل يمكن الطموح لبناء مجتمع الاشتراكية دون ان يسبق ذلك ويتداخل معه الطموح للتحرر والاستقلال الوطني والديمقراطية؟.

اما التأكيد على "الاشتراكية المنسجمة مع خصائص الواقع الفلسطيني" في هذه الفقرة وفي اكثر من مكان في الوثيقتين. فهو من جهة تعبير عن رفض النماذج الجاهزة للاشتراكية. او حشرها في اطار قونتة ميكانيكية من جهة، وتأكيد من جهة اخرى على ان مسألة بناء الاشتراكية خاضعة مثلها مثل كافة الظواهر، لضرورة المعالجة والتعاطي معها على اساس المنهج المادي الديالكتيكي. اي دراستها (دراسة مسألة تطبيقها) ضمن واقعها التاريخي الملموس، وفي حركتها وتغيرها وتطورها وهذا ما يقود بالضرورة الى اشتراكية منسجمة مع واقع معين ومحدد. وليس بشكل عام او مجرد. وفي وضعنا الحسي الملموس، فهي اشتراكية منسجمة مع هذا الوضع الحسي الملموس، اي واقعنا الفلسطيني تحديدا.

وقد يقول قائل بأن هذه مسألة بديهية مفروغ منها، حيث جرت العادة على التاكيد على ضرورة اخذ السمات القومية بعين الاعتبار لدى تطبيق الاشتراكية الا ان تجربة الحياة، وما يحصل امام اعيننا الان في معظم، ان لم يكن في كافة البلدان التي جرت فيها محاولات بناء الاشتراكية، ان هذه المسألة. مسألة اخذ السمات القومية بعين الاعتبار، كانت لفظية الى حد بعيد ولم يتم التعاطي معها بقدر ما تتطلبه من جدية وما القول بأنه لا يجوز المبالغة في الخصائص القومية لدى تطبيق الاشتراكية الا تبريرا مقنعا كان يتخذ من اجل اسقاط النماذج الجاهزة "المعدة للتصدير" اسقاطا قسرا.

عودة الى الجذور

اما بخصوص هوية الحزب الايديولوجية، فقد جاء في مشروع البرنامج الجديد بأن الحزب يستند الى المنهج الماركسي الجدلي، ويسترشد بمبادىء الفكر الاشتراكي. وقيم الحرية والمساواة والتقدم والعدالة الاجتماعية، مستهلما في ممارسته النظرية والعملية التقاليد

Digitized by Birzeit University Library

الوطنية للشعب الفلسطيني ومعطيات التجارب الثورية للشعوب العربية وكل ما هو تقدمي في التراث العربي "حيث حلت هذه الجملة محل" وهو يسترشد بتعاليم الماركسية - اللينينية ومبادىء الاممية البروليتارية"، في البرنامج الحالي.

في هذه المسألة، لا بد من العودة الى الجذور، والى ماركس وانجلز ولينين تحديدا، الذين لم يفوتوا فرصة للتأكيد على ضرورة التمييز بين شقين، فيما اصبح يعرف فيما بعد ب« النظرية الماركسية - اللينينية». الشق الاول: وهو جوهر النظرية ولبها، وهو المنهج اي منهج الديالكتيك المادي(المنهج الماركسي - الجدلي) وهو الاساس وهذا يتضمن بالطبع المادية - الديالكتيكية برمتها. والشق الثاني وهو يشمل كافة تطبيقات هذا المنهج على المجتمع والتاريخ وغير ذلك قاد الى سبل البراهين الاخرى في النظرية المادية - التاريخية. علم الاقتصاد الماركسي، الاشتراكية العلمية وغير ذلك، ولم يضع لا ماركس ولا انجلز ولا لينين كلا الشقين على نفس المستوى. فضلا عن المساواة فيما بينهما. وذلك من منطلق ان الشق الاول، منهج التفكير والتحليل العلمي. الديالكتيك المادي. له وحده صفة الديمومة والثبات والخلود ولهذا اساس علمي - فلسفي عميق ومتين. في حين ان كافة **مكونات الشق الثاني** عرضة من حيث المبدأ للتغير والتطور وأن تتجاوزها الحياة أن تصبح خاطئة او ان تبقى صحيحة لفترة قد تطول او تقصر ان تحتاج لتطوير وتعميق. على اساس قاعدة شرقية اوسع .... الخ.

وهذا يبدو بديهيا ومنطقيا فاذا كانت مكونات هذا الشق الثاني، هي نتاج لتطبيق منهج الديالكتيك المادي على ظواهر محددة، فان هذا النتاج بالضرورة خاضع للظرف الحسي الملموس والتاريخي لتلك الظواهر وكذلك فان نتاج التحليل محكوم سلفا بسقف تطور الظاهرة التاريخي لدى دراستها من جهة، وبسقف معرفتنا (حجم المعطيات المعرفية) عن تلك الظ رة عند اجراء التحليل والدراسة وبالتالي فان اعادة دراسة هذه الظاهرة (التي لم تعد فعلا هي نفسها، كونها قد تطورت) في ظل ظرف حسي ملموس وتاريخي جديد، وضمن سقف معرفي اعلى منها، وعن الظواهر الاخرى المرتبطة بها ديالكتيكيا، لن يقود بالضرورة لنفس الاستنتاجات السابقة، وانما الى استنتاجات اكثر عمقا واكثر دقة وهذا ما يبدو لكل ماركسي كشيء بديهي ضمن نظرية المعرفة، ولكن اليست كافة جوانب هذا الشق الثاني للنظرية الماركسية - اللينينية هي ايضا جزءا هاما لا يتجزأ من المعرفة البشرية. وبالتالي تخضع بالضرورة لديالكتيك المعرفة.

وبناء على ذلك، لماذا يصاب بعض الماركسين بالهلع، او كمن يصاب بصعقة كهربائية اذا سمع بأن بعض جوانب "النظرية الماركسية - اللينينية" قد شاخ او قد تجاورته الحياة، او حتى اصبح خاطئا في ظل ظروف جديدة، بعد اكثر من سبعة عقود من الزمن، واي زمن؟ زمن التغيرات والتطورات الاجتماعية والاقتصادية العميقة وزمن الثورات العلمية والتكنولوجية. زمن الثورة المعلوماتية. زمن ثورة عظيمة في حجم المعرفة البشرية. وفي وتائر تنامي سرعة تطور هذه المعرفة زمن تضاعف فيه حجم المعرفة البشرية خلال ربع قرن - من عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٧٠ وفق احصائيات اليونسكو - ثم اصبح يتضاعف كل خمسة عشر عاما تقريبا.

هل هناك تفسيرا آخر لمثل هكذا رد فعل سوى الموقف الايماني تجاه "نظرية الماركسية - اللينينية" والتعاطي معها بطريقة غيبية لا واعية وتقديسها وتخليدها كعقيدة جامدة؟!

ومن هنا كان لا بد من الفصل بين الشقين، وعدم وضعهما في سلة واحدة وعلى نفس المستوى

Digitized by Birzeit University Library

ولذلك جاء في مشروع البرنامج النص بأن الحزب "يستند الى المنهج الماركسي الجدلي".

ولكن ماذا بشأن الشق الثاني؟ بالاستناد الى ما ذكر اعلاه، وبالاستناد الى حقيقة ان هناك جوانب عديدة في هذا الشق الثاني قد تجاوزتها الحياة، او قد اصبحت غير دقيقة او قاصرة. وبعضها قد اصبح خاطئا في الظرف التاريخي والمعرفي الجديد ومن جهة اخرى كون الفكر الاشتراكي ما كان يمكن ان يتوقف عند ماركس وانجلز ولينين فقد جاء في مشروع البرنامج النص "ويسترشد بمبادىء الفكر الاشتراكي" وهذا يتضمن كل ما زال صحيحا في الشق الثاني. وهو ولا شك كثير، بل وكثيرا جدا، وغني جدا ولا غنى لاي ماركسي عنه وعن الاسترشاد به. ويتضمن كذلك كل ما هو صحيح وثوري في نتاج الفكر الاشتراكي من غير نتاج ماركس وانجلز ولينين، وبعدهم.

وهنا ولا شك، لا بد وان يقفز السؤال. واين المعيار والدليل لتحديد ما هو "صحيح وثوري" ويصلح لان يسترشد الحزب به من مبادىء الفكر الاشتراكي؟ وما هي الجوانب التي ما زالت صحيحة وتلك التي تجاوزتها الحياة او اخطأتها ... الخ المعيار والقول الفصل يبقى وكما كان دائما، هو التحليل والدراسة المستندة الى منهج ماركس المادي الجدلي، والتطبيق الثوري الخلاق، ونتاج التجربة الثورية. ومدى ملاءمة ذلك للظرف الحسي الملموس. وفي حالتنا نحن. الظرف الحسي الملموس لبلادنا.

مبادىء الديمقراطية

المسألة الثالثة الاساسية والاخيرة في هذه الفقرة هي الجملة المتعلقة بأساس بنية الحزب التنظيمية حيث جاء في مشروع البرنامج الجديد ان الحزب "يقيم تنظيمه على اساس الديمقراطية في اطار بنية الحزب المركزية بما يضمن وحدة الارادة والعمل. ويسمح بتطوير اوسع اشكال الديمقراطية المتناسبة مع ظروف عمل الحزب في كل موقع". بديلا مما كان في برنامج الحزب بهذا الخصوص بان الحزب "يقيم تنظيمه وفق قواعد المركزية الديمقراطية".

يجب التأكيد اولا بأن حزبا يناضل من اجل "انجاز اهداف الشعب الفلسطيني في التحرر من الاحتلال وتأمين حقوقه الوطنية واقامة دولته الوطنية الديمقراطية ذات النظام الجمهوري". ويلتزم بالعمل "على تطوير وتعميق علاقاته مع كل القوى المعنية بقيام دولة فلسطينية ديمقراطية تطمح الى التقدم الاجتماعي وتصان فيها حقوق الانسان، وتسود فيها حرية الفرد والمؤسسات النقابية والجماهيرية. وتمارس من خلالها الديمقراطية عبر نظام برلماني انتخابي حر يضمن التعددية الحزبية والسياسة ويقوم على اساس حق الاقتراع العام. (كل التأكيد لنا.ت.ع.) ان حزبا كهذا لن يستطيع النضال لانجاز هذه المهمات بجدارة وفعالية ما لم يرب اعضاءه على احترام قيم الحرية والديمقراطية، وان يكون هو نفسه ديموقراطيا، ويرسخ التقاليد الديمقراطية في المؤسسات الجماهيرية والنقابية والشعبية التي يتولى قيادتها او يحتل اعضاؤه مراكز قيادية فيها. وكل هذا يتطلب بالضرورة ان يكون الحزب نفسه ديمقراطيا في بنائه التنظيمي، وانه «يعتبر ان الاساس الموجه للعلاقة بين اعضائه هو الديمقراطية الواسعة في اطار

Digitized by Birzeit University Library

بنية الحزب المركزية. حيث تسمح اليه تنظيم الحزب بحد عال من الديمقراطية والانضباط».

وضمن هذا التوجه فان اللجنة المركزية قد ضمنت مشروع النظام الداخلي مجموعة هامة من المبادىء والقواعد والنظم الجديدة من ابرزها.

اولا : اعتبار « أن الاساس الموجة للعلاقة بين اعضاء الحزب هو الديمقراطية الواسعة في اطار البنية المركزية للحزب» بما «يضمن وحدة الارادة والعمل» للحزب. (المادة السابعة، بند ١ - ٢).

ثانيا: لجوء الحزب «الى مبدأ الاستفتاء الحزبي العام، حول بعض القضايا الهامة والاساسية في حياة الحزب». (المادة السابعة، بند ١٢).

ثالثا: استحداث هيئة حزبية جديدة وهي المجلس المركزي. اعلى من اللجنة المركزية وأدنى من المؤتمر وذات صلاحيات واسعة. (المادة الخامسة عشرة).

رابعا: الاخذ «بمبدأ الاقتراع السري داخل هيئات الحزب، وعلى جميع المستويات». (المادة السابعة. بند ٨).

خامسا: التجديد الدائم والمستمر لاعضاء الهيئات القيادية للحزب حيث :

أ- «يقدم كل عضو من اعضاء المكتب السياسي والامين العام للحزب استقالتهم سنويا من مناصبهم للجنة المركزية حيث تقوم ببحث استقالة كل عضو على انفراد وبدون حضوره وتقرر اثرها قبول استقالته او رفضها».(المادة الثامنة عشرة. بند ٣).

ب- «تجديد عضوية المكتب السياسي بنسبة الثلث على الاقل كل خمس سنوات امر إلزامي». (المادة الثامنة عشرة. بند ٤).

ج- «الفترة القصوى لاشغال الامين العام للحزب منصبة. هي لدورتين (اي عشر سنوات)». (المادة الثامنة عشرة. بند٦).

سادسا: «المحافظة على آلية عمل كفيلة بتوفير حرية المناقشة كمبدأ اساسي في الحزب تضمن مساهمة منظمات الحزب واعضائه في رسم سياسة الحزب وتنفيذها واعداد وثائقه الاساسية ومراقبة هيئاته العليا وقراراتها. وتتولى اللجنة المركزية الاشراف على اصدار نشرة داخلية خاصة، تعنى بالقضايا المتعلقة بحياة الحزب، ومفتوحة امام جميع الاعضاء لابداء وجهات نظرهم وآرائهم وانتقاداتهم لسلوك وقرارات مختلف الهيئات الحزبية بكل حرية». (المادة السابعة، بند٤).

ان هذه البنود، وهي مجرد امثلة. وغيرها من بنود مشروع النظام الداخلي قد هدفت الى توسيع وترسيخ قواعد ديمقراطية في حياة الحزب الداخلية، دون ان تؤثر سلبا على وحدة الحزب السياسية، ووحدة ارادته وعمله. ضمن مقاربة تأخذ بالدرجة الاولى الواقع الحسي الملموس للحزب. من حيث واقع توزع اعضائه وتنظيماته داخل ارضنا الفلسطينية المحتلة. حيث يسود العمل السري، وفي مختلف مواقع الشتات الفلسطيني، حيث تتوافر ظروف متباينة، بين السرية الشديدة، وحتى العلنية. وفي ظل هذا التباين الشديد في ظروف عمل الحزب، راعى مشروع النظام الداخلي «توفير امكانيات تطبيق خلاق للديمقراطية وفقا للظروف الخاضعة بكل موقع». وفي نفس الوقت المحافظة على سلامة الحزب وامنه واسراره.

وعلى ذلك فان اقتراح استحداث المجلس المركزي كهيئة اعلى من اللجنة المركزية وادنى من المؤتمر، وتضم في عضويتها بالاضافة الى اعضاء ومرشحي اللجنة المركزية، اعضاء لجنة

Digitized by Birzeit University Library

المراقبة المركزية واعضاء لجان القطاعات والمناطق وعدد محدد من ممثلي لجان الاختصاص الحزبي». (وفي الوضع الحسي للحزب فان اعضاء ومرشحي اللجنة المركزية هم اقلية في هذه الهيئة) وذات صلاحيات واسعة. بما في ذلك صلاحيات المؤتمر في حالة تعذر انعقاده في موعده لاسباب امنية. في الوقت الذي يبدو فيه استحداث هذه الهيئة بهذه الصلاحيات، انتقاص من الديمقراطية (التي اعلى تجلياتها هي مؤتمر الحزب) بالنسبة لحزب يعمل في ظروف العلنية، ويستطيع ان يعقد مؤتمراته بانتظام، فانها خطوة كبيرة نحو توسيع الديمقراطية بالنسبة لحزب جسمه الاساسي يعمل في ظروف العمل السري القاسية، التي يمكن ان تحول، وتجربة الحياة اثبتت ذلك، دون عقد المؤتمر في موعده، وتأجيل ذلك لفترات زمنية قد تطول.

وقد يقول قائل: وما الجديد في ذلك. فهناك امكانية دائمة للدعوة الى كونفرنس حزبي (المجلس الحزبي) الجديد في ذلك ان امر انعقاد الكونفرنس مرهون بارادة اللجنة المركزية من جهة، وليس سنويا كما هو متقرح بالنسبة للمجلس المركزي، كما ان تركيبة الاخير غير خاضعة لهذه اللجنة المركزية وانما من اعضاء في هيئات يتم انتخابهم اليها.

ومن جهة اخرى فان امر الاقرار في تأجيل عقد المؤتمر لاسباب امنية فقط، لم يعد من صلاحية اللجنة المركزية، وانما من صلاحية المجلس المركزي وبقرار من ثلثي اعضائه.

اما مسألة تجديد الكوادر القيادية وافساح المجال للكوادر الشابة المتفوقة للوصول الى اعلى هيئات الحزب المركزية، فان تجربة الحياة للعشرات من احزاب الطبقة العاملة، الحاكمة او التي في خارج الحكم. العاملة في ظروف سرية او شبه سرية او علنية، قد علمتنا هذه التجربة انه طالما بقيت هذه المسألة دون ما «قوننة» تتحكم فيها، من خلال نصوص محددة وواضحة في النظام الداخلي للحزب. فان الحديث عن «الدماء الجديدة» وافساح المجال للشباب للتقدم الى مراكز قيادية في الحزب» وغير ذلك من الجمل الجميلة والرنانة، تبقى حبرا على ورق. وهل تخلو ادبيات اي حزب من احزاب الطبقة العاملة من مثل هذه الجملة او اجمل منها واصدق تعبيرا لفظيا، بما في ذلك تلك الاحزاب التي كان او ما يزال متوسط عمر القيادة فيها يربو على الخامسة والستين او حتى السبعين؟!

ولعل من المفيد الاشارة بهذا الخصوص بان جوهر هذه المسألة حقيقية يتجاوز في هذا العصر الذي نعيش فيه. الجوانب المتعارف عليها كأسباب لاهمية وضرورة التجديد في القيادة. تتجاوزها الى عملية ذات بعد موضوعي، مرتبطة بخصائص هذا العصر الذي نعيش فيه عصر الثورة المعلوماتية الذي يجعل مسألة تخلف الفرد امرا لا مفر منه على المدى الطويل. بحكم سيل المعرفة الجديدة المتدفق الذي لا يستطيع فرد ان يجارية، حتى ضمن اضيق ميادين التخصصات فيكف يكون الحال بالتالي للقائد الحزبي السياسي الذي تتطلب طبيعة عمله مواكبة التطورات في ميادين معرفية واسعة - سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها، لدى القائد السياسي لحزب حاكم تحل المسألة (جزئيا وليس بشكل كامل) من خلال مجموعات وفرق المستشارين والاختصاصيين والمساعدين. ولكن كيف يكون امرا احزاب ليست في الحكم وذات امكانيات متواضعة؟ يبقى الباب الوحيد المفتوح هو باب تجديد عضوية الهيئات القيادية.

ونأتي الان الى السؤال. لماذا تخلى مشروع النظام الداخلي عن اصطلاح «المركزية الديمقراطية» كأساس لبنية الحزب التنظيمية رغم حقيقة ان غالبية بنود الباب الثالث، المادة

Digitized by Birzeit University Library

السابعة المتعلقة ببناء الحزب ومبادئه التنظيمية، فيها تشابه الى حد كبير من نظيراتها في النظام الداخلي القائم حاليا؟.

من وجهة نظرنا هناك سببان يقتضيات التخلي عن هذا الاصطلاح:

الاول: وهو عملي تطبيقي اساسه ما ارتبط بهذا المبدأ التنظيمي من تشويهات خلال العقود السبعة الماضية، قادت الى سيادة الدكتاتورية وسلطة الفرد المطلقة في حياة العديد من الاحزاب، الحقت بهذا المبدأ تشويهات واضرار، بل وجرائم ارتكبت باسمه. اصبح من الصعب، ان لم يكن من المستحيل، المحافظة على المصطلح دون ان يلحق ذلك الاذى بالحزب وسمعته من جهة ومن جهة اخرى قد يقول قائل(وقد يكون محقا في ذلك) وما الضمانة اصلا في ان لا يتكرر ذلك او بعض مظاهرة مجددا طالما بقي نفس المبدأ التنظيمي قائما، كونه قد سمح، وخلال عقود عديدة، وفي ظروف متعددة ومتباينة. في الوصول الى نتائج جوهرها تجاوز الصلاحيات والتعدي على الديمقراطية وغير ذلك؟

الثاني : وهو متعلق بحق الاقلية او الفرد (عضو الحزب) وله بعد نظري عميق يتعارض في رأينا مع جوهر الماركسية واساسها الفلسفي - المادية الديالكتيكية.

والامر وفق قواعد المركزية الديمقراطية يقضي ان من حق الاقلية الاحتفاظ برأيها والدفاع عنه ومناقشته في منظماتها الحزبية فقط وليس هناك من آلية تنظيمية ملائمة. تضمن وصول هذا الرأي الى كافة اعضاء الحزب وبالطبع دون ان يمنع ذلك من تنفيذ القرارات المتخذة في الهيئات بالأغلبية وبشكل ديمقراطي لان عكس ذلك سيقود حتما على حالة الشلل التام لجسم الحزب.

فهل فعلا ان رأي الاقلية، في اللجنة المركزية مثلا. هو اقلية ايضا على مستوى الحزب ؟ وما المانع ان يكون رأي الاقلية في اللجنة المركزية يمثل رأي الاغلبية في الحزب؟!

ومن جانب آخر وهو الاهم في نظرنا اليس كل جديد (فلسفيا) يلد بالضرورة في الاقلية؟! فهو نتاج حالة فردية او مجموعة صغيرة ولن يتمكن ان يصبح اكثرية ما لم يتوفر الجو الصحي الملائم لنموه وتطوره في ظروف بيئية صالحة. وعكس ذلك الظروف غير الملائمة ستتمكن من قتل هذا الجديد في مهده، او على الاقل ستعيق تطوره لزمن قد يطول او يقصر.

والماركسية تؤكد عن حق بأن الثورى الحقيقي، وبالتالي الحزب الثوري الحقيقي، يجب ان يكون نصيرا للجديد (بالمعنى الماركسي لكلمة الجديد) فهل قواعد المركزية الديمقراطية تتعاطى مع هذه المسلّة وفق ما تتطلبه الماركسية ام تتناقض معها؟ ليس لدينا شك انها تتناقض معها طالما انها لا توفر المناخ الصحي الملائم لنمو الجديد، كونها تحاصره في هيئته الحزبية ولا تسمح له بالنفاذ، وفق الية تنظيمية ملائمة الى كافة منظمات الحزب وهيئاته.

ان التوقف عند هذا الجانب من المسلّة قد يشير الى احد اهم الاسباب التي قادت الى الوضع الذي تجد نفسها به الان غالبية، الاحزاب الشيوعية والحركة بمجملها، والى احد الاسباب في ما اعترى النظرية من جمود وتخلف بسبب الموقف المحافظ فعلا تجاه معظم ما هو جديد، رغم التأكيدات اللفظية على الموقف الثوري تجاهه.

وقد يشير من جانب اخر الى احد اسباب ما اعترى تجربة التطبيق الاشتراكي من جمود وتخلف في الميدان التكنولوجي وتطبيق منجزات العلوم المتقدمة وكذلك الى احد اسباب تخلف العلوم الاجتماعية والحياتية والانسانية. ولعل في الموقف تجاه الكثير من النظريات العلمية الحديثة

Digitized by Birzeit University Library

ليس فقط في الميادين الانسانية والاجتماعية والاقتصادية، بل وحتى في ميادين العلوم مثل الموقف من علم السيبرنتيك (الاساس العلمي للكومبيوتر) وعلم الوراثة والجينات، بل وحتى النظرية النسبية وغير ذلك الكثير، فيه دلالة بالغة، حيث لم يعترف بها رسميا (في الاتحاد السوفياتي)، وبالتالي السماح بالتعاطي معها والاسهام في البحث فيها الا بعد مرور سنين عدة على ولادتها.

اما مشروع النظام الداخلي المقترح فيحاول ان يجد مقاربة وفق ظرفه الملموس. لحل هذه المسألة، مسألة حق الاقلية في ايحال رأيها الى مجمل منظمات واعضاء الحزب من خلال البند المتعلق باصدار نشرة داخلية خاصة مفتوحة امام جميع اعضاء الحزب لابداء وجهات نظرهم وآرائهم من خلالها.

وحدة استخبارية خاصة لمواجهة الانتفاضة في القدس

ذكرت صحيفة «عل همشمار» انه سيتم خلال الايام القريبة القادمة تشكيل وحدة خاصة تابعة للشرطة تتكون من ٣٠ شخصا وتعمل في مهام استخبارية خاصة بشرقي القدس وذلك لمواجهة نشاطات الانتفاضة.

وقد وافق يعقوب ترنر المفتش العام للشرطة على تشكيل هذه الوحدة التي سيطلق عليها اسم «جدعونيم».

وستزود هذه الوحدة الجديدة بوسائل متطورة وستكون مرتبطة بمكتب المخابرات في منطقة القدس.

ووفقا لتعليمات القائد العام للشرطة سيتم وعلى الفور البدء بتجنيد اشخاص من خريجي الوحدات المختارة في الجيش، ومن وحدة «مكافحة الارهاب» وجهاز المخابرات، كما سيتم البدء بشراء معدات ووسائل حديثة لهذه الوحدة.

وقد اتخذ قرار باقامة هذه الوحدة في اطار المداولات التي جرت حول استعدادات الشرطة وتعزيز قواتها في القدس.

وقال الناطق بلسان الشرطة بان هذه الاستعدادات الجديدة لا تتضمن ما قد يؤدي الى استبدال صورة النشاطات التي يقوم بها رجال الشرطة، ولا عدد المهام وطابع ارتباط الوحدات.

وقالت وكالة الانباء الفرنسية ان هذه الوحدة ستستخدم الزي المدني وسيارات تحمل لوحات تسجيل صادرة من الضفة الغربية.

Digitized by Birzeit University Library

الحرب الاهلية (١٩٧٠ – ١٩٧١) وتاثيرها على الوضع السياسي في الاردن

د. محمد شحادة

مع بداية عام ١٩٧٠ كانت قد تشكلت بالفعل حالة ازدواجية السلطة في الأردن. وفي مثل هذه الظروف بدأت بعض فصائل حركة المقاومة الفلسطينية تطرح مطالب حول إقامة سلطة وطنية ديمقراطية في البلاد، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تقدم عدد من العسكريين / الشريف ناصر بن جميل، الجنرال محمد رسول الكيلاني / بنداءات من أجل إعادة النظام وحماية السلطة القائمة. (أقتبس عن ١٦:١، ٧:٢).

وفي العاشر من شباط عام ١٩٧٠، نشرت الحكومة الأردنية برنامجا حكوميا يتألف من عشر نقاط، يحظر، بشكل خاص، العمل الفدائي وحمل السلاح ويطلب تسجيل كافة أنواع الأسلحة. (استشهد ب:١٢٧:٣). ووضع البرنامج نصب عينيه تقييد حرية نشاط حركة المقاومة، ووضعها تحت إشراف النظام، والحد من تزايد تطور وتأثير حركة المقاومة الفلسطينية على الجماهير والحد من تصاعد خطرها المتزايد على النظام. (٤:شباط، ٢١٤:٥).

وفي ١٠ - ١٢ شباط جرت في عمان اشتباكات بين الشرطة الأردنية وقوات المقاومة. وقد اعتبرت فصائل حركة المقاومة الفلسطينية البرنامج الحكومي بمثابة إعلان للحرب، وردا عليه شكلت حركة المقاومة، القيادة الموحدة، التي دخلت في إطارها كافة منظمات المقاومة. وتم ا- تفاق على أنه في حالة ظهور مواقف متأزمة فانه يجب التوجه لاجراء محادثات مع الحكومات العربية. (٨:٢ ، ٢١:٦ ، ٢:٧-٣ ٢٠). وأعلنت حركة " فتح " أكبر منظمة في حركة المقاومة الفلسطينية: " نحن لن نسمح، بتجريدنا من السلاح ونحن واثقون، بأن جنود الجيش الأردني سوف يقفون إلى جانب ثورتنا ". (اقتبس عن ١٢:٨ شباط). وقد شجبت القيادة الموحدة لحركة المقاومة الفلسطينية "لقاء اللقاء الذي سرعان ما جرى عقده مع الحكومة الأردنية، شجبة " برامج النقاط العشر " وطالبت بمنح الفدائيين الفلسطينيين حرية العمل والحركة. (٨:٢ ، ٩:٢١١). إن الموقف الذي اتخذته حركة المقاومة الفلسطينية من البرنامج الحكومي المذكور، قد أجبر النظام

Digitized by Birzeit University Library

على توقيع بيان مشترك مع وفد القيادة الموحدة لحركة المقاومة الفلسطينية.وقد قضي البيان المشترك باخراج الجيش الأردني من المدن ضواحيها، وقف أية اشتباكات مسلحة بين الجيش الأردني وفصائل حركة المقاومة الفلسطينية، ضمان الحركة التامة للعمل الفدائي وضمان امكانية تسليح الجماهير الفلسطينية، تعبئة الجماهير قوميا وسياسيا. وجاء في البيان، ان برنامج العاشر من شباط يعتبر لاغيا.(١٥:٥ ، ١٤:١٠ شباط). لقد كان توقيع البيان المشترك انتصارا سياسيا لحركة المقاومة الفلسطينية على السلطات الأردنية. وأقضى هذا الانتصار الى بروز وضع جديد في البلاد. فقد أدرك النظام، أن حركة المقاومة الفلسطينية تشكل قوة جدية، وان السلطة في صراعها ضد حركة المقاومة تفتقر الى الدعم الشعبي.

وفي ٢٣ شباط وبطلب من حركة المقاومة أقصى عن منصبه وزير الداخلية الأردني محمد رسول الكيلاني. (استشهد ب: ٢١٧:٣ ، ٢١١:٩).

وفي نيسان عام ١٩٧٠ وقعت اتفاقية بين الحكومة الأردنية وحركة المقاومة الفلسطينية تسمح بقيام مظاهرات سلمية يومي ١٤و١٥ نيسان، وجرت تلك المظاهرات في اليومين المذكورين وتواصلت يوم ١٦ نيسان، اليوم الذي وصل فيه الى الأردن مساعد وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية لشؤون الشرق الأوسط، جوزيف سيسكو. (أقتبس عن: ٧: ٥٦-٥٧). وخشية على مستقبل النظام بدأت الحكومة الأردنية في أواسط عام ١٩٧٠ بتنفيذ مخطط يهدف إلى تعبئة القبائل الشرق أردنية والبدو للصراع ضد حركة المقاومة الفلسطينية. وكخطوة في هذا الاتجاه عقد في بلدة سحاب في أيار عام ١٩٧٠ مؤتمر القبائل الأردنية الذي نوقش فيه موضوع ما يسمى ب " الأمن ". وقد حضر المؤتمر حوالي ألف شخص. وطلب المؤتمر من حكومة الأردن وضع حد ل " للأعمال الإرهابية ".(١١: ٥ يُار، ١٢، ٤٥، ١٣، ١٢٩، ١٣٠). وعلى أثر ذلك أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أن القائد العام للجيش الأردني، الشريف ناصر بن جميل، بعد، بالاشتراك مع عملاء أميركيين، يعد لعملية تهدف إلى تصفية حركة المقاومة الفلسطينية. وشكلت حركة المقاومة لجنة مركزية، أوكلت اليها مهمة حماية المقاومة الفلسطينية. (استشهد ب: ١٢:١٤).

ومنذ حزيران عام ١٩٧٠، بدأ الملك حسين بالاشتراك مع أعضاء الأسرة المالكة ومستشاريه الخاصين بالإعداد لتوجيه ضربة نهائية إلى حركة المقاومة الفلسطينية.

ففي ٦ حزيران باشر الجيش الأردني في تنفيذ خطة هدفها تصفية حركة المقاومة في مدينة عمان. وفي ٧ حزيران جرت اشتباكات في مدينة الزرقاء، كانت وكأنما هي ترد على هجوم أفراد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على السجن المركزي في المدينة، بهدف تحرير المعتقلين السياسيين والفدائيين.(٢:٨،١٤:١٢،١٧).

وفي ٩ حزيران عام ١٩٧٠، أعلنت وزارة الداخلية الأردنية عن محاولة اغتيال تعرض لها الملك حسين قرب بلدة صويلح، محملة المسؤولية عن ذلك لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقد رفضت منظمة التحرير الفلسطينية هذا الإتهام.

ولم تمتثل وحدات الجيش الأردني، المرابطة في شمال البلاد والبالغ تعدادها (٢٠) ألف فرد، لم تمتثل لأوامر القيادة الأردنية، ولم تباشر بالأعمال الحربية في عمان والزرقاء. غير أن الوحدات البدوية في الجيش الأردني، التي كانت تعتبر الفلسطينيين مارقين على العقيدة

Digitized by Birzeit University Library

ومجرمين، قامت بمهاجمة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في عمان. مخيم الحسين ومخيم الوحدات. (٩: ٢١١-٢١٣، ١٣:١٤).

والتقى ياسر عرفات مع الملك في ١٠ حزيران عام ١٩٧٠ بهدف وضع حد لسفك الدماء. وقد اتفقا على وقف لإطلاق النار وتشكيل لجان مشتركة لمعاقبة المذنبين. ووزعت القيادة الموحدة لحركة المقاومة الفلسطينية بيانا طالبت فيه باستقالة القائد العام للقوات المسلحة الأردنية الشريف ناصر جميل، وآمر الفرقة الثالثة زيد بن شاكر، ووزير الاعلام صلاح أبو زيد، وعدد من أعضاء العائلة الملكية ،وشخصيات عسكرية ومدنية ،(أقتبس عن:٢، ٨، ٩، ٢١٣-٢١٤، ١٤:١٥، ١٠ حزيران)،الذين كانوا يحذرون الملك حسين على الدوام من مخاطر استيلاء الفلسطينين على السلطة والاعلان عن قيام جمهورية ثورية. وكان واضحا بل وبديهيا لهؤلاء ، أن المقاومة الفلسطينية هي العائق الرئيسي على طريق ما يسمى بـ "التسوية" بين اسرائيل والأردن.

وكما أفادت أنصحيفة الانجليزية «جارديان»، فان الوحدات التي كان شكلها الشريف ناصر بن جميل ومحمد رسول الكيلاني، قامت خلال حزيران، باعمال استفزازية ضد حركة المقاومة الفلسطينية، سقط على اثرها في عمان وحدها، الف من السكان المدنيين، (استشهد ب ١٤:١٦،٢٥:٤ تموز).

وفي مثل هذه الظروف بدأ الملك حسين في ١١ حزيران بالمناورة،فاستجاب لطلب القيادة الموحدة لحركة المقاومة الفلسطينية،وقام بعزل الشخصيات التي ورد ذكرها أعلاه ،لكنة حذر من أن المفاوضات مع الفدائيين تجري لآخر مره.(٣: ١٢٨، ١٤٥، ١١، ١٢ حزيران، ١٤، ١٧: ١١ حزيران).

لقد نوقشت الاحداث التي وقعت في الأردن ، في مؤتمر حضرتة مجموعة من البلدان العربية . وقد عقد المؤتمر في طرابلس / ليبيا/، كانت مهمتها تطبيع العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الملكي. وقد وصلت اللجنة الخماسية في ٢٧ حزيران الى عمان، بدعوة من الملك حسين. (٢: ٨، ٩: ٢١٥).

وفي نتيجة المحادثات التي جرت في عمان بين الحكومة الاردنية وقادة منظمة التحرير الفلسطينية وقعت اتفاقية، اعترف بموجبها الجانب الاردني باللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية، التي تشكلت في الدورة السابعة للمجلس الوطني الفلسطيني التي جرى عقدها في القاهرة/ايار - حزيران عام ١٩٧٠/، وتعهد الجانب الاردني بعدم العمل ضد نشاطات حركة المقاومة الفلسطينية في الاراضي الاردنية والسماح للفلسطينيي بحرية التنقل من والى البلاد.

ووافق الجانب الفلسطيني، بدوره، على اخراج الاسلحة والقواعد العسكرية من المدن الاردنية، وعلى عدم حمل السلاح، اثناء التواجد داخل المدن الاردنية. (١٨: ٦٥). غير ان العلاقات الفلسطينية - الاردنية، لم تتحسن بعد توقيع تلك الاتفاقية.

وفي النصف الثاني من عام ١٩٧٠ بدأت الادارة الاميركية تنفذ في الشرق الاوسط سياسة «الدبلوماسية الهادئة»، الموجهة الى استبدال الحل العادل والشامل لازمة الشرق الاوسط، وتوخت هذه الغاية بالذات المبادرة الجديدة التي تقدمت بها انذاك الولايات المتحدة الاميركية، والتي عرفت باسم«مشروع روجرز».(١٩: ١٣٣).

Digitized by Birzeit University Library

وفي ٩ آب اصدرت اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية بيانا في عمان، رفضت فيه هذا المشروع، ووصفته ب «المؤامرة». واكدت حركة المقاومة الفلسطينية رفضها لقرار مجلس الامن وكافة الاجراءات العملية الجارية بشأن التسوية السياسية للقضية الفلسطينية واعلنت عن عزمها على مواصلة الكفاح. (٢٠:٣٨٦،٢١:٥،٧٠٩- ١٠). وقد حرم مثل هذا الموقف حركة المقاومة الفلسطينية من امكانية المشاركة في التسوية السياسية لنزاع الشرق الاوسط، بمعنى ان ذلك الموقف اتصف بعدم الموضوعية.

لقد وقفت القوى الاساسية لحركة المقاومة الفلسطينية موقفا سلبيا من مصر، التي رحبت بالتسوية السياسية. وفي ٢٠ آب عقد في الاسكندرية لقاء بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين، الذي انتهز فرصة وجود الخلافات بين حركة المقاومة الفلسطينية وجمال عبد الناصر. وفي ٢٥ آب جرى لقاء بين جمال عبد الناصر وياسر عرفات لم يسفر عن اية نتائج. وقد راى الفلسطينيون ان ذلك من تدبير الملك، الذي قرر بحزم القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية، وبدأت في البلاد مجددا الاشتباكات بين الجيش الاردني وقوات حركة المقاومة الفلسطينية، اودعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين الى اسقاط الملك حسين. (٢:٩،٩:١٦،٢٢:٢١٦،٣٠).

وفي اواخر العام ١٩٧٠ دعت السلطات الى عقد مؤتمر عام في صويلح. واتهم المشاركون في المؤتمر قوات حركة المقاومة الفلسطينية بالسعي الى الاستيلاء على السلطة ووضع الرقابة على الاردن بهدف اقامة دولة لها فيه. (١٢:٤٦:١٣،١٢٩:١٣٠،١٣٠).

وفي ٣٠ آب حذر الملك حسين حركة المقاومة الفلسطينية، من انه سيواجه بكافة الوسائل اية محاولة للنيل من وحدة البلاد القومية وسيادتها. (١٤:٩:٢٣،٢٩:٢٩ آب). ومساء ٣٠ آب قصف الجيش الاردني قواعد ومراكز الفدائيين الفلسطينيين في عمان، ومنذ ذلك اليوم كانت تجري اشتباكات مسلحة يوميا تقريبا في عمان والزرقاء وعدد من المدن الاردنية الاخرى، بين الجيش والفصائل الفلسطينية. وفي اول ايلول عام ١٩٧٠ اعلنت الحكومة الاردنية في بيان رسمي، ان الملك حسين تعرض في ذلك اليوم لمحاولة اغتيال حين كان في طريقه الى مطار عمان وحملت المسؤولية عن ذلك لحركة المقاومة الفلسطينية. (٢:٨ ايلول، ١٤:٣١:٤،٦:٢ آب). وقد اعتبرت «فتح» هذا البيان مبررا للبدء في عمليات عسكرية ضد الفلسطينيين. وطلبت اللجنة المركزية من الامين العام لجامعة الدول العربية دعوة المجلس السياسي للجامعة للحيلولة دون وقوع حرب اهلية في الاردن. (اقتبس عن:٩:٢١٦،١٤:٣١،٣٥-٣٧،٢:١٦ ايلول). وفي ٤ ايلول عام ١٩٧٠ ترأس فيصل بن جازي - احد اعضاء مجلس الاعيان الاردني، مؤتمرا لزعماء العشائر البدوية. وفي اليوم التالي، وبقرار من المؤتمر، هاجمت مجموعة من الفلسطينيين عددا من الطائرات المدنية، تعود ملكيتها الى عدد من شركات الطيران العالمية. وكان يوجد على متنها حوالي (٥٠٠) مسافر، معظمهم من الاميركيين. وقد ارغمت الطائرات على الهبوط في المطار الصحراوي الذي يبعد (١٥) كيلو مترا الى الشمال الشرقي من مدينة الزرقاء

لقد استغل الملك حسين عملية اختطاف الطائرات للبدء بعملية واسعة النطاق ضد حركة المقاومة الفلسطينية. (٧:١٥:١٤،١:٤١:٥،٢٥:٢٦٥). ولكن الملك مع ذلك لم يبلغ وقتها من القوى مما يمكنه من توجيه الضربة النهائية الى حركة المقاومة الفلسطينية. وفي ٧ ايلول قام الملك حسين بتوقيع اتفاقية لوقف اطلاق النار واجلاء الفدائيين الفلسطينيين عن عمان. وخلال

Digitized by Birzeit University Library

عشرة ايام، توجه الملك حسين ثلاث مرات للشعب، مؤكدا بانه لا ينوي تصفية المقاومة الفلسطينية لاجل التوصل الى معاهدة سلمية مع اسرائيل. الا انه في الواقع استمرت الاشتباكات والصدامات الدموية بين حركة المقاومة الفلسطينية والجيش الاردني. (اقتبس عن: ٩:١٤- ٤٠، ٩:٢٦ ايلول).

وفي ٩ ايلول قام الجيش الاردني بتحريك المدفعية والدبابات، واتخذت الاشتباكات في عمان طابعا ضاريا. وفي ١٢ ايلول فجرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الطائرات التي كانت استولت عليها، واحتفظت بأربعين مسافرا في عداد المحتجزين. ولقي هذا الحادث ادانة شاملة، وابعدت القيادة الفلسطينية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن المشاركة في القيادة الموحدة لحركة المقاومة الفلسطينية (٩:٢). وكان كل شيء يسير نحو تصعيد وتزايد العمليات الحربية. وغادر رعايا بريطانيا العظمى وجمهورية المانيا الاتحادية وحوالي المئتين من الرعايا الاميركيين، غادروا البلاد. وفي ١٣ ايلول جرت اشتباكات دموية في اربد. وتحدثت الصحافة الاميركية عن افلاس ملك الاردن، وعن انه ان لم يكن اليوم فغدا، سوف يأخذ الفدائيون الفلسطينيون السلطة في ايديهم.(١٤:١٣،٤٣، ٤٥-٤٦، ٢٧:١١، ١٥ ايلول).

وفي ١٤ ايلول تم عقد لقاء بين رئيس وزراء الاردن عبد المنعم الرفاعي وياسر عرفات. وتم الوصل الى اتفاقية جديدة سحلت الى الملك حسين صباح ١٥ ايلول. وعندما جرى تسليم الاتفاقية للملك، صرح رئيس الوزراء الاردني، بأنه اذا ما رفض الملك الاتفاقية، فان مجلس الوزراء سوف يعلن عن استقالته. وبالفعل رفض الملك حسين قبول الاتفاقية، ومساء نفس ذلك اليوم شكل الملك حسين ومستشاروه وصفي التل، زيد الرفاعي، زيد بن شاكر، وكبار الضباط مازن العجلوني وقاسم المعايطة، حكومة عسكرية، كان هدفها «تصويب النظام واعادة الشرعية في البلاد». (استشهد بـ:٩:٩، ٢١٩، ١٤:١ ٤٨).

وهو يسعى للامساك بزمام المبادرة، قدم الملك على الفور الى الجنرال محمد داوود، وهو فلسطيني الاصل، قائمة باعضاء الحكومة العسكرية وكلفه بان يترأسها.(٩:٢٢١).

وفي ١٦ ايلول اعلن في عمان رسميا عن تشكيل الحكومة العسكرية، التي ضمت في عضويتها (١٢) عسكريا، بينهم ثلاثة من الفلسطينيين: الجنرال محمد داوود، العقيد يعقوب ابو غوش والمقدم عدنان ابو عودة. واعلن ايضا عن تعيين حابس المجالي حاكما عسكريا عاما وقائدا عاما للجيش الأردني. (أقتبس عن ٩:٢٢١، ١٤:١ ٨،٥ ٢٨:٧ ٤).

وطلب حابس المجالي من قيادة حركة المقاومة تسليم السلاح. وقد اعتبرت حركة المقاومة الفلسطينية ذلك بمثابة إعلان للحرب. واتخذ قرار بتعيين ياسر عرفات قائدا عاما لكافة القوات الفلسطينية. ودعا عرفات الى اسقاط «النظام». (استشهد بـ ٩:٢).

وبعد جلسة طارئة للجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية، عقدت في ١٦ ايلول، دعت حركة المقاومة الى القيام باضراب شامل من ١٧ ايلول وحتى اعتزال الحكومة العسكرية عن سدة الحكم (٩:٢٢٣). كما دعا الاتحاد العام لعمال فلسطين الى القيام بالاضراب. واید هذه الفكرة اتحاد عمال النفط في الاردن، الذي كان يضم في صفوفه (١٥) ألف عامل وموظف. وكان (٧٥٪) منهم فلسطينيون. (٨:٧ ايلول، ١٤:٤ ٥٥٥).

وفي ١٧ ايلول بدأ الجيش الاردني الذي يعد (٥٥) الفا، هجوما واسعا في عمان وفي شمال

Digitized by Birzeit University Library

البلاد. (حتى خريف عام ١٩٧٠ بلغ الحد الاقصى لعدد القوات الرئيسية لحركة المقاومة الفلسطينية حوالي(٥٠) الف شخص. انظر: ٥:٢٩). ودفعت الى عمان القوات المدرعة، التي هاجمت قواعد الفدائيين الفلسطينيين في مناطق مختلفة من المدينة، وتوجه ياسر عرفات بنداء الى البلدان العربية يطلب فيه منها ان تهب لاغاثة الفلسطينيين. واعلنت سوريا وليبيا والجزائر عن اسنادها لحركة المقاومة. وطلب الرئيس جمال عبد الناصر من الملك حسين ان يصدر اوامره بوقف اطلاق النار.(٩:٢). اما الحكومة العراقية، التي كانت تؤيد من قبل حركة المقاومة الفلسطينية، فانها نقلت الى شمال - شرق الاردن (١٢) الفا من جنودها، المتواجدين على الاراضي الاردنية منذ عدوان حزيران عام ١٩٦٧. (١٠،٩،٨:٢). اما القوات السعودية والتي تعد (٢٥٠٠) جندي، والتي كانت تعسكر في جنوب الاردن فقد قامت بمساندة الجيش الاردني. (٥٩:١٤). وفي مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في عمان والزرقاء راحت تدور معارك في الشوارع. وفي شمال البلاد قامت وحدات جيش التحرير الفلسطيني، الموجودة في سوريا، باجتياز الحدود الاردنية وهاجمت مواقع الجيش الاردني. (١٠:٢). وفي ٢٠ ايلول اعلن حابس المجالي عن محاولة قامت بها القوات السورية للدخول الى الاردن. وتحركت (٢٠٠) دبابة سورية باتجاه مدينة اربد، في شمال الاردن (٢٢:٣٠،١٥٥:١٤ ايلول، ٢٢:٣١ ايلول). وفي ٢٢ ايلول هاجم الجيش الاردني وسلاح الجو الملكي القوات السورية التي توغلت في الاراضي الاردنية، والتي كانت مضطرة للتراجع باتجاه الاراضي السورية.(٩،٨:٢٤). وفي هذا الوقت اشرفت المقاومة الفلسطينية بصورة كاملة على عمان، اربد، الزرقاء، السلط، جرش وعجلون. (اقتبس عن:٩:٢٢٤). وفي ٢٤ ايلول استعاد الجيش الاردني سيطرته على بعض مناطق العاصمة، غير ان مركز المدينة ظل تحت اشراف حركة المقاومة الفلسطينية.

لقد ادانت البلدان العربية بالاجماع افعال النظام الاردني. فقطعت ليبيا العلاقات الدبلوماسية مع الاردن، وسحبت تونس سفيرها من عمان، واستقبلت الجزائر الفدائيين الجرحى ومنحت منظمة التحرير الفلسطينية (٤٠٠) الف دولار. (٢٢:٦).

وبهدف وقف الاعمال الحربية، جرى عقد مؤتمر قمة عربي في القاهرة وقد قاطعت حكومة سوريا وياسر عرفات هذا المؤتمر. واتخذ المؤتمر قرارا بارسال بعثة عربية الى الاردن برئاسة رئيس السودان جعفر النميري لاجراء محادثات مع الملك حسين وبعض زعماء القيادة الفلسطينية المعتقلين/صلاح خلف، فاورق القدومي، ابراهيم بكر وبهجت ابو غربية/. وبعد ذلك تم الاعلان عن هدنة على الاسس التالية: تنسحب القوات الفلسطينية الى خط وقف اطلاق النار مع اسرائيل، وتعترف السلطات الاردنية بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا للسكان الفلسطينيين. وقد رفض ياسر عرفات وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الاتفاقية، اذ انه جرى توقيعها من قبل شخصيات، موجودة رهن الاعتقال. واعلنت حركة المقاومة عن تحرير شمال الاردن وعن انشاء جمهورية فلسطينية هناك. وفي ٢٤ ايلول، استقال رئيس الحكومة العسكرية، الذي كان موجودا في القاهرة. وبعد وقت قليل وصلت الى القاهرة قادمة من عمان اللجنة العربية برئاسة رئيس وزراء تونس الباهي الادهم. وعند وصوله الى القاهرة حمل الباهي الادهم الملك حسين، المسؤولية الكاملة عن الاحداث في الاردن. وسرعان ما وصل الملك حسين الى القاهرة، ووقع في ٢٧ ايلول اتفاقية فلسطينية - اردنية مع ياسر عرفات، اصبحت معروفة فيما بعد تحت اسم اتفاقية القاهرة. ـ٢/ ١٠،٩:٢٣٦). وقد ارتأت الاتفاقية وقف كل الاعمال الحربية؛ اطلاق

Digitized by Birzeit University Library

سراح المعتقلين الفلسطينيين؛ تشكيل لجنة ثنائية لمراقبة تنفيذ كافة بنود الاتفاقية. (٢: ١٠،٩: ٢٣٦،٣٢٠: ٧٩-٨٠/٣٢/٦٣). وبفضل مساعي البلدان العربية واللجنة العربية الخاصة المشتركة، وقعت في عمان في ١٣ تشرين الاول عام ١٩٧٠، اتفاقية حددت العلاقات بين الحكومة الاردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية. وقد اعتبرت الاخيرة بمنزلة منظمة رسمية، تعبر عن مصالح الشعب الفلسطيني وتتحمل المسؤولية الكاملة عن نشاطات كافة الجماعات والمنظمات في حركة المقاومة الفلسطينية. واصبحت عمان مقرا رئيسيا للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ولمؤسساتها السياسية والعسكرية والدعائية. وسمح للجنة المركزية بافتتاح مكاتب لها في مدن اخرى في البلاد. وكان يجب على القوات الفلسطينية ان تخضع للقيادة الفلسطينية الرئيسية. ومن اجل الاشراف على تنفيذ الاتفاقية، تشكلت لجنة مشتركة من ممثلي الحكومة الاردينة ومن ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية تحت اشراف اللجنة العربية الخاصة المشتركة.(٢: ١١:٢/٦،٢٣/٣٢: ٨٠).

في ٢٦ ايلول عام ١٩٧٠، كلف الملك حسين، الفلسطيني احمد طوقان بتشكيل حكومة جديدة مدنية - عسكرية. وقد ظل طوقان في منصب رئيس الوزراء حتى ٢٨ ايلول عام ١٩٧٠. وبعد استقالة احمد طوقان، ترأس الحكومة وصفي التل العدو اللدود لحركة المقاومة الفلسطينية. (٩: ٢٣٨، ٢٤٠، ٥٢/١٤/٢).

ولم تطرح حركة المقاومة الفلسطينية مسألة ضرورة اقامة «سلطة وطنية ثورية» في الاردن الا في تشرين الاول عام ١٩٧٠. وحين طرحت حركة المقاومة الفلسطينية هذه المسألة فانها لم تحدد جوهر مثل تلك السطلة، ولم تعمل في اتجاه اقامة او ضمان اقامة مثل تلك السطلة او توفير الضمانات لاقامتها. (٢٨: ١٣١، ١٣٨).

وفي ذروة الازمة، توجه الملك حسين الى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا العظمى طالبا تقديم المساعدة له. وقد اعرب الملك عن استعداده لاتخاذ اية تدابير بهدف انقاذ المملكة من السوريين والفلسطينيي، دون ان يستثني التدخل الاسرائيلي. (٩: ٢٢٨-٢٢٩، ١٤: ٧١-٧٨، ٨٠٧: ٢٤).

لقد صرح الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون، بأن الولايات المتحدة الاميركية ستجد نفسها مضطرة للتدخل في الاحداث الجارية في الاردن، اذا ما اخلت القوات السورية او العراقية بميزان القوى. (استشهد بـ: ٩: ١٥٢، ١٧: ٢٠ ايلول). و«في ٢٨ ايلول عام ١٩٧٠ وعد وزير الدفاع الاميركي بتعويض الاردن عن الدبابات والذخائر، التي فقدها خلال احداث ايلول». (اقتبس عن: ٢٨: ١٥٠). لقد كانت احداث ايلول الدموية نتيجة مباشرة لمؤامرة ثلاثية مدروسة دبرتها قوى الامبريالية والصهيونية والرجعية الداخلية ضد الثورة التحررية العربية، وخاصة، ضد احد فصائلها الامامية - حركة المقاومة الفلسطينية.

لقد نجحت المحافل الامبريالية في ان تستغل لصالحها بعض كبار الضباط في الجيش الاردني من الرجعيين وذوي الميول الغربية، كما استطاعت ان تستغل التطرف وعدم المسؤولية لدى بعض مجموعات حركة المقاومة الفلسطينية.

وواكبت الحوادث في الاردن مظاهرة لعرض القوة العسكرية للولايات المتحدة الاميركية، التي بدأت بحشد قوات الاسطول السادس تحت سيل من التصريحات في الصحافة عن امكانية انزال

Digitized by Birzeit University Library

قوات اميركية في الاردن في حالة، «اذا ما تشكل خطر حقيقي يهدد العرش الاردني». (استشهد بـ: ٢٠:٦:٢٨،٣٥:١٥٠). وقد ناقش مجلس الامن القومي للولايات المتحدة الاميركية مسألة الحرب الاهلية في الاردن في جلسة عاجلة عقدها في منتصف ليلة ١٧ ايلول عام ١٩٧٠. (اقتبس عن: ١٤:١،١٥،١٦:١٧ ايلول). وبعد ذلك وبأمر من الرئيس نيكسون ابحر الاسطول السادس الاميركي الى البحر الابيض المتوسط، كما ارسلت الى تركيا طائرات نقل اميركية. (١٤:١٤٠،٦:٢٤،٣٤:١٢ ايلول). واتجهت الى الشرق الاوسط حاملة الطائرات الاميركية «جون كندي» وحاملة الطائرات المروحية «غوام» وعلى متنها وحدات من مشاة البحرية الاميركية، ووقفت على اهبة الاستعداد الحزبي قوات المظليين الاميركيين وتشكيلات الانزال الجوي في القارة الاميركية، واوروبا الغربية. ١٩٠:١٥٢).

لقد وضعت الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل خطة سرية، تقتضي القيام بعملية عسكرية منسقة ضد البلدان العربية. وبموجب هذه الخطة كان يجب ان تهاجم القوات المسلحة الاسرائيلية سوريا، في حين يقوم الاسطول الاميركي بانزال مشاة البحرية ووحدات عسكرية اميركية اخرى في الاردن.(استشهد بـ: ١٧:٨ ايلول، ٤:٧،٨،٣٥:٢٧٢). وقامت اسرائيل بتعبئة جزئية لقواتها المدرعة، التي احتشدت في الضفة الغربية لنهر الاردن. وهكذا اصبح التدخل العسكري للولايات المتحدة الاميركية واسرائيل وشيكا في الشرق الاوسط. (٣٥:١٧٣).

لقد هب الاتحاد السوفياتي للدفاع عن الشعب الفلسطيني، ومن اجل وقف سريع للحرب الاهلية واقتتال الاخوة. وجاء في بيان وزعته وكالة الانباء السوفياتية (تاس) في ٢٠ ايلول، بأن «النزاع في الاردن يعرض للخطر المصالح الحيوية للاردن، حركة المقاومة الفلسطينية، ومصالح حركة التحرر الوطني للشعوب العربية، ويمكن ان يخدم مصالح اعداء الشعوب العربية وحسب ... ان الوضع في الاردن ومن حولها يثير قلقا عميقا في الاتحاد السوفياتي، ولدى كافة اصدقاء قضايا حرية واستقلال الشعوب العربي». (اقتبس عن:٣٦: ٢٠ ايلول). وقد قدمت الحكومة السوفياتية، التي حذرت الولايات المتحدة الاميكرية واسرائيل من الاثار الخطرة المترتبة على تدخلها العسكري في احداث الاردن، قدمت دعما حاسما لمساعي الدول العربية الهادفة الى تسوية الوضع في الاردن. (٣٧: ١٩٠- ١٩١). وجاء في خطاب السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف، الذي القاه في ٢ تشرين الاول عام ١٩٧٠ في مدينة باكو عاصمة جمهورية اذربيجان السوفياتية :«لقد سعينا بكافة الوسائل من اجل المساعدة في وقف نهائي لاقتتال الاخوة في الاردن، بما في ذلك وقف ابادة فصائل حركة المقاومة الفلسطينية. لقد اعتبرها ونعتبر ان اي تدخل عسكري اجنبي كان في الاحداث الدائرة في الاردن، قضية لا تقبل على الاطلاق». (٣٦:٣ تشرين الاول، ٣٨:١٤٢- ١٤٤).

وسعت واشنطن بعد العدوان الاسرائيلي في العام ١٩٦٧ الى ان تشق الاردن عن العالم العربي، وان تدفعه نحو عقد اتفاقية منفردة مع اسرائيل والحاق الضرر بالحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني. فبعد ان اوقفت الولايات المتحدة الاميركية في عام ١٩٦٧، الدعم المالي والعسكري المقدم للاردن، كعقاب على دخوله في الحرب الى جانب البلدان العربية، فانها عادت واستأنفت تقديم هذا الدعم بعد احداث ايلول عام ١٩٧٠. وبعد زيارة الملك للولايات المتحدة الاميركية في كانون الاول عام ١٩٧٠، قدم الكونغرس الاميركي للاردن دعما عسكريا بقيمة (٣٠) مليون دولار. (هذا المبلغ اكبر اربع مرات من الدعم المقدم في عام ٧,٦٢/١٩٦٧ مليون دولار/واكبر

Digitized by Birzeit University Library

(٢٦) مرة من المعونة الممنوحة في عام ١٩٦٨/١٩ مليون دولار/. استشهد بـ:٣٩:٢٥).
وحتى عام ١٩٧١ تلقى الاردن دعما ماليا من الولايات المتحدة الاميركية بما تقرب قيمته من (٧٠) مليون دولار. (استشهد بـ:١ ٤:٨ آذار).

وفي بداية تشرين الثاني عام ١٩٧٠ باشر الملك حسين مجددا باجراء مفاوضات مع القادة الاسرائيليين لاعداد اتفاقية سلمية. وفي هذا الاتجاه تم لقاء بين الملك حسين ورئيس وزراء اسرائيل ايغال الون. وقد تم عقد سبع من مثل هذه اللقاءات بين المسؤولين الاردنيين والاسرائيليين منذ تشرين الثاني عام ١٩٧٠ وحتى تموز عام ١٩٧١، والتي في اثرها حددت المراحل الاساسية للاتفاقية المتوقعة بين البلدين. (٩: ٢٠٠-٢٠٢، ١٤:٦ ١٥، ٢٨:٣ ١٥، ١٠:٤ ٨ آذار). «وفي ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٧١ صرح الملك حسين عن امكانية قيام اتفاقية ثنائية مع اسرائيل، اذا ما تقدمت الحكومة الاسرائيلية باقتراح واضح ودقيق لبلوغ هذا الهدف». (اقتبس عن:٤٢:٦٨).

لقد وقع الاردن بشكل كامل تحت تأثير الدول الامبريالية. وفي تشرين الاول عام ١٩٧٠ اخذت تتشكل ظروف مؤاتية في الاردن وفي العالم العربي للقضاء على حركة المقاومة الفلسطينية. فبعد وفاة جمال عبد الناصر ووصول قيادة جديدة الى دفة الحكم في سوريا، عين حابس المجالي في ١٦ تشرين الاول في منصب وزير الدفاع الاردني، وفي اواخر تشرين الاول ترأس وصفي التل، الخصم اللدود ايضا لحركة المقاومة الفلسطينية، ترأس الحكومة الاردنية. وعما قليل جرى خرق اتفاقيتي عمان والقاهرة. وفي بداية تشرين الثاني عام ١٩٧٠ جرت من جديد صدامات واشتباكات مسلحة بين قوات حركة المقاومة الفلسطينية ووحدات الجيش الاردني. وكانت اشد تلك الاشتباكات ضراوة جرت بشكل خاص في عمان وجرش. وفي ١٤ تشرين الثاني عام ١٩٧٠ تم توقيع اتفاقية جديدة، كان على قوات المقاومة بموجبها الانسحاب من المدن الاردنية ونزع السلاح من قوات الميليشيا الشعبية الفلسطينية. (استشهد بـ:١١:٢).

ومنذ بداية عام ١٩٧١ واصلت المحافل الرجعية الاردنية هجومها على مواقع المقاومة الفلسطينية، ودخلت الوحدات النظامية الاردنية الى عمان وجرش، وفي ٢٥ كانون الثاني منح وصفي التل رئيس وزراء الاردن الفلسطينيين من القيام لعمليات عسكرية ضد اسرائيل من الاراضي الاردنية. (٣٢:٨١).

وفي اواخر اذار عام ١٩٧١ وبعد معارك طويلة استولت القوات الاردنية على مدينة اربد. وقد استقال ممثل اللجنة العربية الباهي الادهم معربا بذلك عن احتجاجه على اعمال الجيش الاردني، واتهم لدى استقالته الاردن بخرق الاتفاقيات مع الفلسطينيين وبأنه عاقد العزم على القضاء نهائيا على حركة المقاومة الفلسطينية.

وبين ٤ و ١٣ نيسان عام ١٩٧١ وتنفيذا لاتفاقية القاهرة من عام ١٩٧٠ اجليت قوات الفلسطينيين من عمان وعدد من مناطق الاردن الاخرى وتوزعت على القرى وعلى مخيمات اللاجئين في مناطق عجلون وجرش. (٢:١١، ١٨، ٦٦:٣ ٤٣). وبين ١٣ و١٧ تموز عام ١٩٧١ هاجم الجيش الاردني مواقع يتمركز فيها (٥) الاف فدائي فلسطيني، وتم أسر (٢٥٠٠) منهم، وتراجع الف منهم الى سوريا، وحتى ١٧ تموز تم الاستيلاء على كافة القواعد الفلسطينية. وقد تحدث وصفي التل عن ذلك في مؤتمر صحفي عقده في ١٨ تموز عام ١٩٧١. (اقتبس

Digitized by Birzeit University Library

عن: ٢:١١:٩، ٤٤، ٢٤٣، ٣). كما اعلن وصفي التل، ان الحكومة الاردنية تعتبر ان اتفاقيات عمان والقاهرة لم تعد سارية المفعول، وانه لن يتم التوقيع بعد الان على اية اتفاقيات جديدة مع حركة المقاومة. (استشهد بـ: ٥:١٦:٢).

وحسب الاحصاءات الاردنية، التي تقلل بشكل واضح من عدد الفدائيين، فانه تم اسر (٨٠٠) شخص، وقتل (٢٠٠)، وتم نقل (٥٠٠) فدائي الى قواعد جديدة. (اقتبس عن: ٤:٤:٢٠ تموز). وهي تسوغ اعمالها، فقد اشارت الحكومة الاردنية الى ضرورة «حماية الفلاحين، وممتلكاتهم واراضيهم الزراعية». (٦:٤٤).

لقد اضعفت الضربات التي لحقت بالحركة الفلسطينية تلك الحركة الى حد كبير. غير ان حركة المقاومة الفلسطينية ظلت موجودة كعامل عسكري وسياسي في الشرق الاوسط، وواصلت الكفاح من اجل انجاز الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وحقه في تقرير المصير. وعلى اثر الاشتباكات المسلحة تكبدت القوات الفلسطينية خسائر جسيمة، واضطر قسم كبير من الفدائيين الفلسطينيين الى مغادرة الاراضي الاردنية، ووجد هؤلاء انفسهم في لبنان وسوريا. في هذه الظروف اقترح الحزب الشيوعي الاردني ايجاد جبهة وطنية واسعة وموحدة، تصبح قاعدة لتشكيل حكومة وحدة وطنية وتساعد على تعبئة موارد البلاد البشرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية في سبيل انهاء الصراع مع منظمة التحرير وحركة المقاومة الفلسطينية. (اقتبس عن: ٥:٤:٨ ٤).

ان خروج منظمات حركة المقاومة الفلسطينية من الاردن في اعقاب الحرب الاهلية في عامي ١٩٧٠-١٩٧١ ترك تأثيرا مباشرا على الوضع الاقتصادي والسياسي في البلاد. فقد اغلقت الحدود بين الاردن وسوريا، وبين الاردن والعراق. وقطعت الجزائر العلاقات الدبلوماسية مع المملكة الاردنية الهاشمية . كما اوقفت دعمها للاردن كل من الكويت وليبيا. ودعت الاخيرة كافة البلدان العربية ان تهب لانقاذ حركة المقاومة. وهكذا، وجد الاردن نفسه معزولا جزئيا في العالم العربي. ولم تبق على علاقاتها مع الاردن سوى المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة. وقد تدهور الوضع الاقتصادي في البلاد. ولم تواصل تقديم الدعم للملك حسين سوى الممكلة العربية السعودية، التي كانت تقدم ما قيمته (١٥) مليون جنيه استرليني للاردن سنويا. (٥:٢١٦:٩، ٢٤١/ ٢٤٦، ٢٤).

وقد انخفض مستوى معيشة السكان عقب الاحداث الحربية التي شهدتها البلاد. فقد ازدادت الاسعار على المواد الغذائية بشكل دوري بين اعوام ١٩٦٧ و ١٩٧٢ وبلغت في عام ١٩٧٢ (١٠٢ ٪). ومنذ عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٧٣ غادر الاردن (١٣٠) الف مواطن. وتدنت قيمة صرف الدينار الاردني، وانخفضت رواتب العمال والموظفين. وتقلص الدخل القومي في عام ١٩٧٠ بنسبة وصلت الى (١٣٪) بالمقارنة مع ١٩٦٩./بلغ الدخل القومي في عام ١٩٦٩ -(٢٣١) مليون دينار، اما في عام ١٩٧٠ فبلغ -(٢٠٤) مليون دينار/. (٦:٤٤:٨٨، ٤٧: ٣٦). فاذا كانت قيمة الصادرات الاردنية بلغت في عام ١٩٦٩ -(١٤،٧) مليون دينار، فانها في عام ١٩٧٠ انخفضت الى (١٢،٢) مليون دينار. اما قيمة الواردات في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ فبلغت (٦٧،٨) مليون دينار. وبلغ العجز في الميزان التجاري في عام ١٩٧٠ (٥١) مليون دولار. (استشهد بـ: ٤:٤٥: ٤٥).

ان الخسارة التي لحقت باقتصاد البلاد بلغت حسب المعطيات الاردنية في شهر ايلول عام

Digitized by Birzeit University Library

١٩٧٠ وحده، (٢١٧) مليون دولار، باستثناء الخسائر العسكرية. ففي عمان وحدها بلغت الخسارة (٤٢) مليون دولار. (اقتبس عن ١٣٨:١٤).

واصبح الاردن في تبعية تامة للقوى الامبريالة، خاصة للولايات المتحدة الاميركية، مما ادى الى تقويض الاستقلال الاقتصادي والسياسي للبلاد. فالوحدة الوطنية لم تكن راسخة كما تفجرت الجبهة الداخلية. (٤١:٤٧).

وفي ادراك منه، للقوة الهائلة التي تنتج عن قيام الوحدة الوطنية، سعى النظام الاردني الى تحديد مجالات النشاط وتخطيط حدود بين الشعبين تقوم على اساس التمييز الاقليمي. واصبحت هذه الظاهرة ملموسة في اجهزة الادارة والجيش منذ اللحظة التي تم فيها ضم الضفة الغربية (٤٨). وبعد احداث ايلول الدموية انتهجت الحكومة الاردنية سياسة قاسية ولا انسانية بهدف طرد الفلسطينيين من الجيش والمؤسسات الحكومية وقد تزايد التمييز بشكل شديد تصفية قواعد حركة المقاومة الفلسطينية، وتحول التمييز بعد ذلك الى سياسة رسمية للحكومة الاردنية.(٤٠:٤٢-٤٣).

لقد حرمت السلطات الجماهير من الحريات الديمقراطية الاساسية: حرية الكلمة وحرية التعبير وحرية الاجتماع والتظاهر. وزج في السجون بعشرات الالاف من المواطنين. وتعرض العمال كما تعرضت النقابات المهنية للمطاردة وللملاحقات التعسفية. وجرى اعتقال العديدين من اعضاء الحزب الشيوعي الاردني. (٣٨:٤٧-٣٩). وطبقت في البلاد القوانين الاستثنائية، وتم فصل حوالي (٥) الاف موظف حكومي وعسكري. وتدهورت الصناعة. وبدأ انعطاف خطير في سياسة الاردن الداخلية والخارجية.(٣٨:٤٩).

وفي ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٧١ اصدرت الحكومة الاردنية مشروعا، يهدف كما اعلن الى ايجاد تسوية سلمية في الشرق الاوسط وتوقيع اتفاقية سلمية مع اسرائيل، على وجه الخصوص. (٨٥:٥٠-٨٦).

وبعد القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية في الاردن اتخذت حكومتا مصر والمملكة العربية السعودية خطوات من اجل تنظيم العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الاردني، وفي خريف عام ١٩٧١ عقد مؤتمر في جدة/العربية السعودية/ حاول الملك حسين خلاله اعادة النظر في علاقاته مع الدول العربية، على أمل ان يخرج الأردن من العزلة المطبقة عليه في العالم العربي. غير ان، اغتيال وصفي التل رئيس وزراء الأردن في القاهرة في ٢٨ تشرين الثاني عام ١٩٧١، التي قام بها اعضاء منظمة فلسطينية اطلقت على نفسها اسم منظمة «ايلول الاسود»، وضع حدا للمحادثات في جدة. (٣٠٨/٥١،٢١٦:٥-٣١٠). وفي ٨ كانون الاول عام ١٩٧١ اعلن البرلمان الاردني، ان اية تأكيدات على تمثيل اية جهة اخرى كانت للفلسطينيين سوف تعتبر مؤامرة، موجهة نحو القضاء على الوحدة الوطنية للاردن واثارة نار العداء عند الشعب الواحد الذي يسكن ضفتي الاردن،والذي يعبر عن مصالحه الملك حسين وحده. (استشهد بـ ٦٨:٤٢:).

لقد سعى الاردن، وهو يقوم بحل المسائل المتعلقة بالعلاقات العربية - الاسرائيلية، الى الحل الوسط ملحقا الضرر بالنضال العربي العام وبالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، دون أن يساعد في ايجاد الحل العادل للنزاع في منطقة الشرق الاوسط. ولذلك بالضبط تقدم الملك حسين

Digitized by Birzeit University Library

في ١٥ آذار عام ١٩٧٢ باقتراح يقضي بتوزيع الأردن على منطقتين ذات حكم ذاتي - أردنية/ في الضفة الشرقية/ وفلسطينية/ أراضي الضفة الغربية التي تحتلها اسرائيل/، والتي تشكل معا « المملكة الاردنية المتحدة»، لقد كان مشروع الملك حسين يمثل صفقة مع اسرائيل بمشاركة الولايات المتحدة الاميركية، وقد كانت هذه الجبهة موجهة نحو تصفية القضية الفلسطينية. (٥٠ : ١٠٣-١٠٦).

لقد فضح الحزب الشيوعي الاردني اقتراح الملك حسين حول اقامة المملكة العربية المتحدة، ذلك أن تنفيذ هذا المشروع كان سيقود ليس الى عدم احقاق حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وحسب، بل ويتفق مع الأهداف العدوانية التوسعية لاسرائيل. (٤٥ : ٤٨، ٥٢ : ٢٥ آذار).

لقد اخذ يتضح بعد احداث ايلول عام ١٩٧٠ تطور جديد في مواقع وادوار القوى المؤلفة للسلطة. وبرزت البرجوازية البيروقراطية كقوة رئيسية بين هذه القوى، بصفتها هي التي تصدت دون غيرها، وقادت عملية المواجهة العسكرية مع حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية. وقد هاجمت قيادة البرجوازية البيروقراطية الحكومات السابقة العسكرية التي كانت في الواقع تمثل تحالف كبار الرأسماليين وكبار الملاكين العقاريين واقسام من البرجوازية البيروقراطية واتهمتها بالتقصير والتهاون في معالجة قضايا «الامن» و «النظام» وفقدان «هيبة الحكم». كما انعكس هذا بصورة اشد بروزا في تشكيل «مجلس الاعيان» واستثناء رؤساء الوزارات السابقين وعدد من الشخصيات التقليدية وازدياد نسبة تمثيل البرجوازية البيروقراطية من وزراء وكبار موظفين سابقين وكبار ضباط متقاعدين وتدرك البرجوازية البيروقراطية المسيطرة على السلطة، انها باخراجها حركة المقاومة من البلاد، لم تخرج معها تأثيرها الايجابي على الجماهير، وانه لا بد من صيغ جديدة تطرح لمواجهة انحالة الجديدة في البلاد اضافة للوسائل البوليسية المتبعة. وهذا يفسر الحديث الكثير عن «الفراغ» الواجب ملؤه، و«الدولة الحديثة» التي يجب اقامتها. (٤٦ : ٩، ١١). وهو يسعى لملء الفراغ السياسي، الذي نشأ في الاردن بعد القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية، قام النظام الاردني في اواسط عام ١٩٧١ بانشاء لجنة تحضيرية لاقامة منظمة جماهيرية اجتماعية - سياسية خاصة (الاتحاد الوطني الاردني)، الذي عبر في الواقع عن مصالح البرجوازية البيروقراطية. وقد اسند الوزراء والاعيان واعضاء البرلمان وممثلو واعضاء المجالس البلدية، اسندوا بفاعلية اقامة الاتحاد الوطني الاردني. وفي ٢٥ تشرين الثاني من عام ١٩٧١ عقد اول مؤتمر تأسيسي للاتحاد المذكور في عمان. وقد حضر المؤتمر فلسطينيون، مؤيدون للنظام الاردني. واعلن المؤتمر الملك حسين امينا عاما للاتحاد، الذي قام بدورة بتعيين ستة وثلاثين عضوا في اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد. لقد تلخص هدف المنظمة التي جرت اقامتها مجددا في وضع رقابة اشد صرامة على الحياة السياسية - الاجتماعية وايجاد الاوهام والتخيلات حول الوحدة الوطنية وغياب الصراع الطبقي. لقد القيت على الاتحاد الوطني الاردني مهمة تضليل الجماهير وعرقلة تقاربها من الاحزاب الثورية. (٤٥ : ٤٧-٤٨).

ان البرجوازية البيروقراطية وكبار الملاكين العقاريين، وهم يحاولون الظفر بالبرجوازية المتوسطة والصغيرة في الضفة الشرقية واجتذابها الى جانبهم، اضطهدوا بشدة السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية. (٥٢ : ٢٩). لقد وضعت حكومة البرجوازية البيروقراطية وهي تسعى لتثبيت مواقعها في البلاد، قانون «ضريبة الدخل»، الذي يرفع نسبة الضريبة على مداخيل

Digitized by Birzeit University Library

كبار الرأسماليين، ووضعت كذلك قانون مؤسسة التأمين الذي يلزم اصحاب العقارات بالتأمين عليها. (٤٦:٩- ١٠). ان كل هذا قد انتقص بدرجة معينة من مصالح كبار الرأسماليين وكبار الملاكين العقاريين. لقد تحدثت حكومة البرجوازية البيروقراطية عن «التوجه» و «الاشراف» على اقتصاد البلاد وعلى التخطيط والبرمجة. وكانت الحكومة تستهدف من وراء ذلك جذب الشرائح العليا من البرجوازية الوطنية الى جانبها وكذلك جذب كبار الملاكين العقاريين وكبار الرأسماليين واقسام من البرجوازية البيروقراطية. (٤٦:٨،١١- ١٤). وواصلت البرجوازية البيروقراطية السير في خطة تبعية البلاد للدول الامبريالية وفي مقدمتها التبعية للولايات المتحدة الاميركية. ودليل ذلك، ان الدعم الاميريكي للاردن في عام ١٩٧٠ كان اكبر اربع مرات مما كان عليه ذلك الدعم في العام ١٩٦٧. ومن البديهي ان الولايات المتحدة الاميريكية عندئذ، كانت تقتفي تحقيق اهدافها السياسية في المنطقة.(٤٧:٣٥).

وعند اجمال نتائج احداث عامي ١٩٧٠-١٩٧١ في الاردن، نجد لزاما علينا ان نقول بأنه في شباط عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ - حين وجدت في البلاد حالة ازدواجية السطلة - سلطة الشعب الممثلة في حركة المقاومة الفلسطينية، التي كانت لها هيئاتها وكان لها مؤسسات الحكم التابعة لها والمحاكم وموظفون لجمع الضرائب وكافة ميزات الدولة ومقوماتها، من جهة، والسلطة الرجعية، من جهة ثانية، فان الحزب الشيوعي الاردني اقترح عقد اجتماع للقوى الوطنية في البلاد. وكان الشيوعيون هم القوة الوحيدة، التي تحدثت بشكل علني عن الوضع في البلاد، حيث كان يجب حل مسألة أحادية الحكم. غير ان، شعار عدم التدخل، الذي رفعته بعض فصائل حركة المقاومة الفلسطينية، سهل الامكانية امام الرجعية الاردنية لكي تقوم بتوجيه ضربة للحركة. (٤٨).

لقد وقعت حركة المقاومة الفلسطينية في خطأ كبير. فالحركة في الواقع كانت تقف مقابل جيش محترف، ومزود باسلحة جيدة، دون ان تقوم بتحليل الوضع في البلاد، ودون ان تجذب الى جانبها العناصر المضطهدة في هذا الجيش.

لقد كتب فريدريك انجلس، عن انه«توجد في السياسة قوتان حاسمتان وحسب: القوة المنظمة للدولة، الجيش، وغير المنظمة، القوة العفوية للجماهير الشعبية»، مستنتجا عند ذلك، ان الجماهير تستطيع تحقيق الانتصار على الدولة فقط بعد ان تكسب الجيش الى جانبها. (٤٦:٤٤٦ - ٤٤٧).

لقد كان بالامكان تجنب الاخطاء، لو ان الحركة استوعبت التجربة السابقة للكفاح الوطني الفلسطيني واستفادت من تلك التجربة، واسترشدت بالنظرية الثورية، ولو انها اخذت بعين الاعتبار الظروف الموضوعية في العالم العربي وفي الوضع الدولي. فقد كانت الحركة تفتقر الى الايديولوجية الصحيحة، والى التكتيك والاستراتيجية، كما انها كانت تفتقر الى الوحدة الوطنية الراسخة والصلبة مع كافة الفصائل الثورية. ان الاخطاء التي سلمت بوقوعها حركة المقاومة قد ساعدت النظام على توجيه بعض محافل الشرق اردنيين ضد الحركة. لقد اهملت حركة المقاومة الفلسطينية الحركة الوطنية الاردنية، وادعت القيام بدورها. وهذا، بالمناسبة، لم يخفيه في وقته بسام ابو شريف، عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كما لم يخفيه احد زعماء «فتح» خالد الحسن. وطالما ان حركة المقاومة الفلسطينية اوجدت منظمات اردنية

Digitized by Birzeit University Library

وفلسطينية منفصلة وقائمة بذاتها، فقد صور النظام نفسه ممثلا لمصالح الشرق اردنيين وشكل حاجزا مصطنعا بين الفلسطينيين والاردنيين.(٣٣:٣٢-٣٥، ٥٥:١٥).

وقد سببت خسارة كبيرة لحركة المقاومة الفلسطينية تلك الاعمال غير المسؤولة والمغامرة التي قامت بها جماعات مختلفة قائمة بذاتها، التي حرضت «تلك الشرائح من السكان، التي لم تكن دائما مناوئة للمقاومة»، حرضتها ضد الحركة الفلسطينية.(١٦:١). كما كان من الخطأ تجاهل ما يسمى بالعامل الاقليمي، والذي جراءه كان عدد الفلسطينيين في الجهاز الحكومي والعسكري في الاردن، اقل بكثير من الاردنيين. لقد كان الفلسطينيون، الذين اصبحوا يشكلون اغلبية بعد العام ١٩٦٧ في الضفة الشرقية، غرباء بالنسبة للمجتمع الاردني التقليدي. وكل هذا سهل من امكانية تنفيذ سياسة «التمييز الاقليمي»، واثارة وتحريض المجموعات المختلفة المنفصلة ضد بعضها البعض في اطار نفس تلك الشرائح والفئات السكانية، وتسعير نيران العداء بين مواليد كلتا ضفتي نهر الاردن. (٣٧٤.٥٦-٣٧٦). كما انه لم تكن توجد هنالك وحدة بين منظمات حركة المقاومة الفلسطينية، فقد انعكس عليها التأثير المادي والايديولوجي السياسي للدول العربية.

لقد كانت المساعدة التي تقدمها البلدان العربية مهمة بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية، غير ان هذه المساعدة تم تقديمها لكل منظمة بشكل يختلف عن المنظمات الاخرى. وهذا ايضا ساعد على تشتت القوى المكافحة وقلل من فعالية المساعدة في حد ذاتها.(٤٦:٥٧). وفقط في وقت متأخر، ومع الاخذ بعين الاعتبار التجربة السابقة، اتخذت الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقدة من ٢٨ شباط وحتى ٥ آذار عام ١٩٧١، اتخذت برنامجا سياسيا، جاء فيه، ان «حرصنا على وحدة الجماهير الفلسطينية والاردنية يعزز الثقة في ان وحدة فلسطين وشرق الاردن وحدة قومية نحن مطالبون بحمايتها وتوثيقها، وان نقف في وجه اية محاولات تهدف الى تفسيخها واغلالها».(اقتبس من:٤٢:٦٨).

وقد استغلت العناصر المتعاونة مع سلطات الاحتلال الاسرائيلي، وجود الحاجز المذكور، وبدأت تروج لفترة ايجاد كيان فلسطيني منفصل عن الاردن وعن حركة المقاومة الفلسكينية. وكان بين منظرى اقامة مثل ذلك الكيان محمد ابو شلباية وعزيز شحادة وحمدي التاجي الفاروقي. (٤٢:٦٨،٦٩).

وقد قدمت بعض الشخصيات الفلسطينية في الضفة الغربية الى عمان للالتقاء مع ياسر عرفات. وقد نوقشت في اللقاء فكرة مؤتمر، يعلن عن سلخ الضفة الغربية. وقد رفضت منظمة التحرير الفلسطينية هذا الاقتراح بشدة.(٤٢:٦٩،٨ ١٣:٥ تشرين الثاني).

ان حركة المقاومة الفلسطينية لم تعر الاهتمام المطلوب للعمل السياسي في اوساط الجماهير، مما انعكس كذلك على مجرى الحرب الاهلية. وقد تمكنت الرجعية من تحييد قسم هام من السكان،الاصليين في الضفة الشرقية. وفوق ذلك، تمكنت الرجعية من اثارة الكراهية لدى الجنود البدو نحو الفلسطينيين، وتمكنت بذلك من دفع الوحدات البدوية لارتكاب جرائم دموية ضد حركة المقاومة الفلسطينية. وهي توقد نيران الفرقة والخصومة، وتؤلب سكان الضفة الشرقية ضد السكان المنحدرين من الضفة الغربية، فان الرجعية اوجدت الانقسام ايضا في صفوف الحركة الوطنية في الاردن. (٧ ٥:٤٥).

Digitized by Birzeit University Library

وبعد احداث ايلول - تموز عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ ارتسمت اتجاهات ونزعات جديدة في تطور منظمة التحرير الفلسطينية وحركة المقاومة الفلسطينية . وبقدر ما جنحت غالبية البلدان العربية علنا لصالح التسوية السلمية ولصالح الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني، بقدر ما تعززت الاراء الواقعية في منظمة التحرير الفلسطينية. فقد اخذوا في المنظمة ينظرون باهتمام الى قرارات هيئة الامم المتحدة حول قضايا ازمة الشرق الاوسط واالقضية الفلسطينية. لقد شكل هذا الموقف بداية الابتعاد عن شعار «كل شيء او لا شيء»، الذي الحق الضرر بالنضال الفلسطيني.(٩ :٥٠-٦٠-٦١).

وظهر ايضا في صفوف حركة المقاومة الفلسطينية التخلي عن روح المغامرة والتطرف. ان الاحداث المأساوية في الاردن قد اجبرت زعماء منظمة التحرير الفلسطينية وحركة المقاومة الفلسطينية على اعادة تقييم الفهم لجوانب متعددة من نشاطات المقاومة. كما تعرض التطرف اليساري الى النقد داخل حركة المقاومة الفلسطينية وبدأ التخلص منه في الواقع العلمي. وفي مؤتمر القمة العربي، الذي التأم في اواخر تشرين الثاني عام ١٩٧٣ في الجزائر، لقيت منظمة التحرير الفلسطينية لاول مرة اعتراف جميع الدول العربية كممثل شرعي ووحيد للشعب العربي الفلسطيني وقد تم تأكيد ذلك الاعتراف العربي رسميا في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الرباط/المغرب/في تشرين الاول عام ١٩٧٤. وهكذا توقف ارتباط منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الاردني.

وهكذا، فان اقامة منظمة التحرير الفلسطينية وتشكل حركة المقاومة الفلسطينية كان مرحلة نوعية جديدة في تطور الحركة الوطنية الفلسطينية. وكانت حرب حزيران في العام ١٩٦٧ مرحلة انعطاف في تاريخ نضال الشعب العربي الفلسطيني. فمنذ ذلك الوقت، اصبح الشعب الفلسطيني لاول مرة عاملا مستقلا في العالم العربي. ان احتلال اسرائيل للاراضي الفلسطينية صير النزاع في الشرق الاوسط من نزاع عربي - اسرائيلي الى نزاع فلسطيني - اسرائيلي.

لقد وقفت امام منظمة التحرير الفلسطينية بين اعوام ١٩٦٤ و ١٩٧١ مهمات سياسية صعبة وعديدة، والتي اثر اختيارها بدوره على تغيير المنهج الايديولوجي والعملي لمنظمة التحرير الفلسطينية؟. فمن الشعار المتطرف - القضاء على دولة اسرائيل - انتقلت منظمة التحرير الفلسطينية الى شعار «اقامة دولة ديمقراطية فلسطينية على جزء من ارض فلسطين، يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود». كما انتقلت المنظمة من الرفض الكامل لكافة قرارات هيئة الامم المتحدة المتعلقة بقضية التسوية في الشرق الاوسط، وانكار لكافة السبل والوسائل السياسية لحل المسألة الفلسطينية، وعدم الاعتراف بوجود اسرائيل - الى الاقتراب والتوجه الموضوعي من مسألة التسوية في الشرق الاوسط وحل القضية الفلسطينية.

ان الطريق الطويل والشاق الذي اجتازته الحركة الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية اثر وسوف يؤثر من الان فصاعدا على كل مجرى الاحداث في الشرق الاوسط.

المراجع والمصادر:

المراجع والمصادر:

١- لاندا ر.ج. المرحلة الراهنة من كفاح حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٧١-١٩٧٦). في مجلة: شعوب آسيا وافريقيا. موسكو، ١٩٧٦، العدد رقم (٥)، ايار، (بالروسية).

٢- الاردن. العدد رقم (٢٧)، ١٩٨٠ (نشرة).

Digitized by Birzeit University Library

3 - Nakhleh Kh., Zureik E. The Sociology of the palestinians London, 1980.

٤- النهار. بيروت، ١٩٧٠.

٥- الشعيبي عيسى. عشر سنوات من الصراع بين النظام الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية. في مجلة: شؤون فلسطينية. بيروت، ١٩٧٥، العدد رقم (٤١-٤٢).

٦- سوخاركوف ي.أ. حركة المقاومة الفلسطينية/مادة استعلامية/. موسكو، ١٩٧٤ (بالروسية).

7 - Jureidini P.A., Hazen W.E. The Palestinian Movement politics.- Massachusetts; Toronto, 1976

8 - Christian Science Monitor, 1970

9 - Snow P. Hussein. A Biography. - London, 1972.

١٠- الانوار. بيروت، ١٩٧٠.

١١- الحياة. بيروت، ١٩٧٠.

١٢- الهندي هاني. التعبئة الاردنية ضد المقاومة الفلسطينية عشية مجمة ايلول. في مجلة: شؤون فلسطينية. بيروت، ١٩٧١، العدد رقم (٤).

١٣- الهندي هـ.، بوارشي ف.، شحادة م. المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني. بيروت، ١٩٧٠.

14 - Black September . - Beirut, 1971.

15 - New Yourk Herald Tribune, 1970.

16 - The Guardian, 1970.

17 - The New Yourk Times, 1970.

١٨- ديمتريف ي.، لاديكين.ف. الطريق الى السلام في الشرق الاوسط. موسكو، ١٩٧٤ (بالروسية).

١٩- مدفدكو ل.ي. الى الشرق والى الغرب من السويس: افول الاستعمار (الكولونيالية) ومناورات الاستعمار الجديد (النيوكولونيالية) في المشرق العربي. موسكو، ١٩٨٠ (بالروسية).

٢٠- بليايف ي.ب. بريماكوف ي.م. مصر: عهد الرئيس ناصر. موسكو، ١٩٧٤ (بالروسية).

٢١- المقاومة الفلسطينية تشجب مشروع روجرز. بغداد، ١٩٧٠.

٢٢- لاندار. ج. من تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٦٧ - ١٩٧١). في مجلة: شعوب آسيا وافريقيا. موسكو، ١٩٧٦، العدد رقم (٤)، ليسان، (بالروسية).

23 - Observer. 1970

٢٤- الاردن. العدد رقم (٣٢)، ١٩٨٠ (نشرة).

٢٥- بريماكوف ي.م. تشريح ازمة الشرق الاوسط. موسكو، ١٩٧٨ (بالروسية).

26 - Daily Star, 1970.

27 - Financial Times, 1970.

٢٨- مراد عباس. الدور السياسي للجيش الاردني (١٩٢١-١٩٧٣). بيروت، ١٩٧٣.

٢٩- في الخارج. موسكو، ١٩٧٠، العدد رقم (٣٩) (بالروسية).

30 - The New York Post, 1970

31 - The Evening Standard, 1970.

٣٢- ديمتريف ي. العقدة الفلسطينية. موسكو، ١٩٧٨ (بالروسية).

33 - Palestine lives. Interviews with leaders of the Resistance. - Beirut; Kuwait, 1973.

34 - Daily Telegraph, 1970.

٣٥- بليايف ي.ب. الولايات المتحدة الاميركية والشرق الاوسط - في كتاب/ الولايات المتحدة الاميركية - القضايا الاقليمية الاقليمة للسياسية الخارجية. موسكو، ١٩٧١ (بالروسية).

٣٦- برافدا، ١٩٧٠.

٣٧- كريميفيوك ف.أ. سياسة الولايات المتحدة الاميركية في البلدان النامية. موسكو، ١٩٧٧ (بالروسية).

٣٨- بريجنيف ل.أ. على نهج لينين. خطابات ومقالات. المجلد الثالث. موسكو، ١٩٧٣ (بالروسية).

٣٩- الاقتصاد الاردني: حقائق وارقام. عمان، ١٩٦٩.

٤٠- سعد احمد صادق، ياسين عبد القادر. الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٤٨-١٩٧٠). بيروت، ١٩٧٥.

41 - Time, 1971.

٤٢- سخنين عصام. الكيان الفلسطيني. في مجلة: شؤون فلسطينية. بيروت، ١٩٧٥، العدد رقم (٤١-٤٢).

٤٣- في الخارج. موسكو، ١٩٧١، العدد رقم (٣٠) (بالروسية).

٤٤- برافدا، ١٩٧١.

٤٥- سالم خليل. الارض التي نناضل من اجلها. في مجلة: قضايا السلم والاشتراكية. براغ، ١٩٧٣، العدد رقم (٦).

Digitized by Birzeit University Library

حزيران، (بالروسية).

٤٦- البرغوثي بشير. بعض قضايا الصراع الاجتماعي في الاردن. بيروت، ١٩٧٢.

٤٧- التقرير السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني. عمان، ١٩٧٣.

٤٨- لقاء شخصي مع نعيم الاشهب، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني، موسكو، ٢١ آذار ١٩٨٢.

٤٩- تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني امام مندوبي الكونغرس الثالث، تموز - آب، ١٩٧٧.

50 - Kadi L.S. The peaceful proposals (1948-1972) . Beirut, 1973

51 - Hirst David. The gun and the olive branch. The roots of violence in the Middle East. - London, 1977.

٥٢- بيان الحزب الشيوعي الاردني حول مشروع المملكة العربية المتحدة، ١٩٧٢.

٥٣- الاشهب نعيم. دافع قوي لحركة التحرر الوطني. في مجلة: قضايا السلم والاشتراكية. براغ، ١٩٧٢، العدد رقم (١٠)، تشرين الاول، (بالروسية).

٥٤- انجلس فريدريك. دور العنف في التاريخ. ماركس كارل، انجلس فريدريك. المؤلفات. الطبعة الثانية، المجلد ٢١ (بالروسية).

٥٥- الهدف. بيروت، العدد رقم (٥١٩)، ٢٧ كانون الاول، ١٩٨٠.

٥٦- درب الحرية. براغ، ١٩٧٣ (بالروسية).

٥٧- الاشهب نعيم، في سبيل التغلب على الازمة في حركة المقاومة الفلسطينية. في مجلة: قضايا السلم والاشتراكية. براغ، ١٩٧٢، العدد رقم (٥)، ايار، (بالروسية).

٥٨- المحرر. بيروت، ١٩٧٠.

٥٩- الاشهب نعيم. وجهة نظر فلسطينية في ازمة الشرق الاوسط. في مجلة: قضايا السلم والاشتراكية. براغ، ١٩٧٤، العدد رقم (٤)، نيسان، (بالروسية).

أفراد الشرطة أمام اطارات مشتعلة بالقدس.

Digitized by Birzeit University Library

إعادة تعريف الأمن

جسيكا توخمان ماثيوز
ترجمة: فيصل أبو السكن

**الاهتمام بالبيئة
يسمو فوق الحدود
ويضع علامة سؤال على
المفاهيم التقليدية
لسيادة الأمة**

منذ عام ١٩٦٥، غيرت القدرة التدميرية الهائلة للاسلحة النووية الطريقة التي نفكر بها حول الامن العالمي وفي هذه المقالة تقول جسيكا توخمان ماثيوز ان العالم، وبشكل متساوي، يواجه التهديد الخطير لسلامته المتمثل بتلوث البيئة، فازالة الغابات والتصحر والتوزيع غير المتساوي للارض قللت من اهمية استقرار الحكومات وخلفت سكانا جددا من اللاجئين البيئيين. فتأثير البيوت البلاستيكية واستنفاد طبقة الاوزون، والانقراض السريع لبعض اصناف الحيوانات والنباتات يؤدي الى تغييرات غير مرئية في التوازن الكوني مع نتائج لا يمكن توقعها.

وتعتقد ماثيوز ان الجهود المبذولة لحماية البيئة يجب ان تتلاءم مع حاجات كل من الدول النامية والصناعية،ويجب ان يتم انجاز هذه المهمة في وقت قصير نسبيا، وتقول ماثيوز "ان التغلب على هذه العقبات الاقتصادية والسياسية سيتطلب اختراعات اجتماعية ومؤسساتية شبيهة،من حيث الحجم والافاق،بالترتيبات الجديدة التي حدثت في العقد الذي تلا الحرب العالمية الثانية.وبدون نقطة تحول سياسية حادة عن الحرب العظيمة وبدون التهديدات الكثيرة وطويلة المدى فان هذه المهمة ستكون اكثر صعوبة،ولكن اذا كنا نريد ان نتجنب تدميرا لا رجعة عنه للارض،وبالتالي ان نتجنب قدرا كبيرا من مآسي بني البشر،فانه لا اقل من ذلك يمكن ان يكفي.

جسيكا توخمان ماثيوز هي نائبة رئيس معهد المصادر العالمية في واشنطن دي.سي.

Digitized by Birzeit University Library

ورئيسة المجموعة الاستشارية حول السكان والمصادر والبيئة التابعة للجمعية الامريكية لتقدم العلوم وقد عملت في مجلس الامن القومي من عام ١٩٧٧ الى عام ١٩٧٩ كرئيسة للمكتب في الشؤون الكونية.

ستتطلب التسعينات منا ان نعيد تعريف مكونات الامن القومي، فخلال السبعينات توسع المفهوم ليشمل الاقتصاد العالمي، حيث اصبح جليا ان اقتصاد الولايات المتحدة لم يعد الاقتصاد المستقل كما كان سابقا، ولكنه اصبح يتأثر بشكل كبير بالسياسات الاقتصادية التي تنتهجها عشرات الدول. ان التطورات الكونية تتطلب الحاجة لتوسيع تعريف الامن القومي ليشمل الموارد ومواضيع اخرى بيئية وكونية.

بالرغم من عناوين عام ١٩٨٨-السواحل الملوثة، التطرف الحراري، ازدياد اقتلاع الغابات والفيضانات التي سممت الارض، فان المجتمع الانساني لم يصل الى شفا وضع حد مطلق لنموه، وبشكل نهائي. فقد يتسع هذا الكوكب للبلايين الخمسة او الستة الاضافية الذين من المقرر ان يعيشوا عليه مع حلول عام ٢١٠٠،ولكن يبدو انه من المحتمل ان لا يستطيع هذا الكوكب اطعامهم اذا لم يحصل تغيير جذري في وسائل الانتاج. لقد تضاعف الانتاج الاقتصادي العالمي اربع مرات منذ عام ١٩٥٠، ويجب ان يستمر بالزيادة بسرعة ليلبي الاحتياجات الانسانية الاساسية، وذلك دون ان نأتي على ذكر التحدي الكامن في انتزاع الملايين من الفقر، ولكن النمو الاقتصادي كما نعرفه حاليا يتطلب استخداما اكبر للطاقة ومزيدا من الانبعاث والمخلفات، والمزيد من الاراضي التي يتم تغيير شكلها الطبيعي وحاجة اكبر لمنتوجات من الانظمة الطبيعية، والسؤال فيما اذا كان الكوكب قادرا على الاستجابة لكل هذه المتطلبات يبقى مفتوحا.

وقد بدأ الافراد والحكومات يشعرون بثمن استبدال (او العمل بدون) البضائع والخدمات التي كان النظام الصحي يقدمها مجانا، وتقدم فاتورة الطبيعة بطرق متعددة ومختلفة: ثمن الاسمدة التجارية التي نحتاج اليها لاعادة تسميد الارض التي كانت خصبة، تكاليف ازالة التربة التي كانت مترسبة في مجاري الانهار التي تفيض بسبب انجراف التربة على امتداد مئات الكيلومترات حول المجرى، الخسارة في المحاصيل بسبب الاستخدام غير المميز للمبيدات التي تقتل بصورة غير يقظة الحشرات التي تنقل حبوب اللقاح، او ثمن التلوث الذي يزداد سوءا الذي جاء من الجو عن طريق الخضار، ومهما كان السبب المباشر للاهتمام، فان اهمية عمل النظام الصحي اصبح واضحا في النهاية.

علاوة على ذلك، ولاول مرة في التاريخ، فان البشرية تعمل بصورة سريعة، ان لم يكن بصورة غير متيقظة على تغيير الملامح الاساسية للكوكب.فالتغييرات الكونية تجري الان في التركيب الكيماوي للجو، وفي التنوع الوراثي للانواع التي تعيش على الارض، وفي دورة الكيماويات الحيوية في المحيطات، الجو، والظروف الحيوية والجغرافية وبطريقة لم يسبق لها مثيل في السرعة والحجم، واذا تركت بدون فحص، فان النتائج ستكون وخيمة، وبعكس الاشكال العادية للدمار فانه لا يمكن تجنبها.

يقع النمو السكاني في قلب الاتجاهات البيئية، فقد مر ١٣٠ عاما حتى زاد عدد سكان العالم من بليون الى ٢ بليون، اما الان فان ارتفاع عدد سكان العالم من ٥ الى ٦ بلايين سيحتاج الى عقد واحد فقط، وسيعيش اكثر من ٩٠٪ من هذا البليون في الدول النامية. وبهذا فانه في نهاية التسعينات سيمثل سكان الدول المتقدمة ٢٠٪ فقط بالمقارنة من ال ٤٠٪ التي شكلها سكان

Digitized by Birzeit University Library

الدول المتقدمة في نهاية الحرب العالمية الثانية، وهذه الارقام المجردة لا تترجم الى قوة سياسية، ولكن هذا التغير الديموغرافي سيضع رفاهية شعوب الدول النامية في مركز الاهتمامات الدولية.

ان العلاقة التي تربط المستويات السكانية مع قاعدة المصادر معقدة،فالسياسة والتكنولوجيا والمؤسسات هي التي تقرر اثر النمو السكاني، وهذه العوامل هي التي تستطيع استيعاب عدد اكبر من الناس.

واليوم فان النمو السكاني في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اقل من ١٪ سنويا (وفي اوروبا ٥ر٠٪). ولكن الشعوب الافريقية تنمو بمعدل ٣٪ سنويا، وامريكا اللاتينية ٢٪، واسيا اقل من ذلك بقليل، ومع حلول عام ٢٠٢٥ سيكون عدد السكان في سن العمل في الدول النامية لوحدها اكبر من مجموع سكان العالم حاليا، هذا النمو باهي في وقت يتطلب فيه التقدم التكنولوجي مستويات اعلى من التعليم، وينحى جانبا وظائف اكبر من السابق، وبالنسبة للكثير من الدول النامية، فان استمرار النمو السكاني بالمعدلات الحالية يعني ابتلاع الرأسمال المتوفر لتلبية حاجات الناس اليومية بدل الصرف على حفظ الموارد وخلق فرص للعمل، ان سياسة كهذه - بشكل لا يمكن تجنبه - تعني وضع الاساس لمستقبل معرض للمخاطر.

وهناك تناقض اخر مهم يجب ان نأخذه بعين الاعتبار عند فحصنا لموضوع المصادر الطبيعية وهو ان المصادر التي يقال انها غير قابلة للتجديد - مثل الفحم والنفط والمعادن - لا يمكن استنفادها في الحقيقة، بينما المصادر التي يقال عنها انها قابلة للتجديد يمكن ان تكون محدودة، فعندما يصبح مصدر غير قابل للتجديد نادرا وغاليا ينخفض الطلب عليه وتظهر البدائل التكنولوجية، ولهذا السبب فاننا لن نضخ اخر برميل نفط او شيئا قريبا منه، ومن ناحية اخرى فان السمك الذي يتم اصطياده فوق حد معين لن يسترد، والانواع التي تنقرض لن تظهر مرة ثانية، وقشرة الارض المجروفة لا تعوض (الا بعد حقبه جيولوجية) وهكذا هناك بداية للتأثير للمصادر القابلة للتجديد وهذا يناقض الاسم المعطى لها، مع نتائج للسياسة غير محظوظة.

الشكل الاكثر خطورة لانقراض المصادر القابلة للتجديد هو ازالة الغابات الجارية في المناطق الاستوائية، فكل سنة تقطع غابات تبلغ مساحتها قدر النمسا، ان الغابات الاستوائية نظام صحي هش، ضعيف جدا امام الانسان، وفي حالة مهاجمته فان النظام الصحي يمكن ان لا ينسد. ان خسارة الاشجار تؤدي الى تقطيع دورة التغذية فوق الارض وتحتها، وتفقد الارض خصوبتها وتفقد الانواع النباتية والحيوانية بيئتها وتنقرض، ويظهر نقص شديد في الطاقة من الخشب، وتنجرف التربة بدون ان يكون هناك غطاء للارض تقدمه الاشجار والنباتات، ومجاري الانهار تعاني من الطمي،مما يؤدي الى الفيضانات والجفاف ودمار انظمة الري والمياه الثمينة، وبعد تتبع اثارها على الزراعة ومصادر الطاقة والمياه تبين ان قطع الغابات الاستوائية يؤدي الى افقار ما يقرب من البليون انسان، ان هذا الامر مرض مزمن في امريكا الوسطى، والكثير من مناطق اسيا والمناطق شبه الصحراوية في افريقيا وامريكا الجنوبية.

ان ارث التطور على هذا الكوكب - التنوع في الجينات - مركز بشكل كبير في هذه الغابات، ولهذا فانها تختفي في هذه الايام بشكل كبير لم نشاهد مثله منذ عصر الديناصور وبشكل لم يسبق له مثيل. ويقدر علماء الاحياء ان الانواع تنقرض في الغابات الاستوائية من ١٠٠٠ - ١٠٫٠٠٠ مرة اسرع من الانقراض الطبيعي، فحوالي ٢٠٪ من الانواع التي تعيش حاليا ستكون قد اختفت مع حلول عام ٢٠٠٠،

Digitized by Birzeit University Library

وسنلمس الخسارة جماليا وعلميا وفوق ذلك اقتصاديا، ان هذه المصادر الجينية مصادر مهمة للطعام والمواد اللازمة للطاقة والبناء، والكيماويات اللازمة للمواد الطبية والصناعة، وضوابط طبيعية للامراض وعشرات الاستعمالات الاخرى. ومما يثير السخرية المرة، ان التنوع الجيني يختفي بقدر كبير في الوقت الذي جعلت التكنولوجيا الحيوية من الممكن استغلال هذا المصدر في المستقبل.

انجراف التربة هو محط اهتمام اخر، وهو سبب ونتيجة معا للفقر، فالتصحر يقلل من انتاجية الزراعة في مساحة تقارب ٢ مليون هكتار، الاسباب هي الزراعة والرعي الزائدين عن الحد الطبيعي، والانجراف، والملوحة، والاشباع بالماء الناتج عن الري المنظم بطريقة غير جيدة.

واخيرا فان اشكال ملكية الارض، ورغم انها ليست قضية بيئية، لها اثار بيئية كبيرة، ففي عام ١٩٧٥ كان ٧٪ من ملاك الاراضي في امريكا اللاتينية يمتلكون ٩٣٪ من الاراضي الصالحة للزراعة في تلك المنطقة الواسعة، ونتيجة لذلك، فان الجماهير الغفيرة من القرويين مدفوعة للعيش في الاراضي الوعرية غير الصالحة،وهي غالبا منحدرات جافة وقابلة للانجراف وفي وسط الغابات، ان اصلاح الاراضي من اصعب مهمات المطالب الاساسية، ولكن بدونها فان بلدانا عديدة غير قادرة على خلق قطاع اقتصادي صحي من اجل النمو الاقتصادي.

يقود الانحطاط البيئي احيانا وبشكل مباشر الى نزاعات،خصوصا عندما يكون هناك اقتسام لمصادر المياه الشحيحة، وبشكل عام، فان اثارها على امن الامة يمكن لمسها عن طريق انخفاض النشاط الاقتصادي وكذلك على الاستقرار السياسي، ان اسباب الغليان الحقيقية غالبا ما يتم تجاهلها، وبدلا من ذلك، تحاول الحكومات حل مشاكل الفقر والاستقرار وهي نتائج لذلك.

الاوضاع في مناطق افريقيا شبه الصحراوية، على سبيل المثال، مأساوية، ففي نصف العقد الاول انخفضت عائدات الصادرات بنسبة الثلث تقريبا، وارتفعت الديون الى ٥٨٪ من الناتج القومي، وازداد استيراد الطعام بنسبة عالية بينما انخفض الاستهلاك وانخفض الدخل القومي لكل فرد اكثر من ٣٪، ان جزءا كبيرا من هذه المشاكل يمكن ان نجد سببا له في الاعتماد على المصادر الطبيعية التي لا يحسن استعمالها.

ان قدرة المنطقة على الانتاج تقل بسبب الضغط الناجم عن النمو السريع لعدد السكان الذين لا يقدرون على ان يعيدوا للارض ما يأخذونه منها،وهكذا ندخل في دائرة شريرة من فقر الانسان والموارد الطبيعية، وبينما يزول الغطاء الاخضر من النباتات والاشجار والشجيرات والاعشاب،بسبب ازالة الغابات والرعي الزائد عن الحد الطبيعي،تفقد الارض قدرتها على استعادة الرطوبة وتغذية المحاصيل ويزداد الانخفاض كلما حرق المزارعون الروث وبقايا المحاصيل بدل الاخشاب بدل استخدامها للحفاظ على التربة،وهكذا يزداد تراجع الزراعة وتصبح الارض اكثر عرضة للامطار المتغيرة طبيعيا - وتلك علامة كبيرة للمناطق القاحلة وشبه القاحلة وهكذا تتحول فترات الجفاف الى فترات مجاعات ينقص فيها الغذاء.

اذا لم تعالج قضايا السكان والمصادر هذه،كما هو الوضع الان في كثير من دول العالم، فان الانحطاط الاقتصادي سيقود الى الاحباط وقلاقل داخلية او حتى حرب اهلية، ان المعاناة الانسانية والاضطرابات تهيىء البلدان لحكومات مطلقة او دمار خارجي: وينشر اللاجئون البيئيون التمزق على الحدود القومية.

وقد ظهر نوع اخر من الاهتمام البيئي نتيجة المقدرة البشرية الجديدة على تغيير موازين البيئة والكوكب، ان طبيعة الارض تتشكل بخواص اربعة من العناصر (الكربون،

Digitized by Birzeit University Library

النيتروجين، الفوسفور والكبريت) وسكانها الاحياء (المحيط الحيوي) وعن طريق تفاعل الجو مع المحيطات الذي ينتج عنه الطقس.

ان البشرية تغير دائرة الكربون والنيتروجين، وقد زاد تركيز ثاني اكسيد الكربون في الجو بنسبة ٢٥٪، وقد حدث هذا بشكل كبير في العقود الثلاثة الاخيرة بسبب استخدام وقود المتحجرات وازالة الغابات، كما ان انتاج الاسمدة التجارية ضاعف كمية النيتروجين الذي توفره الطبيعة للكائنات الحية، وادى استخدام فئة واحدة من الكيماويات، الكلوروفلوروكاوبونيات، الى وجود خرق في طبقة الاوزون بحجم القارة فوق قارة انتاركتيكا (القطب الجنوبي)، وتسبب في خسارة قليلة،لكنها متزايدة،في طبقة الاوزون المحيطة بالارض، ان هذه التغيرات مجتمعة يمكنها ان تغير الظروف التي تطورت فيها الحياة على الارض.

ان تأثير البيوت البلاستيكية ناجم عن حقيقة ان المحيط الجوي للارض نفاذ بشكل كبير للاشعاعات القادمة من الشمس ولانها تمتص الكثير من الاشعاعات ذات الطاقة المنخفضة التي تعكسها الارض، هذه الظاهرة تدفىء الارض بما فيه الكفاية لتعيش الكائنات الحية، ولكن مع ازدياد انبعاث ثاني اكسيد الكربون وغازات البيوت البلاستيكية الاخرى تدفأ الارض بطريقة غير طبيعية، وليس معروفا بالضبط كم تبلغ التدفئة وما هي سرعتها، ان الاوضاع الحالية توضح انه ستزيد الحرارة في العالم من ١٫٥ - ٤٫٥ درجة مئوية في اوائل الثلاثينات من القرن القادم، ومنذ ٢ مليون سنة وقبل ظهور المجتمع الانساني، وفي الحقيقة حتى قبل ظهور الانسان لم تبلغ درجات الحرارة الى هذا الحد.

سيكون ارتفاع درجات الحرارة احد نتائج استمرار التدفئة بالبيوت البلاستيكية، وفي مرحلة معينة، وربما قريبا جدا،فان ظروف التكاثف ستتغير،ومن المتوقع ان تقوم تيارات المحيطات بنفس الشيء وتغير جذريا طقس مناطق عديدة، وسيرتفع مستوى المياه في البحار بسبب التمدد الناجم عن ازدياد حرارة الماء وبسبب ذوبان الثلج الموجود على الارض والارتفاع المتوقع في المستوى سيبلغ من ٣ر - ٢ر١م في عام ٢٠٥٠، وارتفاع كبير كهذا سيغمر مناطق ساحلية شاسعة وسيجرف السواحل، وسيدمر المستنقعات (وهي اراض ذات انتاجية بيولوجية عالية) ويلوث مصادر المياه عن طريق تعدي المياه المالحة، وسيهدد الحصة الكبيرة من الاقتصاد العالمي القائمة على الشواطىء.

وسيكون هناك نتائج ايجابية ايضا، حيث ستنمو بعض النباتات بسرعة اكبر بسبب تسميدها بثاني اكسيد الكربون الاضافي، (كثير منها ستكون اعشاب) وقد يزداد هطول المطر في المناطق القاحلة حاليا ولكنها خصبة مثل اجزاء من المناطق الشبه صحراوية في افريقيا، وستتحسن ايضا شروط الزراعة في المناطق الشمالية التي تتوفر فيها التربة والمصادر المائية، ورغم ذلك، فان المجتمعات الانسانية سواء الصناعية او الزلاحية تعتمد على العمل الطبيعي للطقس الذي يمكن توقعه، ولكن الطقس الذي سيتغير لن يكون بالامكان توقعه اقل فقط لانه سيكون مختلفا ولكنه يمكن ان يكون اكثر تقلبا، ويعتقد الكثير من علماء الطقس انه من تراكم غازات البيوت البلاستيكية التي تخرج الطقس عن توازنه فان التطرف في الطقس - مثل الاعاصير والجفاف والبرودة الشديدة والاعاصير الاستوائية - ستكون اكثر وربما اشد.

لان التغير في المناخ سيكون ملموسا في كل قطاع اقتصادي، فان التكيف مع اثاره سيكون مكلفا جدا، الدول النامية بحكم احتياطها

Digitized by Birzeit University Library

الصغير من رأس المال ونقص العلماء والمهندسين لديها، وبشكل عام فان ضعف الحكومة المركزية سيكون الاقل قدرة على التوافق، ومن المؤكد ان الهوة بين الدول النامية والمتطورة ستكبر، والكثير من اساليب التوافق ستكون مكلفة جدا مما يمنع استخدامها، وكثير من آثارها، خصوصا على الحياة البرية والنظام الصحي سيكون بعيدا عن قدرة الانسان على الاصلاح، ان الاستراتيجية الكونية التي تعتمد على التوافق المستقبلي تعني بالتأكيد المزيد من التكاليف الاقتصادية والانسانية وخسارة بيولوجية بشكل كبير اكبر من الاستراتيجية التي تهدف الى ضبط مدى وسرعة زيادة الحرارة.

تغيرات البيوت البلاستيكية مرتبطة بشكل كبير بنفاذ طبقة الاوزون، التي تتسبب بها الكلوروفلوروكاربونيات، ان ازدياد اشعاعات الاشعة فوق البنفسجية الناجمة عن خسارة تلك الطبقة الواقية سيؤدي الى زيادة في سرطان الجلد وامراض العيون وسيكون لها آثار كثيرة غير مؤكدة على الحياة النباتية والحيوانية وقد تعوق النمو الطبيعي لجهاز المناعة لدى العديد من الانواع، ان نفاذ طبقة الاوزون امر خطير بحد ذاته، وهو يوضح مظهرا مزعجا من مظاهر قدرة الانسان على تسبيب تغيرات كونية، انه لمن المستحيل توقع الاثار بعيدة المدى للمواد الكيماوية الجديدة او تفاعلاتها على البيئة.

ليس فقط من الصعب توقع كل الاثار الممكنة لنظام معقد ومترابط جدا، بل ان النظام نفسه ما زال يصعب فهمه، فعندما اعلن العلماء بريطانيون عن ظهور فجوة في طبقة الاوزون بحجم القارة فوق انارکتيكا،تسبب هذا الاكتشاف بصدمة في المجتمعات العلمية (انظر ديالوج ٨٢) ورغم ان نفاذ طبقة الاوزون كان موضوعا للعديد من الدراسات المكثفة والنقاشات لفترة تزيد عن العقد، فان احدا لم يتوقع الفجوة بقدر انارکتيكا ولا توجد اي نظرية تعطي مبررا لها.

هذا هو الدرس: المعرفة الحالية بعمل الكواكب ضئيلة جدا حيث ان امكانية المفاجأة، ربما مفاجأة قدرة، يجب ان تعتبر اكثر من عالية، ان المخاطرة الكبرى يمكن ان تأتي من جهة غير محسوبة بشكل كامل، انه ينقصنا المعرفة الدقيقة واجهزة انذار مبكر.

ومع غياب التغيير العميق في علاقة الانسان مع البيئة، فان المستقبل لا يبدو براقا. لننظر الى الارض بدون هذا التغيير في عام ٢٠٥٠. والمخطط للنمو الاقتصادي ان يتضاعف ٥ مرات، واذا استمرت اتجاهات ما بعد ١٩٧٣، فانه من الممكن ان يتضاعف مرتين او ثلاثة. ويستهلك الانسان او يدير الان ٤٠٪ من الطاقة الناجمة عن التمثيل الضوئي،اي ٤٠٪ من طاقة الغذاء المتوفرة للكائنات الحية على الارض.وبينما يمكن اسناد هذا الجزء فانه من المشكوك فيه المحافظة على هذا المدى في حالة تضاعف سكان العالم كما هو متوقع. ان استخدام الانسان ل ٨٠٪ من الطاقة الانتاجية للارض لا يبدو منسجما مع استمرار عمل المحيط البيولوجي كما نعرفه، ان النسبة المتوقعة لخسارة الانواع قد زادت من بضعة انواع الى عدة مئات يوميا، فاعباء التلوث والمخلفات السامة يبدو انها ستثبت انه لا يمكن التحكم بها. وستكون الغابات الاستوائية قد اختفت بشكل واسع، وان الارض الصالحة للزراعة، المصدر الحيوي في عالم يقطنه ١٠ بلايين نسمة، فستقل بسرعة بسبب تعرية التربة، باختصار، ان التغير الكاسح في الانتاج الاقتصادي ليس خيارا بل ضرورة.

ولحسن الحظ فان هذا العرض المثير للاشمئزاز للاوضاع عام ٢٠٥٠ ليس توقعا، ولكنه تقدير يقوم على اساس التوجهات الحالية، وككل التوقعات فانه يقول الكثير عن الحاضر والماضي القريب اكثر من المستقبل. فليس مقدرا على الارض ان تغرق في ضمور مؤلم وبطيء من

Digitized by Birzeit University Library

الفوض البيئية، فهناك حلول تقنية وكيماوية واقتصادية ممكنة، وقد عرف بما فيه الكفاية عن المداخل الجديدة الواعدة لنكون واثقين من ان الطرق الصحيحة للبحث ستعطي ارباحا هائلة، هناك فرص كثيرة ضائعة ومطمورة بفعل الممارسات الحالية،واذا عولجت هذه الامور فانها ستجلب منافع هائلة وتتطلب بعض هذه الخطوات فقط اعادة تخفيض الاموال بينما تتطلب اخرى نفقات مالية ضخمة لا يمكن الوفاء بها، ان ما تتطلبه هذه الخطوات هو تغيير كبير في الاولويات.

وعلى سبيل المثال، تكلف خدمات التخطيط العائلي مبلغا قليلا قيمته ١٠ دولارات لكل مستخدم سنويا، وهو مبلغ ضئيل من تكاليف الاحتياجات الانسانية الاساسية التي يجب الوفاء بها، ان الفرص المعروفة حاليا لزيادة فعالية استخدام الطاقة في الولايات المتحدة تكلف من ٢/١ (نصف) الى ٧/١ (سبع) تكاليف موارد الطاقة الجديدة وتتوفر التوفيرات المماثلة في معظم البلدان الاخرى. ان اساليب زراعة الغابات، التي تختار فيها وبدقة اشجار وشجيرات لتزرع جنبا الى جنب مع المحاصيل، لا يمكن ان تعوض الحاجة الى شراء الاسمدة ولكنها ايضا تحسن نوعية التربة وتوفر ماء اكثر للمحاصيل، وتمنع نمو الاعشاب وتوفر طاقة خشبية ومحاصيل زراعية اعلى في نفس الوقت.

ولكن اذا كانت الفرص التكنولوجية غير محدودة فان الحواجز الاجتماعية والسياسية والمؤسساتية ضخمة، ان الاعانات المالية والسياسات المكلفة، ونسبة اقتصاد الحسم تشجع استنفاد المصادر تحت اسم النمو الاقتصادي بينما تعطي انطباعا مخطئا عن النمو المؤازر، ويظل الضبط السكاني قضية مثيرة للجدل في الكثير من بقاع العالم. ان الامتيازات التقليدية للشعوب والامم تتوافق بشكل ضعيف مع الحاجات المنطقية للتعاون ومع القرارات الكونية.

ان التغلب على الحواجز السياسية والاقتصادية سيتطلب اختراعات اجتماعية ومؤسساتية شبيهة،من حيث الحجم والمدى بالاجراءات الجديدة التي اتخذت في العقد الذي تلا الحرب العالمية الثانية، وبدون التحول السياسي الحاد المتمثل بحرب كبيرة ومع التهديدات المنتشرة وطويلة المدى فان المهمة ستكون اكثر صعوبة. ولكن اذا كنا نريد ان نتجنب دمارا لا رجعة عنه للكوكب وخسارة عظيمة من المعاناة الانسانية فانه لا شيء من ذلك يكفي، ان قائمة جزئية من التغيرات المحددة تري كم تتطلب هذه المهمة.

ليست هناك امة او مجموعة من الامم تستطيع ان تواجه تحديات التغير البيئي، وليس هناك امة تستطيع ان تحمي نفسها من افعال الاخرين او خمولهم.

ان تحقيق نمو اقتصادي مسؤول سيتطلب تغييرا في نمط الزراعة واستخدام الطاقة والانتاج الصناعي على المثال الطبيعي واعادة اختراع هذه الامور في الحقيقة، هذه الانظمة الاقتصادية يجب ان تصبح دائرية بدل ان تكون مستقيمة، ان الصناعة والتصنيع ستتطلب عمليات تحتاج الى مواد وطاقة لها فعالية عالية، واعادة تدوير المنتجات الجانبية كي تنتج دمارا اقل.

ان الطلب على الطاقة يجب ان يقابل بفعالية عالية منسجمة مع النمو الاقتصادي الكامل، وستعتمد الزراعة بشكل كبير على خدمات النظام الصحي الحر بدلا من الاعتماد المكثف تقريبا على البدائل التي يصنعها الانسان، وعلى جميع الانظمة ان تسعر البضائع والخدمات

Digitized by Birzeit University Library

لعكس التكاليف البيئية لشروطها.

خطوة حيوية اولى، يمكن ويجب ان تؤخذ في الفترة القريبة جدا، ستكون اعادة اختراع حسابات الدخل الوطني التي يقاس بها الدخل القومي،التي هي الاساس الذي يجب ان يبنى عليه الاقتصاد الوطني، ولكن حساباتها تأخذ بعين الاعتبار نفاد المصادر، انه يمكن لبلد استهلاك غاباته، حيواناته البرية والاسماك ومعادنه ومياهه النظيفة والتربة الخارجية بدون ان نرى انعكاسا لذلك في الخسارة في الدخل القومي. وكما لا يتم تقدير خدمات النظام الطبيعي - المحافظة على خصوبة الارض، تخزين مياه المطر وتنقية الهواءلضبط الجو - رغم ان خسارته ستقود الى مصاريف هائلة والنتيجة هي ان صانعي السياسة الاقتصادية يقادون الى الخطأ على يد دليلهم الرئيسي.

الخطوة الثانية هي اختراع مجموعة من المؤشرات يمكن بواسطتها قياس الصحة البيئية.والتخطيط الاقتصادي سيكون عائما بدون الدخل القومي ونسبة البطالة وامثالها والتخطيط الاجتماعي بدون مؤشرات ديموغرافية - معدلات الاخصاب، ووفيات الاطفال، الامية، توقعات الحياة، ستكون مستحيلة ولكن هنا تقف السياسة البيئية حاليا.

تتطلب مساعدة التطوير ايضا وسائل جديدة، فقد وجد المتبرعون ان نسبة نجاح المشاريع اعلى عندما تقوم منظمات غير حكومية بتوزيع الاموال وادارة المشاريع،وهذا صحيح بشكل خاص في الزراعة والغابات ومشاريع التخزين. والاسباب ليست غامضة، فمثل هذه المشاريع بعيدة اكثر عن المركزية ومتوافقة اكثر مع الحاجات والرغبات المحلية وهنا نسبة اعلى من المشاركة المحلية في تخطيط المشاريع وهي غالبا صغيرة الحجم ومع ذلك غير قادرة على مسك كميات كبيرة من ميزانيات التطوير وغالبا ما يهدد وضعها المستقل الحكومات الوطنية، ان ايجاد سبل للاستفادة اكثر من قوة مثل هذه المجموعات بدون اضعاف الحكومات الوطنية اولوية اخرى للتجديد المؤسساتي.

يجب ايجاد سبل افضل من اجل تحويل القوة العلمية والهندسية للدول الصناعية لحل مشاكل الدول النامية وتتضمن التحديات معرفة الكوابح والظروف المحلية لوضع الاسئلة الصحيحة، ان اجراء مثل هذا البحث تحد مهني للعلماء ولنقل التكنولوجيا بفعالية اكبر ويمكن تطوير المراكز الدولية للبحث الزراعي التي تم انشاء ١٣ مؤسسة مشتركة منها في الستينات ويمكن تطبيق ابحاثها في مناطق اخرى.

وعلى الجبهة السياسية فان الحاجة الى دبلوماسية ومؤسسات جديدة ولانظمة قانونية تتوافق مع ازدياد اعتماد العالم على بعض في الامور البيئية، ان تعريفنا المقبول لحدود السياك القومية المتطابقة مع الحدود الوطنية بات مهملا، فحكومة بنغلادش، رغم كل الجهود التي بذلتها، لا تستطيع منع الفيضانات المأساوية مثل التي اجتاحت بنغلادش عام ١٩٨٨، فمنعها يتطلب التعاون النشط من قبل نيبال والهند، وحكومة كندا لا تستطيع حماية مصادرها المائية من المطر الحامض بدون تعاون حكومة الولايات المتحدة، وهناك ١٨ امة مختلفة تشترك في البحر الابيض المتوسط الملوث بشكل كبير وحتى جزر البحر الكاريبي، وكما هي مفصولة عن بعضها، تجد نفسها بسياسات اخرى لادارة الطاقة مثل الجراد، بشكل لا يلفت الانتباه تتكاثر عبر اجيال من التعرض للمبيدات والان قوية بما فيه الكفاية للطيران من افريقيا وتغزو باستمرار شواطئها.

ان غالبية المشاكل البيئية تتطلب حلولا منطقية تتجاوز ما نفكر به الان كامتيازات للحكومات الوطنية، وهذا بسبب كون الظواهر نفسها معرفة بحدود المياه والنظام الطبيعي او

Digitized by Birzeit University Library

النقل الجوي وليس بالحدود القومية،وفي الحقيقة فان تكاليف وفوائد السياسات البديلة لا يمكن دائما الحكم عليها بدقة بدون اخذ المنطقة بعين الاعتبار.

ستحتاج الدول النامية الى تجميع جهودها من اجل البحث عن الحلول، ان ثلاثة ارباع عدد سكان الدول في افريقيا شبه الصحراوية على سبيل المثال، اقل من سكان مدينة نيويورك، ان الامكانات العلمية وامكانيات البحث لا يمكن ان تبنى على قاعدة شعب صغير ولهذا يجب ان يكون هناك تعاون في المنطقة.

ان التعامل مع المتغيرات الكونية سيكون اكثر صعوبة، فلا تستطيع امة واحدة او مجموعة من الامم ان تواجه هذه التحديات او تحمي نفسها من افعال او خمول الاخرين، ولا توجد هناك اي مؤسسة قائمة تستطيع التلاؤم مع هذه المعايير، سيكون من الضروري تقليص هيمنة علاقات القوى العظمى التي غالبا ما تشجع بعض الدول على تبني مواقف الانتظار (انتم تحلون مشاكلكم اولا ثم تتحدثون معنا عن التغير).

وعلاوة على ذلك، يجب ايجاد وسائل للدوران حول الشق العميق بين الشمال والجنوب واستبدالها بحس على مستوى الكوكب بالمصير المشترك، وربما يمكن مواصلة نجاحات وكالات الامم المتحدة المتخصصة من اجل هذا الهدف. ولكن بالتأكيد فان مهمة تشكيل سياسة طاقة دولية من اجل ضبط اثار البيوت البلاستيكية، على سبيل المثال، ما زال بعيدا عن المثال مثل القضاء على مرض الجدري واقتسام المعلومات عن الطقس.

ان اشكال الحوار الحالية - قانون معاهدة البحار وحتى الاتفاقية الواعدة لحماية طبقة الاوزون - غير كافية، لانه ينقضي ١٥ عاما من المفاوضات قبل دخول هذه الاتفاقيات حيز التنفيذ، وربما ١٠ سنوات اخرى لاحداث تغيرات ملموسة في السلوك (معاهدة الحد من الاسلحة النووية التي احتاجت فقط الى سبع سنوات لاكمال هذه الخطوات استثناء ملحوظ) اننا سنحتاج الى مداخل افضل بكثير.

ومن بين المداخل الجديدة فان الصعوبة الاكبر ربما تكون ايجاد سبل للتفاوض بنجاح في ظل وجود شكوك علمية ملموسة، ان الوضع الحالي ثابت، سنين من المفاوضات تؤدي الى نتائج مثمرة ويجب ان يكون الشكل الجديد مرنا يسمح لعملية متحركة من اتفاقيات متوسطة ويمكن التوافق معها ذاتيا وتتجاوب بسرعة مع الفهم العلمي النامي. ان اتفاق مونتريال الاخير حول طبقة الاوزون يعطينا سابقة مفيدة،حيث ان ثلث الاطراف يمكن ان يعقد اجتماعا للعلماء والخبراء لبحث الحقائق الجديدة عندما تتوفر، ان الشكل الجديد يتطلب طرقا اقتصاديا جديدة لتقدير المخاطر،خصوصا عندما تصبح النتائج الممكنة غير قابلة للعكس وستعتمد على دور سياسي نشط لعلماء الاحياء والكيمياء اكثر مما اعتادوا عليه، وتنافس تقني اكبر في مجال العلوم الكوكبية والطبيعة بين صانعي السياسة.واخيرا فان الشكل الجديد سيتطلب دورا فعالا وبناءا اكثر للقطاع الخاص.

ان انزال مستوى الصناعات المتأثرة الى مستويات ادنى والعدائية والتداخل الاجنبي غالبا ما يضمن عملية بطيئة. ان اتفاق الاوزون، لنعود الى المثال السابق، كان من غير الممكن التوصل اليه بهذه السرعة،وربما لم يكن ممكنا التوصل اليه ابدا،لولا التعاون بين منتجي الكلوروفلوروكاربونيات.

وبشكل عام فان القانون الدولي قل تأثيره في السنوات الاخيرة، وبقيادة والتزام القوى العظمى يمكنها ان تستعيد وضعها الذي خسرته، ولتكون فعالة، فان الاتفاقات المستقبلية تتطلب شروطا لمراقبة التطبيق والتعويض حتى عندما

Digitized by Birzeit University Library

لا يمكن تحديد الخسارة بقيمة مالية دقيقة، وفي هذه المواضيع كان القانون الدولي دائما ضعيفا.

قال روبرت أينشتاين معلقا على اكتشاف الطاقة الذرية: "لقد تغير كل شيء"، وفي الواقع تحول الانشطار النووي الى القوة السائدة - عسكريا وجيوسياسيا وحتى نفسيا واجتماعيا - في العقود التالية. وفي نفس الوقت فان القوة الكاسحة في العقود القادمة ربما سيكون التغير البيئي، وما زال الانسان معتمدا كليا على العالم الطبيعي،ولكن الان ولاول مرة في التاريخ لديه القدرة على تغيير ذلك بسرعة وعلى نطاق عالمي كبير، وبسبب الاختلاف فان رأي أينشتاين "انه يجب علينا ان نطلب طريقة تفكير جديدة اذا كان الجنس البشري سيواصل الحياة" ما زال يبدو انه صحيحا.

السفاح «بوبر» مقرب من «كاخ و «دولة يهودا»

كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» ٥/٢٥ النقاب عن ان عامي بوبر الذي ارتكب مجزرة «ريشون ليتسيون» ليس غريبا عن جهاز منظمة المستوطنين المسماة «بدولة يهودا».

واضافت الصحيفة انه في يوم الجريمة وقبل نشر اسم المجرم على الملأ قال احد العاملين في جهاز هذه المنظمة في محادثة هاتفية ذاكرا اسم المجرم حرفيا: ان هذا الاسم ظهر على قصاصة ورق كأحد النشطاء الذين طلبوا الانضمام الى منظمة «دولة يهودا» وقمنا بتسجيل عناوينهم.

واضافت الصحيفة ان احدى الشخصيات المعروفة في حركة «كاخ» العنصرية قال: ان الجاني مقرب لهذه الحركة وانه شارك في عدة نشاطات للحركة في «ريشون ليتسيون».

صديق «السفاح» يفكر في تقليده في «ذبح» العرب

ذكرت صحيفة (معاريف) ٥/٢٥ ان الشرطة اعتقلت شابا يبلغ من العمر ١٧،٥ عاما من (ريشون ليتسيون) وهو صديق للقاتل الذي نفذ جريمته البشعة يوم الاحد ٥/٢٠ في البلدة بعد ان تلقت معلومات تشير الى تفوهه بأقوال تشير الى نيته محاكاة زميله في ذبح مجموعة من العمال العرب.

وقال الشاب لاصدقاء له انه سوف يحصل على قنابل يدوية من اجل تنفيذ المهمة وذلك لكي يحصل على شهرة كالشهرة التي حصل عليها صديقه في وسائل الاعلام.

وقامت الشرطة بتفتيش بيته لكنها لم تعثر على شيء. واطلق سراحه بعد ان تم تحذيره.

Digitized by Birzeit University Library

راجح غنيم
زيتونة لا تموت
واهازيج لا ترحل

أسعد الأسعد

حين هاتفني احد الاصدقاء، ليخبرني بوفاة ابو احمد، راجح غنيم السلفيتي لا أدري، لماذا لفت بي الدنيا، رغم اني كنت اتوقع الخبر، فقد تدهورت صحته في الاشهر الاخيرة، بشكل كبير، عدت الى الايام الاولى التي جمعتني بهذا الرجل ..... كان ذلك منذ عشرين عاما، فانا لم اعرف راجح قبل ذلك، غير ان السنوات العشرين هذه، جعلتني اعرفه جيدا، منذ ان انخرط في صفوف المقاومة الفلسطينية عام ١٩٣٦، ثم امتدى بوعيه الطبقي والسياسي، الى حيث جموع العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين، فكان واحدا من المتحمسين لعصبة التحرر الوطني، ومن يومها ظل مخلصا لشيوعيته فذاق شتى الوان العذاب في سجون الاردن. ومن بعد في سجون الاحتلال الاسرائيلي. وعانى

راجح غنيم السلفيتي

Digitized by Birzeit University Library

من التشرد والمنافي، وحط رحاله أخيرا في بلدته سلفيت، التي ما فارقته لحظة واحدة، وظل يغني لها، اينما رحل، مرت بي سيرة راجح غنيم، كأنها شريط متصل، كان اذا اعتلى المنصة لا يتركها الا وقد أعياه التعب، واغلقت حنجرته، فيشفق عليه الجمهور، ويجبروه على التوقف، فينصاع مكرها، وهو الذي يجد حياته ملكا لشعبه ومحبيه، اذكر كيف كان يقضي ايامه، لم يرفض لأحد طلبا أو دعوة، وإذا تضاربت المواعيد، كان يغني هنا وهناك وهناك في نفس اليوم والليلة، يرتاح قليلا، ويواصل، أذكر مرة دعينا الى امسية ثقافية فنية في سخنين، كنا سميح القاسم، ومحمد علي طه، وخليل توما وأنا، وراحلنا الكبير، انتهينا من الاحتفال في منتصف الليل، فجأة غير راجح رأيه، وقرر أن يبيت ليلته في سلفيت، حاولنا جميعا ان نثنيه عن رأيه، فلم نستطع، بل كان يشتاط غضبا كلما بدأ أحدنا في الحديث عن ذلك، لم يستطع ان يبيت ليلة واحدة بعيدا عن سلفيت، وبعيدا عن اسرته، قطعت الحديث مكرها، وقفلنا عائدين، وصلنا سلفيت مع اذان الفجر، تنفس الصعداء وهو يفتح باب السيارة مودعا، قلت لخليل توما، غريب امر هذا الرجل، انظر اليه، كأنما عادت اليه الحياة ...

لم تلهه مشاغله الكثيرة عن واجب، مواساة صديق، او عيادة مريض، او واجبات اجتماعيه أخرى، كان راجح بقمبازه الذي لم يفارقه ابدا وحطته وعقاله، واحدا من قلائل، تجسدت فيهم روح شعبنا الفلسطينين العظيم، راجح غنيم، قصة شعب، وحياة جيل، مات في السبعين من عمره، وهو لايزال شابا يانعا، مثل زيتون سلفيت، اعطى عمره لشعبه ووطنه، ولم يبخل بشيء، مضى وهو ينفطر ألما لانه لم يتحمل كل هذا العذاب، كان يتمنى لو يمد الله في عمره، حتى يعطي ويعطي، فما زال لديه الكثير، في الساعات الأخيرة، حين كان يصارع المرض، سأله احد الاصدقاء:

- ما بك يا أبا أحمد؟
- ابني احمد في السجن، اريد ان اطمئن على موقفه هناك
- اطمئن، ابنك مثلما انت، احمد راجح السلفيتي، صامد هناك، مثلما ربيته وعلمته اخذ نفسا عميقا، واسترخى في سريره بمستشفى المقاصد، وراح يردد
- الآن اموت مرتاحا، لست قلقا ولا خائفا على شيء.

احمد، يقبع في السجن، مرض والده، ورحل دون ان يرى أحدهما الاخر، لكن اولاده، ودعوه، وكانوا معه يوم وداعه الاخير في سلفيت، الاف الشبان من محبيه، جاءوا لوداع والدهم وحبيبهم، والاف غيرهم حالت نقاط التفتيش، وحظر التجول، آلاف من المعتقلين، كان بودهم ان يحضروا لوداعه، لكنهم لم يستطيعوا.

رحل ابو احمد، قرمية، من اعز واجمل ما انبتت فلسطين، انحنت للموت، وهزتها الريح المجنونة، لكنها ملأت جبالنا وُديتنا بالسنابل والشجيرات العديدة، سوف تظل تعطي، ولن تقدر عليها الريح مهما عصفت.

نم يا أبا احمد، نم قرير العين، فأنت حي في قلوبنا، وعلى شفاهنا، أزجالك وأغانيك، زوادتنا للصبح الذي نراه قريبا كما كنت تراه دائما، وحتى يطلع فجرنا، سوف نظل نردد أغانيك.

اتعلمي سر النضال اتعملي واصبري عالضيم ولا تتألمي

Digitized by Birzeit University Library

سوف نتعلم ولن نكف عن النضال من اجل حقنا المقدس والمشروع، ولن نتألم مهما بلغت جراحنا وآلامنا، فمن جرحنا يطلع النوار، ومن آلامنا يشقشق الفجر، لك محبتنا ايها الراحل الكبير، ولذكراك حبات قلوبنا التي ما انفكت تتناغم على صوت اهازيجك وازجالك. أما «الملبسة» التي منعوك ان تعطيها لطفلتك عبر «شبك» السجن ذات يوم، سوف نوزعها «ملبسات» كثيرة، بعدد اطفال فلسطين، يوم خلاصنا الاتي، ويوم تتحقق الامنيات والاهداف التي افنيت عمرك من اجلها، ونحن واثقون أن ذاك اليوم آت.

نعي
شيخ الزجالين

اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ينعي أحد أعضائه البارزين شيخ الزجالين.

راجح غنيم السلفيتي

ان افتقادنا لشاعرنا الكبير، خسارة كبيرة، لا يعوضها غير تراثه الغني الذي خلفه والذي يشكل شموعا تضيء لنا بعض هذا الليل المدلهم، وعزاؤنا في تلاميذه الذين يملأون جنبات الوطن غناء واهازيج تصدح بالفجر الآتي والذي غنى له راجح طول حياته.

ونتقدم من عائلته وأهله وذويه بالعزاء الحار.

له الرحمة ولكم من بعده طول البقاء

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

Digitized by Birzeit University Library

الرواية الفلسطينية اواخر الثمانينات

الحياة - الثورة - الخروج - المصير

د. حسام الخطيب

١- الرواية الفلسطينية هي الحياة الفلسطينية

"الرواية هي الحياة" تنسب هذه المقولة الى الكاتب الانكليزي د. هـ. لورنس، مثلما تنسب قولة "الاسلوب هو الرجل" الى الأديب الفرنسي بيفون. ولكن من المحتمل أن يكون لينين قد قال شيئا من ذلك، أو مكسيم غوركي أو أناتولي لوناتشارسكي. فقولة "الرواية هي الحياة"، شأن قولة "الاسلوب هو الرجل"، سرعان ما اكتسبت سيرورتها الخاصة، ولم يبق مهما أن تسند الى قائلها. وهي من نوع ذلك الكلام الذي يقول للمرء على ذمة ي. م. فورستر، التي باركها ت. س. اليوت: " .. أنا الموجود في الواقع لا مؤلفي". على أية حال، يمكن للانسان أن يشك في نسبة مثل هذه المقولات الى اصحابها، ولكن يصعب ان يشك في صحتها. واذا حدث أن شك أحد فان تجربة الرواية الفلسطينية في الثمانينات، وقبلها في السبعينات، وقبلها في الستينات - ونقف هنا فقبل ذلك كأن الشعر هو الحياة - تكفي وحدها لتبديد سحب الشك ودرء الشبهات.

ومن أراد أن يتأكد - ولو من باب طمأنة القلب - فلا يأخذن رواية معينة براقة، أو روايتين أو ثلاثا، ليقرأروايات فترة محددة، ولينس فذلكات النقد وهلوسات التذوق - وعليه أحيانا أن ينسى الفاعل والمفعول:- وليسأل نفسه بعد اتمام الختمة عن ذلك الشيء الذي تقدمه جمهرة الروايات، أيمكن أن يكون سوى مشاهد حية من تجربة الشعب المعاني، فيها من التفعيل والصدق والتمثيل لوجهي الحقيقة الخارجي والداخلي أكثر مما يمكن أن تقدمه أية وثائق تاريخية أو حتى تقارير استخباراتية.

وهذه الشهادة الراهنة - التي نضعها بين يدي القارىء - هي حصيلة قراءة أكبر عدد ممكن من الروايات الفلسطينية، أي التي كتبها فلسطينيون في دار الاقامة أو في ديار الشتات، خلال النصف الثاني من ثمانينات القرن، أي السنوات الخمس الأخيرة (١٩٨٥ - ١٩٨٩).

* ذلك لأن بعض الروايات لا تميز الواحد من الآخر

Digitized by Birzeit University Library

وانه لشريط حي مثير ذلك الذي تعرضه سينما الرواية الفلسطينية، وانه لشريط دوار مستمر موصول الأول بالآخر والآخر بالأول كأفلام دور العرض في مراكز المدن الغاصة بالسكان وانه لشريط متعدد الأصوات، متنوع الألوان، متجدد التقنيات، وانه فضلا عن ذلك كله شريط من الأدب المكشوف، ليس لديه - بعد كل الذي حدث وكل الذي صار - ما يخفيه، وانه ليسمي أو يكاد يسمي الأشياء والمخلوقات بأسماءها حين يتصل الأمر بالشأن الفلسطيني، ويختلف الأمر حين يتوسع الشأن الى اطاره العربي، فعند ذلك يحل التلميح محل التصريح، وتنوب التقية عن المواجهة، وتختبيء اللفظة وراء اللحظة وتؤثر السلامة حتى - على الأقل - تستطيع أن ترى النور وتصافح العيون.

٢- غزارة في الانتاج الروائي
أما النوعية فربما كانت مؤجلة

في وضع كالوضع الفلسطيني مبتلى بالشتات وعدم الاستقرار، ليس من السهل على الباحث أن يقدم ببليوغرافيا دقيقة للانتاج قريب العهد. بل حتى الانتاج الأقدم ما زال مستعصيا على الحصر، وما أكثر ما عانت القوائم الفهرسية التي قدمت حتى الآن من الاسقاط، والالتباس في الاسماء، والعجز عن تمييز المؤلف الفلسطيني من اخوانه المؤلفين العرب الذين يكتبون في الموضوع الفلسطيني ويظهرون من صنوف الخماسة ما يدفع مصنفي القوائم الى اعتبارهم من الفلسطينيين والأمثلة على ذلك كثيرة متكررة. لذلك يبدو من المبكر الحديث عن ببليوغرافيا دقيقة لروايات العقد الحالي (الثمانينات) من السنين. ومن أجل الغرض النوعي لهذه الدراسة يكفي أن نؤكد انه تم جمع أكثر من عشرين عنوانا لروايات ظهرت في الوطن المحتل وخارجه، وانه من المؤكد وجود حوالي خمس أو سبع روايات أخرى لم تبلغ علم المؤلف، وبذلك يكون مجموع روايات النصف الثاني من الثمانينات من ٢٥ - ٣٠ رواية وهي نسبة انتاجية عالية حقا، تؤكد ان الأدب العربي الفلسطيني يدخل العصر من خلال تركيزه على الرواية التي اصبحت المركبة الذهبية للأدب في العالم المعاصر، وما هو مثير ومبشر، أدبيا على الأقل، ان الاتجاه الى الرواية متزايد في الأرض المحتلة، وكلما اقتربنا من نهاية الثمانينات تزايدت نسبة الانتاج الروائي حتى تكاد تبلغ ثلاث روايات في السنة، وهذه نسبة عالية في مجتمع صغير واقع تحت وطأة ظروف الاستعمار الاستيطاني (الكولونيالي) ومعرض لمسلسل يومي من القمع والاضطهاد والارهاب البوليسي والفكري والضغط الاقتصادي والانقطاع العضوي عن محيطه العربي. أما مجتمع الشتات فهو الآخر يعاني من المشكلات الناجمة عن الانقطاع الاتصالي وعدم الاستقرار، وكان الكتاب أنفسهم المنغمسون في التجربة هم الأقل استقرارا والأكثر عرضة للتيه بين المنافي (من كتاب الرواية دائمي التنقل: يحيى يخلف، رشاد أبو شاور، أفنان القاسم) على ان هذه الحالة من التشرد والتحفز والمعاناة والمنافحة والتعرض والتغيير بوجه عام ليست ذات وجه واحد سلبي فقط، اذ انها في مقياس تجربة التفاعل الأدبي مع ممارسات الحياة ذات وجه آخر يمكن أن يكون حفزيا وايجابيا، وان كان - والحق يقال - أكثر مواتاة للفنون ذات النفس القصير نسبيا

Digitized by Birzeit University Library

كالشعر والقصة القصيرة وأقل مواتاة للرواية . وان اي تفحص سريع للانتاج الادبي الفلسطيني المعاصر يمكن ان يؤكد هذه الظاهرة، وهي غزارة الانتاج في حقلي الشعر والقصة وتوسطه في حقل الرواية . وهناك اسباب اخرى لهذه الظاهرة تتصل بطبيعة التجربة الادبية العربية، نضرب عنها صفحا لئلا تبعد الدراسة الحالية عن اهدافها الخاصة .

ومما يؤيد الحكم السابق ان الرواية الفلسطينية المعاصرة بوجه عام رواية قصيرة النفس، وهي غالبا في منزلة بين المنزلتين واقرب الى ان تكون قصة Nouvella ويلاحظ ان معظم الروايات الصادرة في الارض المحتلة تقع في المنطقة المحرمة بين القصةالقصيرة والرواية. ولو طبقت عليها المقاييس الامريكية الدقيقة لعدد الكلمات (ابتداء من ايام ادغار الن بو) لوقعت قريبا من مصطلح القصة القصيرة الطويلة long short story على اية حال ليست الرواية الطويلة الممتدة هي النمط الفلسطيني، وباستثناء روايات كاتبين معينين هما جبرا ابراهيم جبرا وافنان القاسم ومجددا محمود شاهين، يمكن القول ان الرواية الفلسطينية تنبثق من موقف متأزم صارخ لاهث، وتتركز حول جوانب محددة من موضوعاتها الكبيرة، وتخشى مغامرة الامتداد المكاني والزماني والقولي . وبذلك تظل خفيفة الوطأة على القارىء وتتماشى مع المناخ المتعارف عليه عالميا فيما يتعلق بالجنوح الى الاعتدال في حجم الرواية الحديثة (خلافا لايام تولستوى ودوستويفسكي وتشارلز ديكنز ومارسيل بروست)، وتحاول ان تحافظ على صلة القربى مع القصة القصيرة، وربما الشعر، والحديث هنا يدور حول ظاهرة ادبية وليس حول رواية مبدعة او ابداع روائي . وبذلك تدخل فيه كل اصناف تجربة الكتابة الروائية، بل كل كتاب ادعى صاحبه انه روائي . ومن حق القارىء على الكاتب ان يجري التنبيه بصريح العبارة الى ان الروايات التي تشملها الدراسة لم تدخل غربال الزمن بعد، وهي متفاوتة تفاوتا شديدا من حيث سويتي المعالجة الفكرية والفن ، ويبدو بعضها - ولا سيما روايات الارض المحتلة - مبتدئا غرا وعاجزا عن تحويل التجربة الروائية الفنية عربيا وعالميا . واذا كان يقفز الى الذهن هنا فورا اسم جبرا ابراهيم جبرا وهو اسم اختط طريقه وطريقته واخذ يسبر من فتح الى فتح في عالم الابداع الروائي فان هناك اسماء اخرى ذات طموح ينبغي ان يأخذها الانسان بجدية كاملة، بعضها بفضل ما تأتى من علامات امتلاك ادوات التجربة الفنية مثل محمود شاهين في "الارض الحرام، والارض المغتصبة" والياس فركوح في "قامات الزبد" وبعضها بفضل عمق التجربة الثورية وزخم الصدق في الفعل والتناول، وربما كان رشاد أبو شاور في "الرب لم يسترح في اليوم السابع" ابرز ممثل لهذا الاتجاه .

واذا تناولنا الموضوع من ناحية الطموح الفني والاصرار على التجديد في الابداع فانه لابد من الاعتراف بوجود مفاجأتين ابداعيتين في النصف الثاني من الثمانينات، اولاهما رواية "عربسك" لانطون شماس التي ألفت اصلا بالعبرية وترجمت الى الانكليزية والفرنسية، والثانية رواية "قامات الزبد" لالياس فركوح التي تتألق بالعربية تألقا لافتا للنظر . وكلتا الروايتين تبشران بولادة موهبتين جديدتين صارختين في ساحة الرواية الفلسطينية، التي هي اشبه بجبهة حرب مملؤة بالخنادق والاستحكامات والتلال والوهاد منها بحديقة غناء ناعمة بالطمأنينة والهناءة .

على انه مقابل الاطلالات الابداعية غير القليلة في الرواية الفلسطينية المعاصرة هناك محاولات كثيرة باهتة المظهر والمخبر، لم تستطع ان تحقق حدا ادنى من شروط الابداع او من

Digitized by Birzeit University Library

سوية تفهم التجربة المعالجة، ويصعب ان يقف نبل الموضوع الذي تطرقنا او صدق نوايا المؤلف المخلص شفيعين لتسطح الفهم ورداءة العرض وانحدار اللغة وانتفاء الاشعاع . وهذه الاعمال لا تصمد لرياح الزمن على اية حال، وان كانت تبقى شواهد على طبيعة المرحلة وخارطة همومها، وربما ايضا على اجتهاد اصحابها الذين لابد من ان يكون لهم من اجتهادهم نصيب على اساس ما اكده الفقهاء.

٣- أي عالم وأية تجربة؟

ليست الليالي الفلسطينية وحدها هي الحبالى التي لا تدري ما تلد، بل كذلك الايام الفلسطينية تلقح كل دقيقة من صبح أوظهر أو عصر وتنتج و تتئم على الطريقة الزهيرية فتلد كل يوم نكبة او مصيبة او مجزرة او خروجا او تشريدا او حصارا او نفيا اوابعاد او قمعا، وحبل الافعى لايفتأ يجر . ومع غلمان أشأم الذين يلدهم الليل والنهار حيثما حل الفلسطيني، هناك ارادة الحياة، وهناك البطولة والصمود، وهناك الرفض والتضحية، وهناك الدأب والمحاولة وهناك - بل في اول القائمة - استقبال الشهيد بالزغاريد، وانتصاب قامة ام الشهيد وتهليل وجهها كلما ضحى ولد بحياته في لعبة محو العار . هذا العالم الصاخب الدامي المتقلب المنطوى كل ثانية على مفاجأة، استولى على الادب العربي الفلسطيني والادب العربي الذى كتبه عرب كثيرون كانوا اشد انتماء والتصاقا باليمة الفلسطينية من كثير من ابناء الدم والارض . هذا العالم !الصاخب اقوى من اي فن . انه بحد ذاته رواية جاسوسية او بوليسية ذات فصول متداخلة، يفضي كل فصل الى اخر، وليس بين الفصول نقطة او فراغ او فاصلة، وليس للصفحات ارقام ولا اشكال . انها رواية تكتبها الايام بمداد الدم وبحجارة الانقاض وبقُفاس الحسرات، فمنذا الذي يستطيع ان يسل نفسه خارج التجربة بترفع نصف اله؟، (كما كان يقول كرونين عن جيمس جويس الروائي المسيطر على موضوعه) ان الموضوع الفلسطيني اقوى من اي روائي ومن أي فنان، ويكفي انه لا يسمح لاي عمل فني ان ينتهي الى نهاية مقنعة، سلبية كانت ام ايجابية ام محايدة ام مفتوحة للتأويل والتكهن . وهكذا ينيخ الموضوع الفلسطيني على بنية الاعمال الروائية فاذا قصارى جهدها ان تقتطف منه وهي تحت وطأته ركنا من هنا او زاوية من هناك او حجرا ساقطا او حجرا منقضا او زفرة لاهثة باليأس أو نفخة عامرة بالثقة او مشهدا عاما . . أو . . وفي اكثر الاحيان، وبما ان كل لحظة تأتي هي اقسى مما سبق وادهى وامر، فان ايقاع اللحظة الراهنة هو الذي يفرض نفسه .

لا حاجة بالمرء لأن يعود الى الوراء كثيرا فينكأ جراح السبعينات، وقبله جراح الستينات وقبله مصائب الخمسينات، وقبله كارثة ٤٨ وهي أم الكوارث، ومنها بدأ سفر اللاتكوين .

لنقل اذا باختصار شديد ان لب الموضوع الفلسطيني في النصف الثاني من الثمانينات هو الخروج من بيروت . فذلك الخروج (١٩٨٢) الأسطوري الذى سبق خيال كل عبقرية أدبية، أتى موضوعا مقلوبا بالنسبة للرواية الفلسطينية، فهو الرواية والرواية هي الواقع، والكلام هنا مقصود بحرفيته . ان قراءة أية رواية متأثرة بهذا الموضوع لا تثير أية مشكلة من ناحية المصداقية، ولكن قراءة وقائع تاريخ الخروج وظروفه تثير كل مشكلات المصداقية (ما قولك بثورة ترحل في سفينة تحميها منشأت في البحر كالأعلام وترفع شارة النصر . ليس من الضروري أن

Digitized by Birzeit University Library

تكون هذه التجربة فلسطينية اوعربية او افريقية او غير ذلك . لتكن أية حالة انسانية في زمن لا معطى) .

هذه الحقيقة - الرواية تفسر لنا لماذا يتكرر موضوع الخروج في الرواية الفلسطينية ولماذا ايضا يبدو باهتا وكأنه لعبة قدر لاهية من الاعيب ديونيسيوس او ديانا او نبتون؟

حتى الآن ليس في الرواية موضوع خروج فلسطيني ملحمي يمكن أن ينجح في أي امتحان بسيط (للمحاكاة) على الطريقة الأرسطوطالية، قد يحتاج الأمر الى بعض الوقت. وهناك روايات بادرت وقدمت ارهاصات سريعة. فيها اطلالات والتقاطات مأساوية ولكن الخروج الروائي التراجيدي ما زال في بطون الابداع.

أكثر هذه الروايات حرارة وصراحة وجرأة ومباشرة واحساسا واخلاصا، رواية رشاد أبو شاور "الرب لم يسترح في اليوم السابع"، ١٩٨٦ انها رواية الخروج بعينه وهي رؤية ساخنة من داخل التجربة. تقدم عملية تكوين الخروج في سبعة أيام - وتنسى يوم الراحة - على شكل حلقات ملحمية متلاحقة. يتخللها حزن كثير ونقد جارح ونقمة ورهبة، وروح مرحة أيضا فكأنها مشاهد التفريغ الهومرية أو الشكسبيرية.

"في اليوم الثالث .. وفي اليوم الثالث خلق الرب أسماك القرش، التي اندفعت لتلاحق الفلسطينيين، وكانت سيرسة تراقبهم، وتدفع بالماء ليكبر كي تغرق سفينة الفلسطينيين فتتلقمهم اسماك القرش .. "(١)وفيما بعد يصبح منظر أسماك القرش التي تلاحق سفينة الثورة موضع تفكه لطيف يؤنسن المأساة وربما يقوي من مصداقيتها.

هذه الرواية التي تنتهي بنزول الثورة في تونس تنزّ حزنا وأسى ونقمة ورهبة. وفيها لقطات أقوى من اي تعبير. حسبنا هنا بعض الالتقاطات، حين يسألون: الى اين تسير السفينة يجيب صوت بأنه لا يهم ولا ينبغي أن يهم، ذلك ان "الرحيل الى كل البلاد متشابه ما دمت غير عائد الى فلسطين"(ص ٢٨). وحين تزداد مرارة رشيد وتطفو على السطح يعمل الدكتور جميل على تنفيسها:

" .. دائما تحولها جد .. أنس يا رجل .. أنس .. الفلسطيني يجب أن ينسى أحيانا والا فقد عقله"(ص ٧٠) انهم يبكون ويضحكون، أولئك المبحرون على سفينة التغريبة الهلالية. ويخيل اليهم أحيانا انها رحلة بحرية الى عالم الجزر اليونانية، الرحلة التي طالما حلم بها كثيرون ولم يستطيعوا تحقيقها. واخيرا يفطنون الى الواقع الجارح:

"متى يكون للفلسطيني زورق حب لا زورق منفى؟" (ص ٦٤)

وهناك روايات أخرى غير رواية رشاد من مصلحتها ومصلحة التجربة الا يتوقف عندها المرء. رشاد التقط التقاطات بديعة، وفاتته اللوحة الكبرى، ولكن تلك الروايات صغرت الموضوع حتى بدا مثل رحلة الحماة من بيتها الى بيت كنة لها في حارة مجاورة. وقد تكون رواية عوض سعود عوض "الوداع" ١٩٨٧ أكثر هذه الروايات تركيزا على الموضوع ولكن بينها وبين ابعاده الملحمية مسافة ما بين اليومي والمأساوي.

ومن الصعب فصل موضوع الخروج عن موضوع الثورة، ليس لانه - صوريا - لولا الثورة لما كان خروج. ولكن لأن جميع الروايات التي طرقت موضوع الخروج بشكل مباشر أو غير مباشر

(١) رشاد أبو شاور: الرب لم يسترح في اليوم السابع، ١٩٨٦، ص١٥

Digitized by Birzeit University Library

جعلت له أسبابا داخلية في عمق تجربة الثورة الأيديولوجية والتنظيمية، كم أثرت بأسبابه الخارجية العاتية، سواء في الاطار الصديق الذي يحيط بها احاطة السوار بالمعصم أم بالاطار الرهيب الأوسع الذي يتحكم بوضعية الكرة الأرضية على قرن الثور الأسطوري.

الا أن موضوع الثورة ليس موضوعا لاحقا بالخروج أو ملحقا به. فمنذ السبعينات كان موضوع التجربة الثورية الفلسطينية موضوعا أساسيا. ويفيد الأدب العربي الفلسطيني منذ السبعينات حتى اليوم أن الشيمة المركزية لتجربة الحياة الفلسطينية هي الثورة. وخلافا للشعر تتعرى الرواية الفلسطينية من الاوهام وتخلع عنها الزينات الرومنتية وتحاول مواجهة الواقع الجاثم بجانبيه المشرق والمظلم. لذلك ينطوي عالم روايات التجربة الثورية على ايمان عميق لا يتزعزع بالثورة وبالمستقبل، وكذلك على نقد جارح لبنية الثورة ولا سيما من الناحية التنظيمية، وكذلك على هجوم مُر على الاطار الرسمي من حولها وفي رواية الثورة جدلية وصراع وتردد وحيوية، كلها تكشف في روح التربية الديمقراطية - الثورية التي تميزت بها تجربة الشعب المنكوب على مدى عقود القرن الماضي. وتعد رواية "قامات الزبد" لالياس فركوح هي الأقرب الى التقاط روح التجربة الثورية الفلسطينية واطارها المكاني ببيروت ولبنان، والزماني السنوات الأولى من الحرب الأهلية. وتقدم التجربة من ثلاث زوايا للرؤية على الأقل هي زوايا الأبطال الثلاثة الفدائيين: زاهر النابلسي (من فلسطين المقيمة - نابلس)، خالد الطيب (من مواليد ١٩٤٨ ومن فلسطين المهاجرة)، ونذير الحلبي (من حلب، من اطار الثورة القريب). وترصد الرواية تصرفاتهم اثناء الحرب الأهلية، وخواطرهم ومخاطرهم وخيالاتهم ومخاوفهم ونبذبات ولائهم وغموض مصيرهم. وترسم من حولهم جو الاحقاد والتدمير والقنص والانتحار المجاني لمنطقة بأسرها. وينتقد الأبطال ولكنهم لا يضخمون السلبيات ولا يحيدون عن الطريق لأنهم يعرفون انه بالأصل طريق مفروش بالالغام لا بالورود، وانهم ليواجهون قدرهم المحتوم بعراقة ثورية وباستسلام مأساوي كذلك.

انهم ليسوا بالضبط أولاد (حكمة) ولا أبناء (عيشة)، وليسوا واقعيين بالمعنى الفج للكلمة. انهم أولاد تجربة متداخلة وهم في السوياء من مركز التجربة تماما، ولذلك تدوخ بهم التيارات وتعصف، ويدوخون ويتفاوتون في ردود أفعالهم، ولكن يبقون دائما في قلب الدوامة وهذا هو سرهم الخاص. ويتساقطون ويتجرجرون وتسيل دماؤهم على أشواك الحياة، وكل شيء من حولهم يوحي باليأس والثبور والهلاك والعدمية، ولكنهم لا يحترقون بالنرفانا السلبية. بل حتى اللحظة الأخيرة يحاولون ان يرفعوا رؤوسهم لكي (يكونوا). وصحيح أن قاماتهم في النهاية لا تكون الا زبدا، وصحيح أنهم يغرقون في النجيع وفي الضباب. ولكنهم موجودون حتى السطر الأخير من التجربة، موجودون بالمعنى الوجودي، بمعنى المعاناة، دون خطابة ودون زيف، والأفق أصفر والسماء كالحة. وكلهم هناك، وحتى حين يبقى أحدهم وحده ويتلمس الآخرين الذين خلفوه ومضوا فانه لا يفنى. انه يستمر في معاناته الوجودية ويناطح بقامته الزبدية. هكذا يأتي الصدى الأخير للمعاناة في نهاية الرواية:

"أنا بين المرحاض والمعسلة".

أرى هذا جيدا ولكن لا صوت. أنا ما بين الشهيقين الأبيضين المغسولين بدمي. بين الأزيز وبين السكون المتسرب الى رأسي. بيني وبينهم. هم الكثر الذين ذهبوا وبقيت. بقيت بعدهم لأرث كل ما تركوه. لكنني لا أقبض على شيء. تفرّ

Digitized by Birzeit University Library

الأشياء مني. يتركونني بعدهم وحيدا مع دمي بين المرحاض والمغسلة. دمي ليس الأول. كان مروان هو الأول. وها نذير ليس الثاني وليس الأخير، فهل أبقى بعد الأخير! .. يا الهي! .. أشعر بسكون وعذاب. لا. لن أكون شاهدهم علي. لن أبقى لأكون الشاهد علي. لن أنتظر. هل يرضى مروان. هل يرضى نذير. هل يرضى أبو الحكم، وزاهر، والعجوز، والمدام، وأمي!!.

هل يرضون؟

أرفع عيني لأرى ان كانت السماء تعلو هامتي، أرى بياضا وأرى وجوههم تمر من وراء زجاج. تمير دون أن تقول كلمة. لا صوت سوى خطواتهم المكتومة الماضية في الهواء. أسمعُ صوتاً فيَّ يتكسّرُ في أذنيّ وينتشر. يملأني. يدفعني نحوهم. يهمُّ بي اليهم. يجذبني الى السكون الذي خلفوه لي فأنظرُ في الأبيض ولا أرى سوى سواي سوى سو..."(١).

وفي الرواية وصف رائع داخلي وخارجي. وتتداخل فيها الأزمنة والمشاعر والوقائع والمصائر، وتتطابق بنيتها الفنية مع بنيتها الحياتية لتقدم عملا عضويا متكاملا له شخصيته المتميزة.

على أن "قامات الزبد" تعاني - ولا سيما في القسم الأول - من بطء الحركة (الداخلية والخارجية)، ومن الرتابة وضعف الدافع، وكثيرا ما تنحدر الى حافة الاملال، وفي القسم الثاني يجري التعويض نسبيا عن رتابة الايقاع بقوة المفاجآت في مصائر الأبطال الثلاثة وانعكاساتها في ذبذبات عوالمهم الداخلية.

وبين حين وآخر تبدو وطأة العالم الخارجي شديدة الوقع على العالم الداخلي الذي هو موضع تركيز الرواية وهمها الأول ومناخها الرئيسي، وتشتد هذه الوطأة حتى يصعب على الكلام الخارجي أن يستعار للداخلي أو يذاب في ضبابيته مما يدفع بالرواية الى الاستعانة بحيلة تقنية بدأت خلال العقد الأخير من السنين تذر قرونها في الكتابة الابداعية العربية من رواية وشعر (قصيدة "اسماعيل" لأدونيس)، وهذه الحيلة هي استحداث مستوى اضافي لتحرك العمل الفني، يفصل عن المتن بفاصل تشكيلي أو مجرد خط ويتحرك على طريقة شريط الأخبار المضيء الذي يزين أكاليل العمارات العالية في مراكز العواصم العالمية. ها هو ذا أنموذج للتساوق الجيد بين مستوى المتن ومستوى السند:

"أتلفت لأتبيّن الجهة، فأنفي البطون غاشمة في انغلاقها المعتم الكتوم. ألقى وخزة القلب خوفا يهمُّ بي. يركضُ الدمُ صاخباً. أركض. تسبقني سيارة جيب حربية. أتباطأ. الحظُ تباطأها المتوجس. لا أصفّر: هكذا أنت لا تريب فلا يأخذونك بالمظنّة."(١)

قات أوان السماح وأزف وقت الحظر. أصدر الحاكم العسكري بيانا لهذا اليوم الثلاثاء الأول من الشهر العاشر من السنة الميلادية صفر على يمين العدد ..:. أحصي بعد البيت الثاني الذي طلاؤه أخضر والذي يقع على يمين طريق المحاجر مسبوقا بخندق على يمينه أيضا فيه بقايا "كلس" تلطخ بياضه بمكرة ماء آسن أغرق مجموعة من الجثث التي ثالوا وداثوا، واحدة - اثنتان - ثلاث - أربع - خمس - ست - سبع. ها هو الماثل الآن في عتمة السطح ببصيص نوره.

- يفيد المطلعون على أحداث تلك الفترة، أن تشديدا أمنيا قد تم فرضه على المدن بأسرها، خوفا من احتمالات وقوع اصطدامات مسلحة، تزيد من حدة التوتر، وتؤدي الى سقوط ضحايا جدد، بالاضافة الى اولئك الكثر الذين سقطوا.

- ويؤكد هؤلاء أن حظر التجول بعد الساعة الثامنة ليلا كان شكلا من أشكال هذا التشديد الأمني. كما يحكى ان عديدين قد وقعوا ضحايا لغفلتهم، أو لغير غفلتهم، والمثال على هذا قصة الفتاة الحامل التي ألقى بها والدها في منطقة وسط بين الفريقين المشتبكين، أملا أن تلقى مصرعها بالرصاص المتبادل، ويتخلص من عارها!."

(١) الياس فركوح: قامات الزبد، ١٩٨٧، الصفحة الأخيرة ٢٦٦

Digitized by Birzeit University Library

وفي الرواية الفلسطينية المعاصره موضوعات اخرى تعد استمرار للموضوعات السابقة، ولكنها هذه المره تتصف بانتقادية اوضح وتفهم اعمق لتركيبية العوامل الداخلة في صنع المأساة المتجددة بالاضافة الى جنوح نحو اللا يقينية بالنسبة للمصير. وتتفاوت هذه الروايات تفاوتا شديدا، وتتصدرها تجربة محمود شاهين في "الارض المغتصبة - عوده العاشق" اذ تقدم التجربة الثورية الفلسطينية، اى تجربة القتال والكفاح المسلح، في اطار التجربة الأوسع للشعب الذي يريد ان يصمد وان يبقى، وهو يدرك بالتدريج عوامل الحث الداخلية وعوامل الهدم المحيطة، التي تعد اكبر مساعد لهجمة العدو المتربص.

وهناك رواية يحيى يخلف "نشيد الحياة"، التي تختلف عن سائر روايات المرحلة بما تحتفظ به من ايمان لايتزعزع وروح معنوية عالية، وتقدم العمل الفلسطيني تقديما انتقاديا ولكنها تضع الابطال امام خيار وحيد هو الصمود، ولذلك يبدو الموت ممارسة عادية، وكل فلسطيني هو في حالة نضال وتربص حتى تحين ساعة عطائة او حتفة .فالفقد (فقدالآخر)،والموت (اختفاء الأنا)،قطبان تجول بينهما حياه الفلسطيني ، فهو اما أن يكون ميتا او على وشك الموت ، واما ان يكون في حالة حداد لفقد الزوج او الأخ او الأبن او البيت. والحرب كما السلم، والسلم كما الحرب، اشكال ممتد عند الفلسطيني . ففي وقت الحرب تكون مشكلتة من يفسلة ومن يحنو عليه ويندبه واخيرا من يدفنه واين؟ وفي وقت السلم يكون موزعا بين مقتضيات كسب الرزق ومصافحة الحياه اليومية وبين مسؤوليات الدفاع عن موقع القدم والاستعداد للمخاطر المتربصة والبحث عن الطريق الى فلسطين (غالبا بالانتماء الى التنظيمات الفدائية).

اخيرا، في كل ما يكتبه يحيى يخلف هناك رفة احساس، هناك نفس رومنتية تتشبث بالحلم حتى في احلك ساعات الغلس. عنوان الرواية هو "نشيد الحياه" وهو عنوان الملحمة الشعرية التي كان (سلي) منهمكا في نظمها قبيل غرقه في خليج(سبتنريا). وفي خاتمة الرواية. يكون مصير الفدائيين الأبطال غامضا وعلى كف عفريت، ولكن هناك المرأة وهناك الطفل وهناك الحياة التي تأبى الا أن تستمر. ومثلما يقفل مسرح (هملت) على مشهد فورتنبراس وقد دق طبول الحياة، تقفل رواية يحي على شمس الشموسه تبزغ من سن الطفل الفلسطيني:

تحت النافذة صاح الديك صيحته الأولى..

فتح الطفل عينيه، كأن قرصا من عباد الشمس قد ازهر وتفتح .. شعر بخمول وكسل فأغمض عينيه وواصل النوم.

صاح الديك صيحته الثانية .. فتح الطفل عينيه مرة ثانية كأن عصفورا يطير من عشه ويشرع في الطيران لأول مرة ..

فتح عينيه جيدا، لم تكن امه تنام الى جانبه، فأزاح الغطاء جانبا. ووقف.. وعند ذلك أحس بأن العش على وشك السقوط كما أحس بطعم الدم المالح في فمه.. خرج من الغرفة.. فتح الباب المطل على البستان وخرج، فشاهد النساء يشعلن النار ويخبزن الأرغفة.

اقترب من امه، كانت الكابه قد زالت عن محياها، وحل محلها ابتسامة لم يشاهد مثلها من قبل..

وكانت زليخة ترق العجين والشايب يغذي النار بالعيدان.

أما السنيورة فقد انهمكت في كنس الممرات.. فيما كان الحصان يرعى قرب العربة..

قال الطفل لأمه:- ان سني على وشك السقوط.

قرصته من خده وقالت: اذهب والعب ولكن حذار من ان توقظهم..

وأشارت الى الطرف الأخر، هناك، تحت اشجار التفاح..

Digitized by Birzeit University Library

كانوا ينامون. الاسلحة تنام الى جانبهم. ينامون بكامل ثيابهم، ينامون بأحذيتهم.. كانوا خمسة. لم يستطع ان يميز ملامحهم في البداية، ولكنه استطاع فيما بعد أن يعرفهم..

صاح الديك مرة ثالثة...

صعد الطفل الى سطح المنزل.. كان سنه قد سقط فأخذ يرقب بزوغ الشمس..

كانت امه قد قالت له عما يتعين عليه أن يفعل عندما يسقط سنه.. لم يطل انتظاره، برغت الخيوط الأولى من وراء الجبال البعيدة.. امسك باللسن ورفع يده عاليا وألقى به في وجه الشمس وقال بما يشبه الهمس:

يا شمس يا شموسه

خذي سن الأطفال

وأعطيني سن الرجال(١)

وهناك أيضا موضوع حياة المخيم، وهو استمرار لتيار سابق، وقد برز مجددا موضوع متبلور له جذور في الماضي ولكنه ينبىء بغنى فني وتاريخي كبيرين هو موضوع المدينة الفلسطينية بين الماضي والحاضر(الاحتلال وتغيير الهوية). وتمكين الأشارة هنا الى تجربة اميل حبيبي الحيفاوية في روايته"اخطية" ١٩٨٥، اذ تدور الرواية حول مدينة حيفا بين الماضي والحاضر من خلال خواطر البطل اثناء توقف سيارته بسبب "جلطة سير" نجمت عن ملاحقة ملثم يركض في الشارع. وهناك الرواية العكاوية "عكا والرحيل" من تأليف الياس انيس خوري، ١٩٨٩، وهي سلسلة مذكرات كتبها بطل الرواية في نيويورك وأرخ فيها لتغيرات الحياة في عكا وتجربتها مع موجات تغيير هويتها. ومن هذا القبيل بعض محاولات رصد مأساة الخروج من فلسطين من خلال تجربة منطقة محددة مثل رواية "السواد: الخروج من البقارة" لحسن حميد (١٩٨٨). ويعالج هذا الموضوع اليوم بوعي متجدد.

ويسود روايات الارض المحتلة هاجس مواجهة الاحتلال والبحث عن افضل السبل لتحقيق الصمود في وجه الطغيان (رواية "اسماعيل" لأحمد حرب). كذلك يستأثر موضوع الهوية والمصير باهتمام الكتاب الشباب في الارض المحتلة ولا سيما في أرض ١٩٤٨. وأوضح مثل لذلك التجربة الفريدة التي قدمها أنطون شماس في رواية "عربسك" التي حاولت أن تتفحص المصير الفلسطيني المتعرج والهوية الفلسطينية الحائرة تحت وطأة الكلكل الاستيطاني المنيخ بكل قوته. وترقى هذه الرواية الى مستوى رفيع وتلتحم فيها التجربة الحياتية مع التجربة الفنية لتقدم لنا رؤية فكرية فنية متعرجة متداخلة متحيرة محيرة (*) تنجح في أنسنة الموضوع الفلسطيني وانضاجه، وتنأى عن الخطابية والمجانية.

وأخيرا هناك روايات فلسطينية خرجت عن اطار الهم الفلسطيني المباشر وعانقت القضايا الوجودية - الاجتماعية للانسان مثل "الغرف الأخرى" لجبرا ابراهيم جبرا (١٩٨٦) او قضايا خاصة متصلة بهموم الحياة كقضية الاستقرار المكاني في رواية جمال ناجي "مخلفات الزوابع

---

(١) يحيى يخلف: "نشيد الحياة"، الفصل الأخير - ٣٣، ص٢٠٢ -ص ٢٠٣

(*) قدم كاتب هذه السطور رواية "عربسك" في مجالات مختلفة. وقدم دراسة وافية لها في: حسام الخطيب: "عربسك وبعض اضاءة لاشكالية الهوية الفلسطينية."

الادب الاجنبية، دمشق، ع ٥٨ - ٥٩، شتاء وربيع ١٩٨٩، ص ٧ - ص ٢٥. وهذه هي الدراسة المثبتة في الكتاب الحالي في القسم السابق مباشرة.

Digitized by Birzeit University Library

الأخيرة" ١٩٨٨، او قضايا قومية مثل الوحدة العربية والمصير العربي كما في رواية "حافة النهر" لعلي حسين خلف التي ستصدر في نهاية هذا العام ١٩٨٩، او قضايا نسائية في اطار الحياة الفلسطينية مثل رواية سحر خليفة "مذكرات امرأة غير واقعية"، ١٩٨٦ (١)، وهي استمرار لخط سحر السابق في التركيز على موضوع المرأة في اطارى كفاحها الوطني والاجتماعي. على أن القضية النسائية هنا تحظى بالنصيب الأوفر من التركيز، ويبدو الكلام النسائي شديد المرارة. والحق أن لهذه الرواية الأخيرة نكهة خاصة، فهي تعالج قضية المرأة الثائرة التي ترفض الطوق الأجتماعي المضروب من حولها، وتعمل على أن تكون انسانا سويا، وتبحث عن الحقيقي والجوهري والشخصي في مجتمع يرين عليه الزيف والببغاوية والتمييز ضد المرأة. وتدفع البطلة عفاف الثمن غاليا وتصبح مضغة في الأفواه ولكنها تستمر في التحدي (غير الواقعي لأن الوضع يبدو ميؤوسا منه) والجرح أعمق بكثير من أية وصفة علاج:

"وفي ختام الجلسة كنا قد وصلنا الى أمرين، الأمر الأول هو أن ثورة المرأة لا بد منها حتى تتحقق الثورة الشاملة. والأمر الثاني هو أن على الثوريين أن يقوموا بتثوير المرأة. قلت وأنا أمتز من شدة الاستيعاب: وكيف يثورون المرأة؟ يقولون لها: ثوري. ثوري؟ ولم تجبني بل حملقت" (٢)

٤- ختام العقد: رحلة عذاب أخرى

وهكذا يسدل ستار الثمانينات الفلسطينية على العذاب والقتامة والتشرد البحرى بعد التشرد البري، ولكن الفلسطيني لا ينطوي على عذابه فحسب، فهناك العذاب العربي من حوله تقدم لنا رواية "حافة النهر" لعلي حسين خلف رحلة عذاب أخرى في زمن صعب، تداخل فيه الخيط الابيض مع الخيط الاسود والتف الواحد على الآخر، ربما كما يقولون - مثلما يلتف الحنش على جسد الافعى، فضاعت كل حقيقة، صغيرة كانت أم كبيرة، وضاع معها كل مقوم - صغيرا كان أم كبيرا - من مقومات الكيان الانساني، فالانسان الحر المختار السعيد الآمن المتآخي اصبح أندر من قطرة ماء في الصحراء، انهم هناك، مجموعة من الطغاة والسفاحين الصغار والمأجورين والحانقين على الانسانية، يحيكون المؤامرات، ويهتكون الحرمات، ويعتقلون الابرياء، ويعذبون، ويتلذذون في تفكيك جسد الانسان وتفتيت روحه. وهم أنفسهم خاسرون قبل غيرهم لانهم فقدوا انسانيتهم وحاضرهم ومستقبلهم، فكل جبروتهم عرضي ومعرض للانهيار في أية لحظة معطاة من هذا الزمن الموبوء.

وهناك أشخاص طيبون ومؤمنون وصامدون ومستمرون، ولكن باي ثمن او باية معاناة؟ وبأي أفق؟

---

(١)انظر دراسة مفصلة لهذه الرواية في: د. بثينه شعبان: "سحر خليفه وامرأة غير واقعية، الموقف الأدبي، ع ٢١٢ - ٢١٣، ك١ ٨٨ - ك٢ ٨٩م ص ص ٣١ - ٤١.

(٢) سحر خليفة: مذكرات امرأة غير واقعية، ١٩٨٦، ص ٩٦

Digitized by Birzeit University Library

يكتب علي حسين خلف عن معاناة انسان هذا الزمن العربي بالملموس وبالمحسوس. وانه لرجل عجيب، فلديه من القدرة أن يركز الريشة بين الابهام والسبابة بمنتهى الدقة وأن يغمسها بالنجيع، وأن يترك للنجيع القاني أن يخط السطور، دون أن تتأوه الريشة أوصاحبها فهي، أي الريشة، تصف بل تنقل بمداد الدم صورة محسوسة لما يجري، ولكن يحرص صاحبها على ألا تندّ عنه أو عنها أية آهة، أية سجدة مبالغة، أية صرخة خطابة. انه يؤلمنا بالمجسم ولا يقول لنا تألموا، وانه لحريص حرصا ماهرا على ألا يفعل كما يفعل الاخرون فيتلوى من الالم ويصرخ ويخطب ويقف ويستوقف ويبكي، انه يفعل كل ذلك ولا يفعله في وقت واحد. ومثلما قال جورج لوكاتش عن مكسيم غوركي انه:

"لا يقدم أبدا النتيجة العارية لما ينهار في عالم الرأسمالية وبسببها، بل يعمل بالعكس على صياغة ما ينهار وكيف ينهار وباي كفاح يتم القضاء عليه"

ولم لايفعل ذلك وتجربته - أي تجربة علي - مثل تجربة مكسيم حقيقية حادة حارة مغمسة بعرق العذاب والتشرد والمعاناة، ولم لايفعل ذلك وخبرته في الكتابة تجاوزت مراحل المحاولة والخطأ وبدأت تنتقل، بعد كل هذا الانتاج القصصي المتلاحق، الى مرحلة النضج، واحيانا - كما في رواية "حافة النهر" الى مرحلة التجريب الواعي.

من أول حرف في الرواية يشدّك كما لو كنت تقرأ رواية بوليسية من آخرها الى أولها. ويستمر التشويق عن طريق الحدث، تستمر دراما الاحداث ساخنة مثيرة مؤسية، وتستمر مسيطرة على الساحة الخارجية للرواية، ولا تسمح لدراما الافكار أو المواقف أن تطفو على السطح، الا أنها في الوقت نفسه تدفعها دفعا لان تدور في الداخل، كل فيما وراء أسوار البنيان الخارجي، وأن تصطخب وأن تتوالد، وان تقول بطريقتها الحديثة ما يمكن أن يكون الكاتب قد أراد أن يقوله.

وبالطبع لولا دقة الوصف وحدّة المشاهد ونوعية التلاوين وضبط الريشة لما كان ممكنا للحدث أن ينوب عن معناه وللفكرة أن تتمثل في شكل لفظ وقائعي سوي يقول بطريقة غير مباشرة أضعاف ما يمكن أن يقول بطريقة مباشرة.

وانه ليزيد من تقديرنا (لادبية) رواية علي حسين خلف أنها سياسيه وانها مرهونة بشرطين محددين من زمان ومكان، وأنها قابلة للاسقاط على الواقع الراهن، ومن يعرف الفن الروائي جيدا يعرف أية اعاقة تشكلها هذه العوامل في وجه صياغة دراما روائية تبين ما ينهار وكيف ينهار. لنقدم مثالا لذلك : من هي (ياسمين) هذه التي فتك المجرمون بجسدها فتكا عجزت عن فعل مثله زبانية الجحيم في الكتب الدينية؟ أي رمز مفتوح تحمله؟ هل هي (الوحدة) العربية المشتهاة؟ هل هي (الحرية) التي تتأوه القلوب لذكرها؟ هل يمكن أن تكون هي (فلسطين)؟ هل يمكن أن تكون (الامل)؟ انها يمكن أن تكون كل أولئك وأكثر وأكثر. وان هذا الرمز المفتوح لحسنة كبرى من حسنات الفن الروائي.

وهناك حسنة أخرى لابد من ذكرها، وهي أن سماء الرواية الملبدة بأعتى الغيوم ليست سماء جامدة. انها (فضاء) يظهر في البدء مكفهرا مقطبا قمطريرا. ولكنه يتحرك بعد لأي ويحدث فيه ما يشبه المطاردة بين الغيوم السوداء والغيوم البيضاء، ربما تتيح للخيط الأبيض أن يبدأ بتمييز نفسه عن الخيط الأسود.

وما دمنا في معرض الحديث عن الحسنات فلنقم قبل أن تطف لجلجة اللسان الى ضفة

Digitized by Birzeit University Library

السيئات. وما من عمل الا له حسناته وسيئاته، مثل انسان الكتب المقدسة وغير المقدسة. وفي كل ما قدمتُ هذه الخلاصة من عرض للرواية الفلسطينية في نهايةالعقد التاسع من هذا القرن كان مدفوعا بالحب على طريقه ريلكه، فبالحب ومعه يحلو كل مذاق حتى مذاق النقد، والحب يمكن أن يكرن وجها آخر للنقد، أحيانا!!

ببليوغرافيا الروايات الفلسطينية
(١٩٨٥ - أول ١٩٩٠)

- أبو بكر، وليد: الحنونة، بيروت ١٩٨٥
- أبو شاور، رشاد: الرب لم يستريح في اليوم السابع، اللاذقية ١٩٨٦
- أبو الهيجا، نواف:(١)المغارة، بغداد ١٩٨٥،(٢) الخروج من جوف الحوت، بغداد ١٩٨٨
- الأسعد، أسعد: ليل البنفسج، القدس ١٩٨٩ (اتحاد الكتاب الفلسطينيين)
- الأطرش، ليلى: وتشرق غربا، بيروت ١٩٨٨
- بنورة، جمال: أيام لاتنسى، القدس ١٩٨٨ (اتحاد الكتاب الفلسطينيين)
- جبرا، جبرا ابراهيم: القرف الأخرى، بيروت ١٩٨٦
- جبران، كمال: مسارح الذئاب، حيفا ١٩٨٥ (مطبعة الاتحاد)
- حبيبي، اميل: اخطية، قبرص ١٩٨٥ (بيان برس)
- حجاج، وليد طالب: العودة، شفا عمرو ١٩٨٦
- حرب، د. أحمد : اسماعيل، القدس ١٩٨٧ (أبو عرفة)
- حميد، حسن: الواد، الخروج من البقارة، دمشق ١٩٨٨
- الحوراني، منيف: أرق الليلة الفاصلة، دمشق ١٩٨٨
- الخطيب، أنور: الأرواح تسكن المدينة، أبو ظبي ١٩٨٩
- خلف، علي حسين: حافة النهر، عمان ١٩٨٩
- خليفة، سحر: مذكرات امرأة غير واقعية، بيروت ١٩٨٦
- خوري، أنيس الياس: عكا والزحيل، دمشق ١٩٨٩
- خوري، سليم: روح في البوتقة، عكا ١٩٨٦ (الأسوار)
- درويش، زكي: أحمد، محمد، والآخرون، شفا عمرو ١٩٨٩
- السعاوي، عبد الكريم: العنقاء، القاهرة ١٩٨٩
- شاهين، أ. عبد عمر:(١)الاختناق، القاهرة ١٩٨٥، (٢)بيت للرجم بيت للصلاة، القاهرة ١٩٨٩، (٣)الآخرون، القاهرة ١٩٨٩
- شاهين، محمود:(١)العبور الى الأرض، قبرص ١٩٨٥ (افاق)، (٢)الأرض المغتصبة - عودة العاشق، دمشق ١٩٨٩، (تضمنت في قسمها الأول رواية العبور الى الأرض).
- شحاته، ادمون: الطريق الى بيرزيت، الناصرة ١٩٨٨
- شرابي، هشام: الرحلة الأخيرة، المغرب ١٩٨٩ (توبقال)
- شماس، أنطون: عربسك (بالعبرية والأنكليزية والفرنسية)

Shammas, Anton. Arabesques, New York, Harper and Row, 1988.

Digitized by Birzeit University Library

- عباد، عبد الرحمن: الهمج، القدس ١٩٨٩ (اتحاد الكتاب الفلسطينيين)
- العلم، ابراهيم: عينان على الكرمل، القدس ١٩٨٥ (اتحاد الكتاب الفلسطينيين)
- عوض، عوض سعود: الوداع، دمشق ١٩٨٧
- العيسة، أسامة محيسن: الحنون الجبلي، القدس ١٩٨٥
- فاعور، عدنان: غريب، القدس ١٩٨٥ (البيادر)
- فرسخ، عونى: عنبس "وجوه وبيارق" بيروت المؤسسه العربية للدراسات والنشر ١٩٨٨
- النجار، أكرم: آه يا بلدي، عمان ١٩٨٧ (دار الجليل)
- وتد، محمد:(١)فزاع المقاتي، المثلث ١٩٨٥، (٢)زغاريد المقاتي، المثلث ١٩٨٨ - ١٩٨٩،(صدرت عن مؤسسة بيسان في ق.ص في كتاب واحد بعنوان (زغاريد الانتفاضة) ١٩٨٩).
- يوسف، حسن: الفلسطيني، دمشق ١٩٨٨
- يونس، فاضل:(١) عودة الأشبال، عمان ١٩٨٦، (٢)تحت السياط عمان ١٩٨٧

شرطي اسرائيلي يمنع مواطنة من عبور الشارع في منطقة باب الواد بالقدس

Digitized by Birzeit University Library

مسرحية "القميص المسروق" بين التغريب والتجريب

أكرم المالكي

ما زلت اذكر انه حين قام استاذي "جميل نصيف جاسم" بنقل كتاب برتولد بريخت" نظرية المسرح الملحمي" أورد في مقدمته عبارة مفادها ان المسرح الملحمي هو الوريث الشرعي للمسرح الأرسطي، وأذكر كذلك كيف ان هذه المقولة كانت تثير الكثير من الجدل في اوساط الطلبة والاساتذة معا.

لم يدع بريخت يوما ان مسرحة هو الوصي على الارث المسرحي فمذكراته التي كتبها بتاريخ ١٢ك. ثاني سنة ١٩٤١ تؤكد ذلك حين يقول "ينبغي ان لا ننسى أبدا ان المسرح اللارسطي هو شكل واحد من اشكال المسرح وحسب، انه يسعى لرفع شأن اهداف اجتماعية معينة، وهو لا يدعي الاحتكار على قدر ما يخص الامر المسرح عموما، انني استطيع ان استخدم كلا المسرحين: الأرسطي واللأرسطي في بعض الاعمال الاخراجية".

حاول بريخت جادا في تحقيق المعادلة الصعبة وهي الجمع والمزج بين التعليمية والمتعة في العمل المسرحي ومن أجل تحقيق هذه الغاية سعى الى تكنيك جديد على مستوى العمل المسرحي بأكمله وقد كان "التغريب" هو احد الاركان الاساسية لهذا التكنيك الجديد وقد كان ثورة على صعيد الشكل المسرحي برمته وليس "دوشا" باردا بعد سيل من العواطف الحارة كما كان هو الحال في تجارب "بيسكاتور" فالتغريب عند بريخت لا يكتفي بهدم الجدار الرابع والاحتكاك المباشر مع الجمهور واشراكه في التجربة فقط فمسرح القسوة عند "ارتو" قادر على ذلك بشكل او بآخر، ان التغريب يبدأ مع بناء النص والحوار ويستمر عبر احداث العمل ويشمل كذلك الازياء والاضاءة والديكور وحتى جمهور المتفرجين فيكون عملية متكاملة بجعل المتفرج يشارك ايجابيا في التجربة عن طريق مخاطبة عقله ووعيه وليس عاطفتة ووجدانه فقط ولو عن طريق تفريغ انفعالاته بالتطهير، فتكون النتيجة هي مساعدته على تفهم محيطه الاجتماعي للسيطرة عليه عقلانيا وعاطفيا. ان التغريب وعلى صعيد بناء النص المسرحي فهو يجري الاحداث على

Digitized by Birzeit University Library

شكل مشاهد متتابعة غير مبنية وفق تسلسل زمني او منطقي كما كان سائدا في المسرح الدرامي الأرسطي والاهم من ذلك هو مادة النص المعدة بحيث تعرض الاحداث المألوفة على انها غير مألوفة وغير المألوفة تبدو مألوفة وهذا هو عكس مبدأ المحاكاة في المسرح الأرسطي. ان عرض الاشياء على هذا النحو هو دعوة موجهة للمتفرج على اعمال فكره بما يدور امامه وحوله وليس التسليم والاستسلام له وهذا واضح في كل اعمال بريخت فحكم القاضي "ازدك" في مسرحية "دائرة الطباشير القوقازية" والحكم على التاجر في مسرحية "الاستثناء والقاعدة" وكذلك الجدال الدائر بين جاليليو وتلميذه اندريه اثناء حلسات محكمته من قبل الكنيسة في مسرحية "جاليليو" كل هذه هي امثلة على ما تقدم ولكن اذا نظرنا الى التغريب من خلال كل العملية المسرحية نراه قادرا على تحقيق ما انيط به من مهام احداها هو كسر التتابع الدرامي من اجل افساح المجال للفكر كي يأخذ مجراه فيستطيع المسرح تحقيق الشق الاهم من المعادلة وهي التعليمية وأما المتعة فنستطيع تحقيقها اثناء عملية التعلم الذي يصبح بحد ذاته متعة.

ان المتتبع لاعمال بريخت يجد تفاوتا من عمل لاخر في تحقيق شقي المعادلة فبينما ترجح الكفة لجانب المتعة في مسرحية "بنادق الام كرارا" نراها ترجح لجانب التعليمية في "الاستثناء والقاعدة" بينما نرى توازنا بينهما في "الام شجاعه" و "الانسان الطيب من ستزوان".

لقد وضع بريخت نظرية مسرحية بعد ان هضم كل التجارب التي سبقته ولكن نظريته تبقى مجالا حيا ومتجددا يستطيع الفنان !اخذ منها بالقدر الذي يعزز تجربتة المسرحية شريطة ان يكون هذا الاخذ مبني على فهم واضح لاسس هذه النظرية والا يكون الاخذ مجرد تقليد شكلي يكون الهدف منه التنويع في العرض المسرحي فقط.

في ضوء ما تقدم نستطيع مناقشة مسرحية "القميص المسروق" والمعدة عن قصة قصيرة تحمل نفس الاسم للأديب الفلسطيني "غسان كنفاني" والتي قدمها فريق العمل (ريم اللو، كامل الباشا، درويش ابو الريش، عماد متولي) في القاعة الصغيرة - المركز العربي للثقافة والفنون - ايام ١٦.١٧.١٨ شباط ١٩٩٠.

القاعة مظلمة، صمت، يقطع الصمت صوت الممثلين الثلاثة (درويش، كامل، ريم) وهم يبحثون عن غسان، يدور جدل حول جدوى البحث عن غسان، غسان قد مات، روحه سايحة لانه شهيد، ولكن حسم هذا الجدل يأتي على لسان (درويش) حين يقول ان غسان عمل اللي عليه ونحن مطالبون باكمال المشوار الذي بدأه غسان. تتعاقب احداث المسرحية لتبرز لنا معاناة (ابو العبد) كمثال لمعاناة شعب بأكمله يعيش في وضع مأساوي داخل المخيم ولم تكن جملة الممثل (كامل) حين يقول "مساكين سكان المخيمات"ضرورية هنا ففسان كنفاني يؤكد على ان الصورة التقليدية للمخيم هي حالة مؤقتة يجب ان تفرز وضعا ثوريا وتكون في هذه الحالة (خيمة عن خيمة تفرق). بالرغم من ان وكالة الغوث وما يدور في كواليسها من تلاعب وسرقات يتقاسمها الموظف الامريكي و (ابو سمير) واخرون كانت احد الاسباب الرئيسية لمعاناة ناس !لمخيم متمثلة بعائلة ابو العبد فأن هذه السرقات تكبر لتشمل سرقة مقدرات شعب بأكمله. ان ابو العبد ورغم بساطته ورغم كل الضغوط التي تحيط به تحاول دفعه قسرا للاشتراك في المؤامرة فانه يرفض حتى اللحظة الاخيرة، ليس صحيحا ما كانت تدعيه زوجته من انه "مش قادر يدبر حاله" وليس صحيحا كذلك ان سعادة ولده عبد الرحمن لا تعنيه وليس صحيح كذلك انه يعشق (كراكيب) الاخرين

Digitized by Birzeit University Library

ومخلفاتهم ولكنه يفضل هذه الوضعية على ان يكون شريكا في المؤامرة، الضغوط تزيد وتزيد، والصراع في نفس ابو العبد كذلك يزداد في وتيرة عالية ولكنه وقبل ان تزل قدمه ويقول "شو فيها لو اخدنالنا كيسين طحين" يدرك ان الحقيقة ليست كذلك وان المشكلة حين تكون مشكلة شعب فهي لا تحل بحل مشكلة فرد واحد ولكن بازالة اسباب هذه المشكلة ان هذا الادراك يضع حدا للصراع الدائر في ذاته ويكون الحسم حين يهوي بعصا الرفش على رأس "ابو سمير" فيخر صريعا فيكون قد قضي على احد اقطاب المؤامرة. استطاعت القصة ان تعطينا نهاية منطقية ومقنعة مبنية على اساس ان ازالة اي مشكلة لا تأتي الا بازالة مسبباتها، ابو العبد يصرخ في القصة وبعد قتل ابو سمير (غدا يحصل الكل على نصيبه من التموين" ولم يقل ساحصل انا على نصيبي من التموين فهو لو اراد ان يحصل على نصيبه، بل اكثر بكثير من نصيبه، لحصل عليه في تلك الليلة ولم يكن بحاجة الى انتظار الغد، إن المسألة ليست مسألة تموين انها تاكيد على ما قلته سابقا وغسان كنفاني يؤكد دائما على حقيقة وهي عدم ايمانه بالجراحات التجميلية حين يتعلق الامر بقضية جوهرية ومصيرية فهو يقول في الاعمى والاطرش (اذا بدك تخلع ولي اخلعه من شروشه). صحيح أن قتل ابو سمير لم يكن عن سبق اصرار وترصد ولكنه حين حدث لم نره نادما على موته بل ان صرخته تؤكد على ادراكه لقوانين اللعبة وادراكه لحجم المؤامرة. في المسرحية انتهى الحدث الفعلي عند موت ابو سمير واما ما رأيناه بعد ذلك فلم يشكل اضافة لما حدث فرأينا الزوجة (ريم) تجره للداخل وراينا ابو العبد (كامل) ينظر ليديه وعلى وجهه علامات الندم وكأنه يريد ان يقول "انا شو اللي عملته". صحيح ان الزمن الذي يفصلنا عن كتابة قصة القميص المسروق زمن طويل حدثت فيه الكثير من المتغيرات، وصحيح كذلك ان ليس مطلبنا الان هو تحسين الظروف المعيشية داخل المخيمات - مع ان هذه ليست فكرة القصة - ولكن بما انه تم تناول هذه القصة بالذات كمادة لاعداد المسرحية وجب على فريق العمل اعداد نهاية تستطيع تغريب حادثة الموت لاعطاء ابعاد جديدة للقصة والمسرحية معا أو على اقل الوقوف تماما عند موت ابو سمير دون الندم على ما حصل.

لقد نجح الاعداد ومن خلال المشاهد المتلاحقة والتي حاولت المزج بين اسلوبين في بناء النص احدهما الاسلوب التقليدي المبني اساسا على المسرح الأرسطي الدرامي وهو متمثل ب "ابو العبد" ضمن دائرة علاقاته فنراه مع زوجته ونراه وهو يحفر القناة ويرجع بالمونة لبيته لقاء يوم عمل، ونراه كذلك وهو يحفر برفشه حول الخيمة ويتصارع مع ابو سمير ويقتله، ولكن بالاضافة الى ذلك نرى ابو العبد يختفي حين يقوم الممثل "كامل الباشا" بلعب دور عامل البناء ويختفي كذلك ابو سمير حين نرى الممثل "درويش ابو الريش" وهو يقوم بعد حدوده أو حين يلعب دور رجل عجوز تكون فيه الممثل ريم ايضا زوجته العجوز، ان سر النجاح في هذا المزج يرجع الى تناول مشاهد تربطها مع الحبكة الاساسية للقصة وحدة الموضوع فجميع المشاهد الاضافية تتناول الى جانب الحبكة الاساسية موضوع السرقة، فالرجل يسرق ارض جاره وصاحب الملك الذي يريد بناء بيت يحاول سرقة جهد عامل البناء

وحتى حين يتم التحدث عن "صحن الصمات" فنرى ان هناك ابتزازا قد تم. ولكن وبالرغم من هذا النجاح فقد اخفق الاعداد في احداث التأثير الحقيقي للتغريب المستخدم في التجربة. لقد اوردت في المقدمة ان هدف التغريب هو اشراك المتفرج ايجابيا في التجربة عن طريق كسر الايهام ولكن الاسلوب الذي اتبعته التجربة في اقحام هذا التكنيك لم يعط النتائج المرجوة منه. لقد

Digitized by Birzeit University Library

توجه الممثلون الى منفذ الاضاءة لمحاورته فنحن نعرف انه كان احد اعضاء الفريق والمرات القليلة التي توجه فيها الممثلون للجمهور فقد كانوا ايضا يمثلون ولم يحدث تفاعل حقيقي بينهم وبينه.

اذا كان الاحساس عند المجموعة في هذه التجربة ان هذا الاسلوب هو مأزق يجب الخروج منه بالسرعة الممكنة فكان عليهم عدم استخدامه اصلا واما اذا كان استخدامه كشكل في التجربة فقد نجحوا في ذلك، ان المرة الوحيدة التي يكاد فيها هذا التكنيك ان يفعل حين تبدر جملة على لسان الممثل كامل الباشا مفادها "لف الحطة هيك على رأسك بتصير معلم بنا"، حقيقة ان التغريب يطال الزي المسرحي ولكن لو لم يذكر الممثل هذه الجملة لرأينا في شكله انسان مقنع على انه معلم بناء فكان التغريب في تعليقه على الزي وليس في الزي حقيقة.

لقد أظهرت التجربة اداءا جيدا حاول استغلال طاقة الممثلين ووضعها في خدمة العمل والتجربة وقد تميزت هذه التجربة بوجود وجه تعودناه وسمعناه يغني في عمل "الرحالة الاخير وهو وجه الانسه "ريم اللو" التي كانت تؤدي باسترخاء وبحضور جيدين طيلة مدة التجربة، وهي الى جانب ذلك تمتلك صوتا جميلا تم استغلاله في هذه التجربة ولكن كان يتبادر احساس الى ان ابراز هذا الصوت كان على حساب العمل احيانا، في المرتين قامت ريم باداء مقاطع من أغان لفيروز اولهما "سنرجع" والثانية اغنية" يلا....) وقد انهت الاغنية حين فطن كامل لمقاطعتها طالبا منها اكمال الاغنية فتجيبة " والله بالك رايق" مع اننا حين نسمعها تؤدي كل هذه الاغنية نحس ان بالها هي اللي رايق وليس هو، "كامل الباشا" ممثل جيد ولكن في هذه التجربه كان اداؤه متفاوتا بين مشهد واخر فكان يؤدي باسترخاء في المشاهد التقليدية ولكن حين يصل الامر الى المشاهد التي يتم فيها تجاوز النص التقليدي فنرى تفاوتا في الاداء فاحيانا يكون متوترا وفي مرات اخرى يكون اقل توترا ولكن الخلل الاكبر كان في النهاية وكان هذا الخلل في الاداء مستندا الى خلل سبقه في بناء النص واعداده وادى بالتالي الى هذه النتيجة التي لم تستطع ان تخدم العمل ولا الممثل فكانت احد مواطن الضعف في هذه التجربة، ان الاجراء التي عقبت موت ابو سمير والتي تم تجاوزها لم تبن بشكل يساعد الممثل على فهمها وبالتالي وصلت الى المتفرجين بصورة مشوهة، اما "درويش ابو الريش" فكان افضل من التجارب السابقة وهو يؤدي المشاهد التقليدية ولكن في اللحظات التي كان يخاطب فيها منفذ الاضاءة فلم تكن دائما بنفس المستوى ولم استسغ منه مناداته (ابو الفساسين) في بداية العمل فقد اظهرت سذاجة لا تنسجم مع الطروحات التي طرحها فيما بعد في نفس الموقف، وفي المشهد الذي كان يوسع فيه حدود املاكه فلم يكن الاداء مبنيا بشكل سليم وكانت الحركة اقرب الى العفوية ولم تستغل كل امكانيات المشهد المتاحة ولكنه في كثير من اللحظات كان يظهر تقدما في ادائه كممثل.

الديكور جمع بين الواقعية والتجريدية ولكن النزعة الواقعية وحتى الطبيعية كانت طاغية وقد غلب عليه اللون الاخضر. الديكور من الناحية الجمالية جيد ففيه التوازن والهارموني في اللون اذا تذكرنا ان الارضيه كذلك مفروشة باوراق خضراء، هذا من الناحية التشكيلية البحتة، ولكن اذا اردنا اختبار مدى ملائمته للتجربة نستطيع ان نقول ان الديكور لم يمد التجربة الا بمكان للحركه فقط فهو لا يعبر عن الجو العام ولا الجو النفسي للعمل وهو جو صراع وقرف والم ومعاناة بينما نرى انه حتى الاوراق الميتة والساقطة خضراء، هذا اللون الاخضر الذي يغلف

Digitized by Birzeit University Library

الديكور كله هو لون بارد مهديء للاعصاب لا يعكس جو العمل باي حال من الاحوال، انتظرت طويلا أي اشارة تبين على ان هذا الاختيار مستند على تغريب الديكور ذاته ولما لم اجدها تأكدت من الخلل في هذا الجانب من العمل يجب التنبه اليه في التجارب القادمة وعدم ترك ذلك للعفوية فقط.

الاضاءة اضفت جوا سحريا غامرا حاولت خلق جمالية لونية وكانت احيانا تعطي ابعادا زمانية ومكانية ولكن كانت عاملا هاما في تكريس جو الايهام بحيث فشلت محاولات الممثلين عن طريق الاحتكاك بجمهور القاعة في ازالته وقد كانت الاضاءة الى جانب الديكور من اهم العوامل التي ادت الى استرخاء الجمهور في القاعة.

الازياء كانت اقرب الى الواقعية منها الى التجريد وقد تم التعامل معها بكل بساطة، وكانت علاقة الثياب الماثلة للعيان وكذلك عملية تبديل الملابس امام الجمهور تحمل بعدا تغريبيا لم تحمله الازياء نفسها، حيث كانت هذه العملية حين تتم تذكر المتفرج انه في مسرح وكانت تكسر عملية الايهام والتتابع الدرامي.

الموسيقى كانت انتقائيه، تم استخدام اغنية ل "زياد" احيانا واحيانا اخرى موسيقى صوفية وكان هناك تفاوت في اصابة الهدف دائما، من تجربتي استطيع القول ان اعداد موسيقى واغاني خاصه بالعمل تشكل عنصرا هاما في انجاحه، لقد جربت كلا الاسلوبين وبالتجربة تبين مدى التفاوت بينهما فبينما كان الاسلوب الاول هو احد اسباب نجاح العمل كان الاسلوب الثاني هو احد مواطن الضعف فيه، وبما ان المهمة ليست سهلة فنستطيع العمل بحذر حين الاخذ باسلوب الانتقاء، وقد كان اختيار فريق العمل للموسيقى موفقا الى حد كبير ولكن التعامل مع الموسيقى في هذه التجربة لم يشكل اي اضافة للعمل، وفي المرات التي ادت فيها ريم مقاطع كانت لفيروز فحبذا لو تم تأدية مقاطع جديدة قد تم اعدادها لتلائم العمل وتكون جزءا منه.

الحركة كما تعلمناها في دروس الاخراج يجب ان تكون مبررة كماً وكيفاً وتوقيتاً وايقاعاً، ان بناء الحركة في العمل المسرحي قد تطور عبر العصور ومع تغير المذاهب المسرحية وهي كذلك خاضعة لشروط العرض المسرحي. ان طبيعة القاعة الصغيرة ذات المستوى الواحد عناصر الضعف في مجال الرويا فكل الحركات التي كانت تؤدي في وضع الجلوس كانت لا ترى من قبل المتفرجين في الصفوف الخلفية، وكذلك مكان مكتب الوكالة في احدى زوايا القاعة بحيث كان الممثل لا يرى من قبل الكثير من المتفرجين حتى حين يديرون رؤوسهم فشكل عبئا اضافيا على متابعة التجربة، لا ادري لماذا وضع مكتب الوكالة على هذا النحو، هل كان السبب عدم افساد جمالية الديكور وتوازنه؟ اذا كان هذا السبب فقد كان العلاقة لوحدها تقوم بهذه المهمة، واما اذا كان السبب هو اجبار الجمهور على ادارة وجهه طيلة ذلك المشهد فكان الاجدى بذل الجهد حتى يدير المتفرج فكره وليس وجهه ورأسه، لا اريد ان اتدخل في التجربة لاقول ان اقامة العرض وسط الجمهور كان يمكن ان يعطي نتائج افضل ولكني اقول ان بناء الحركة جاء مشوشا وذلك للتشويش الحاصل في اقامة الديكور وهو المكان الذي يتحرك فيه الممثل خالقا مجالات الحركة التي جاءت متشابهة ومسطحة في هذا العمل.

ان التجريب هو سمة اساسية من سمات مسرح التغيير ينتج عن التفاعل الدائم والمستمر بين المضامين والاشكال ضمن علاقة التأثر والتأثير، فالمضامين هي في حالة تحول وتغير دائم تغير

Digitized by Birzeit University Library

الحياة ذاتها وهي دائمة البحث عن اشكال جديدة تكون اكثر قدرة للتعبير عنها وهذه العملية لا تتوقف ابدا، لقد استطاع بريخت عن طريق التغريب اكساب كل الاعمال القديمة والتي قام باعدادها مسرحيا ابعادا جديده فما هي الابعاد الجديدة التي استطاعت التجربة هنا اكسابها لنص غسان كنفاني "القميص المسروق" حين قامت باعدادها مسرحيا على النحو الذي رايناه.

لقد حاولت التجربة جاهدة التركيز على قضية السرقة عن طريق اضافة مشاهد اضافية تعزز هذا الجانب من القصة ولكن عدم استخدام اسلوب التغريب على نحو سليم ادى الى عدم الاضافه الكثيرة على ما قدم غسان كنفاني رغم ان العاملين بالتجربة ومنذ اللحظات الاولى يذكروننا ان غسان "عمل اللي عليه" واننا نحن مطالبون باكمال الباقي او لعلني قد فهمت المسأله على نحو مخطوء فكان المقصود بذلك هم جمهور المتفرجين وليس العاملين بالتجربة.

ان التجربة المسرحية "القميص المسروق" وبالرغم من بعض الهنات التي كانت تعتريها لكنها تبقى تشكل خطوة جديدة في الاتجاه الصحيح نحو حركة مسرحية جادة تعتمد التجريب اسلوبا لها وتكون اضافة لكل ما سبقها من منجزات في هذا الاتجاه.

بعد لحظات من وقوع المجزرة

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

رحلة نحو المستقبل

عمر ابو عقاب

.....وسمعت صوتا يقول «اهلا بك يا سلام في رحلتنا على متن طائرتنا (الكرة الحجرية)». «هل هذه نكتة»؟ «اية رحلة جوية»؟» «وأية طائرة تلك المسماة (الكرة الحجرية)»؟» ضحكت بتشكك وقلت في نفسي «هو لا بد حلم». فرد علي الصوت ضاحكا بلطف «بل حلم وحقيقة يا سلام .... حلم وحقيقة يا صديقي». ازداد انبهاري بالذي يحدث، وتساءلت بقلق «كيف يستطيع هذا ان يقرأ افكاري؟!».

وتذكرت فجأة ان رنة الصوت لم تكن غريبة على اذني بل «هي مألوفة» حاولت ان اتذكر ولم يكن ذلك صعبا «نعم الصوت صوت استاذي وصديقي علي الذي رحلوه مطرودا على متن طائرة هيليكوبتر عسكرية ... وقيل انه عندما جروه الى الطائرة رفض وقاوم فعلقت قدمه بصخرة. ولما لم يكن لديهم وقت ليخلصوها انطلقت الطائرة فانسلخت القدم عن الجسم وبقيت متشبثة بالارض. يقشعر بدني لفكرة انسلاخ قدم عن جسمها او انسلاخ جسم عن قدمه» «بل انني كلما اتذكر الحادثة اشعر بأن قدمي هي التي سلخت» لم يترك لي الصوت مجالا لمزيد من التفكير فعاد يقول:

«نحن الان نطير في اجواء دولة فلسطين ....» شهقت من هول المفاجأة وكدت أغص بريقي وأنا اردد «دولة فلسطين ....» «هل يعني ذلك بأننا حققـ ...» «انها ولا شك رؤيا» اكدت لنفسي ...

واني لاتساءل - ولكن لا تتعجلوا وتتهمونني بالغيبية فأنا لست كذلك - هل صحيح ما يتناقله الناس في بلادنا من ان الانسان في لحظات النزاع يقترب من الحقيقة!! ويكون قادرا على استشفاف المستقبل ...؟ بالطبع لا احد يستطيع الجزم لان احدا لم يعد من عالم الموت.

ذلك لان رؤياي هذه ابتدأت مباشرة عقب ان اصبت ذلك الصباح في احدى المباريات التي اعتدنا خوضها انا ورفاقي كل يوم تقريبا ... وانتم بالطبع على دراية بالعابنا وقواعدها فقد باتت العالبا شعبية مفضلة وواسعة الانتشار هذه الايام ولم يكن ذلك الصباح مختلفا عن غيره كل ماهناك انه خطر لي قبل خروجي من البيت بأنني سوف «استشهد» هذا اولا ... وثانيا كنت على درجة كبيرة من السعادة والصفاء فبدأ كل شيء حولي جميلا مزهرا ومتفتحا، رفاقي والناس وواجهات العمارات الملطخة ببقع الدهان تطل من تحتها باصرار الكلمات وانصاف الجمل المشطوبة ..... حتى ذلك الركام من الاشلاء المعدنية والخشبية التي شاءت الصدف ان تجتمع لتشكل متراسا في وسط الشارع كان في نظري انجازا معماريا رائعا اما الاطار

Digitized by Birzeit University Library

المطاطي الذي القيناه امام المتراس ليكون اشغاله بمثابة اشارة لبدء المباراه فقد كان من الاهمية بحيث كنت مستعدة لافتدائه بنفسي كل ما في الكون كان سعيدا بنا وبالعابنا ضد اولئك الخصوم من الفريق الاخر فقد كانوا خصوما خطرين كريهين رغم ان ملاقاتهم اضحت شرفا لنا وتحديهم مدعاه لحبورنا وسعادتنا. ومنذ ان كنت طفلة صغيرة لا أذكر انني شعرت نحوهم بالخوف وانني لا استطيع فهما كيف ان والدي يعملان حسابا لأمثالهم. لقد اعتدت النظر اليهم كأحد الشرور التي تعرفت على وجودها منذ ان اخذت اعي حقائق الحياة. اما في السنتين الاخيرتين فقد اختلف الامر فأنا اشعر ان من واجبي ان امزم مؤلاء الخصوم.

عندما جاءت نوبتي لقذف الكرة الحجرية كان اللعب قد هي وطيسه. كنا نتقدم بحذر لنقذف كراتنا نحو خصومنا ثم نسرع بالعودة قاطفين رؤسنا لنختفي وراء زاوية البناية. كانت قواعد لعبتنا تقتضي ان نتفادى قدر الامكان اطالة المواجهة مع الخصم فخلال ثوان عليك ان تقذف بكرتك الحجرية وتسرع عائدا .... وعليك ان تتأكد من عدم وجود خصم آخر غير الظاهر لك يقبع خلف جدار ما، او ان يباغتك بعض الخصوم من الخلف ممتطين سيارة تحمل علامة فريقك ... او ان يأتيك الخصوم على هيئة صحفيين ممن يغطون وقائع المباريات. وعليك في نفس الوقت ان تحذر المراقبين وما ادراك ما المراقبين. هذه غيض من فيض الامور التي عليك كلاعب ان تتمرس بها وتدركها والا اصابك الخصم اصابة مؤلمة قد تخرجك من اللعب مؤقتا او الى الابد

(وهذا ما نسميه استشهادا) خاصة وان قواعد المباراة تقتضي ان يواجهك الخصم بكرات معدنية تكون حينا مرتدية غطاء بلاستيكيا رقيقا واحيانا عارية سافرة .....

امتدت يدي الى الخلف وانطلقت الى امام كي ارمي بكرتي خصما كان ماثلا امامي عندما لاحظت لمعانا خبيثا لغطاء راس خصم آخر مختف وراء جدار جانبي المهارات التي اكتسبناها بالممارسة - سمعت الدوي وسمعت في نفس اللحظة دويا حادا لكرة معدنية سافرة - اذ ان تحديد نوع الكرة من صوت انطلاقها هو إحدى من خلال خاصرتي وألمتني اذناي الما شديدا دارت بي الدنيا وتصايح اللاعبون من حولي. وعم نور مبهر غطى على كل شيء فاحال الكون سكونا مطبقا ....

«نعم يا سلام دولة فلسطين المستقلة، ما عليك سوى ان تنظري الى الارض ...» نظرت الى اسفل فرأيت ارضا خضراء مشرقة. وجبالا تكسوها الاشجار واودية خصبة ... وما هي الا لحظات ورأيت مدينة القدس كانت تبدو مثل مدينة سحرية خرجت لتوها من بين صفحات الف ليلة ....

ثم ما لبثت ان ظهرت مدينة كدت لا اعرفها فالعمارات الشاهقة وابراج المصانع الكبيرة قد غيرتا معالمها ومع ذلك فالمساحات الخضراء ازدادت واتسعت. والذي اسعدني بصورة خاصة انهم اقاموا في المكان الذي يسمى بيت ايل مدينة ملاهي كبيرة، فما اوضحها من مفارقة بين الحاضر والماضي - او بين الحاضر والمستقبل، لا أدري بالضبط - ومن الاعلى كان بامكاني ان الاحظ كيف غصت تلك الملاهي بالناس صغارا وكبارا. اما جامعة بير زيت فكان منظرها بعد اكتمالها وتنظيمها مبهرا حقا. دارت الطائرة دورة كاملة حول مدينة رام الله. وكان عملا جبارا يقوم على قدم وساق لتوسيع مطار قلنديا. عادت الطائرة واتجهت شمالا مرة ثانية وهنا سمعت صوت الاستاذ علي ...«والان نتجه شمالا نحو نابلس اكبر المراكز التجارية في دولتنا. وبعدها نواصل شمالا ثم تدور باتجاه الجنوب فوق منطقة الاغوار ونستمر عبر الممر الجوي

Digitized by Birzeit University Library

الخاص بدولتنا متجهين الى قطاع غزة اما في

المرحلة الاولى فلسوف نحلق فوق نابلس حيث افتتح امس الاول معرض نابلس الدولي بمشاركة ماية وثلاثون دولة

هزني سماع اسم مدينتي من الاعماق وثارت في نفسي عاصفة من المشاعر المضطرمة ولم اتمالك نفسي فانهمرت دموعي .... كيف ذلك؟ متى ....؟ نابلس مدينتي التي يفترض انني انطلقت منها منذ وهلة قصيرة .. نابلس المحتلة المقهورة الثائرة النازفة نابلس حي القصبة .. وبيتنا في حارة النزله المحررة. نابلس انا ورفاقي فرسان المواجهات المضحكة المبكية ... مواجهات البراعم التي استوشكت مع الحديد والنار. كيف يكون ذلك ...؟ واين انا من كل ما اراه واسمعه؟ هل ارى نفسي وانا امر فوق بيتنا ...؟ لم يستطع عقلي ان يحلل هذه المعضلة فجاءني صوت الاستاذ علي وكأنه ادرك حيرتي «هذه هي الحقيقة يا سلام، لا تحتاري ولا تستهجنين فقد قدم شعبنا التضحيات الجسام من اجل ذلك والشعوب يا غزيزتي لا تضحي هدرا من اجل سراب. كانت الكرة الحجرية الطائرة تشير بسرعة كبيرة ومع ذلك وددت لو تضاعفت سرعتها كي ارى مدينتي الحبيبة الشجاعة الصامدة الأبية مدينة الحب والسلام، الحضارة والاصالة، الذكاء والحكمة ... هيا يا كرتي الحجرية انطلقي اسرع واسرع كي اعود اليك يا مدينة المستقبل...

«اسم الله عليك يا حبيبتي» قالت امي التي ظلت قابعة الى جواري لا ادري منذ متى وكان لسانها لا يتوقف عن الابتهال بصوتها الذي اعتبره اجمل الاصوات في الوجود. كانت ابتهالاتها وتنهداتها دائما موسيقاي التي احلم واتخيل وافكر على خلفيتها .. خالقة لنفسي عالمي الخاص الذي لا يشاركني فيه احد .. اغمضت عيني كي اوحي لها بأنني نائمة فتواصل هي موسيقاها الاكثر عذوبة على قلبي واواصل انا التفكير فيما رأيت وفي اللحظة التي انطلقت منها رؤياي.

حاولت جاهدة ان استعيد اللحظة التي بدأت فيها رؤياي حول الطائرة الحجرية. حاولت ان انبش نحو الضوء الباهر الذي طفى على كل شيء وقتما اصابتني الكرة المعدنية في خاصرتي ... فقد امتدت يدي بالكرة التي شعرت بها منطلقة باندفاع هائل وكأن الوقت لم يسعفني لاخلص يدي منها فبقيت متشبثة بها وهي مندفعة وسط الضوء الباهر الذي كان يملؤني بسعادة شفافة، كانت الكرة ترتفع وترتفع وكنت انا نجذوبة نحوها لا اشعر وزنا لجسمي، وملأني احساسي بانني احلق عاليا في السماء، كنت عبر فائق البتة بل كان يملؤني فرح عذب عندما سمعت الصوت -«اهلا بك يا سلام في رحلتنا ... كان صوت استاذي وصديقي واعز الناس الى قلبي علي هو الذي حملني معه في تلك الرحلة وحتى هذه اللحظة اكاد لا اصدق ان ما رأيته كان حلما. حتى انني كنت قادرة على استعادة الحدث بكل تفصيلاته وكنت كلما استعدته ازددت تعلقا بذلك العالم الذي تجسد لي في رؤياي.

واكتشفت لاول مرة بأن شعوري نحو استاذي علي كان حبا تملكني طوال عامين من معرفتي له وصدقوني انها المرة الاولى التي اعرف فيها معنى ان تحب الفتاة ....ولم يخطر ببالي قبل هذه اللحظة كالتي ارقد فيها في مستشفى الاتحاد خارجه لتوي من غرفة العناية المكثفة اني اقع بحب احد.

كانت امي تواصل .. ابتهالاتها وكنت انا ارى نفسي وقد خرجت مع رفاقي نبحث عن القدم التي سلخوها عن جسم حبيبي، كنا عاقدي العزم على ان نحيل الصخرة التي تشبثت بها قدم علي الى كرات حجرية كي تحملنا نحو المستقبل ... ذلك الذي ارتأيته وانا معلقة بين الموت والحياة .....

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

قصص قصيرة جدا

تيسير عبد العزيز
الشجاعية / غزة

القصة الأولى: كنا ثلاثة

أنا وأنت والصمت يلفنا.. لم نسمع وقع خطواتهم الثقيلة وهي تقترب! لم نعر اهتماما لطرقاتهم العنيفة ومحاولاتهم لكسر الباب الذي يفصل بيننا وبين العالم الخارجي كله.. أرشف فنجان قهوة وتعبثين بشيء ما في يدك.. احدق في عينيك وتحدقين في فضاء الغرفة.. تزداد حدة الضربات عنفا.. الباب يئن ويتألم.. صخب وضوضاء.. ولم تطرف لك عين.. تلتحم شفتانا في قبلة طويلة.. هطل مطر مدرار.. والعرق يتدحرج حبات كبيرة على عنقك...

× × ×

أنا وأنت.. كنا نمارس هوايتنا المفضلة في مراقبة العالم المجنون.. المتقلب وحين اقتحموا صمتنا.. وحدتنا.. قبلتنا.. انتهى كل شيء الى غرفة تحقيق رطبة موحشة.. سجلت اسمك ورقم الهاتف على جدران الزنزانة.. بحثت عنك في داخلي.. في شعاع الشمس المتسلل الى أطرافي الباردة!

× × ×

العالم المجنون.. يمارس الديمقراطية بشكل يدعوه للفخر والاعتزاز بانسانيته.. حتى في غرف التحقيق صفت صناديق الاقتراع السري.. ولضمان "نزاهة" الانتخابات حضر مندوب عن "الانتربول".. في الزنازين والحانات.. صور المرشحين تزين جدران المنازل الآيلة للسقوط والمدارس القليلة العدد والمقاهي المكتظة بالعاطلين عن العمل.. تساءلت وأنا أجيب بغموض حائر حزين على أسئلة المحقق الشاب الذكي.. ترى هل ستذهبين للادلاء بصوتك؟.. ولكن أنت تجهلين قواعد لعبتهم".. انتماؤك الوحيد للحب.. ولاؤك لازهار الربيع تتفتح في جنبات جسدك الغض.

صرخ المحقق: للمرة الألف أدعوك للاجابة باتزان.

قلت دون تفكير: أؤيد اي برنامج انتخابي يتضمن حلا لأزمة رغيف الخبز ولمشكلة المجاري المستعصيه منذ الانقلاب الأول.

× × ×

أنا وأنت والصمت نراقب عالم القرن العشرين من برجنا السري.. نمارس هوايتنا المفضلة.. نذهب بعيدا عن صخبهم وضوضائهم.. عن جنونهم ومجونهم في قبلة حارة وحين يداهمنا رجال الأمن بحثا عن منشورات سريه نبتسم بخبث ونقول: لا زلت يا عزيزتي في

Digitized by Birzeit University Library

شهورك الاولى .. جنينك يترعرع بين حنايا الوجدان ومن يعلم؟ متى يتوقف المطر عن الهطول بغزارة في هذه الليلة الكانونية؟؟

× × ×

القصة الثانية: حلم

اعلن مدرس اللغة العربية لتلاميذه بصوت احتفالي: اليوم سوف تكتبون موضوعا انشائيا حرا.

الطالب الانيق فكر أن يكتب عن رحلته الاخيره مع اسرته الى القاهره.

الطالب المجتهد قرر أن يصوغ موضوعا يتضمن فكرة مثالية عن مدينة فاضله تخلو شوارعها من اكوام القمامة وعربات الباعة المتجولين.

الطالب الخجول .. سجل كلمات مؤثره.. في رثاء ابن الجيران.. صديق عمره ورفيق طفولته.. سقط واقفا.. وثغره مفتر عن بسمه أمل عريضه..

الطالب الكسول .. رأى أن يسجل حلما رآه الليلة الفائته!!

القصة الثالثة: كرم

الوجيه الثري يملك منزلا من طابقين.. أحتل "الغرباء" الطابق العلوي لمراقبة صبية الحي وفتياته اثناء غدوهم ورواحهم. الوجيه يعرف "اصول الضيافة جيدا" لذلك كان يتسلل خفية تحت جنح الليل وهو يحمل شيئا ما تحت ابطه..

يبتسم الغرباء في خبث ويتساءلون .. ما هذا؟

يرد متوددا.. هذا من خيركم!!

يضحك احدهم .. ثم يقول : كرم اليس كذلك؟

يعقب آخر بل قل ك و ك !!! ●

القصة الرابعة: العالم يستيقظ مبكرا

هناك.. حيث اعتاد الناس أن يحيوا بطريقة اخرى.. ثمة فوضى في كل مكان.. اكوام قمامة روائح عفنة، أبواب محطمة، سيارات محروقة.. حيوانات نفقت على قارعة الطريق.. متسكعون وكسالى.. تجهم وكآبه تعلو الوجوه.. حيرة وقلق وانتظار.. وهناك في مكان قريب من البحر.. ثمة ثكنة عسكرية. يستمتع جنودها ذوو العيون الزرقاء باحتساء آخر ما تبقى من قطرات نبيذ معتق وجدوه صدفة في قبو قصر قديم.

× × ×

وهناك.. حيث عاش البسطاء من الناس أقل من ربع قرن بقليل يحلمون بالفردوس المفقود الذي وعدهم به الزعيم والقائد والجنرال والكتب المدرسية ولوحات الاعلانات الملونة ونشرات الاحوال الجوية وشهادات الوفاة والميلاد.. هناك ثمة عجوز طاعن يتوكأ على عصاه.. يقطع شارعا في وسط المدينة الغارقة في حزنها.. يتوقف في منتصف الطريق.. يلتفت يمنة ويسره..تلمع في عينيه الغائرتين حيرة غامضة.. وحزن عميق يكلل شيخوخته الواهنة. يقترب منه شاب يافع.. يمد له يدا قوية. يساعده على اجتياز الطريق بسلام.

× × ×

وهناك.. ايضا امرأة تجلس قبالة مرآتها.. تمسح آثار الليل والكبر عن وجهها.. ترشف فنجان قهوتها.. تأخذ حقيبة يدها وتخرج

● ملاحظه: كوك - اختصار كلمة "كوكائين" وهي الكلمة الدارجة بين الناس في القطاع.

Digitized by Birzeit University Library

مسرعة.. في الطريق يستوقفها طابور من البشر.. نساء وشيوخ وفتيات جميلات.. يتناقص الواقفون في الطابور أمامها ليزداد من خلفها.. سلسله من الاجساد الدافئة متلاحقة.. متزاحمة.. هي تعرف لماذا تقف بين هؤلاء؟ الشاب الواقف أمامها لايعرف ايضا وكذلك المرأة الطاعنة من خلفها! تمر الدقائق.. طويلة مملة.. تتأخر عن عملها.. لا يهم.. العمل ينتظر ولكن الطابور لا.. اخيرا تقف وجها لوجه مع المفاجأة.. فتاة لها ملامح رجل عابس.. تبدو في عجلة من أمرها.. تصرخ آمرة: كم تريدين؟ زوجا؟ اثنين؟.. دزينة!!.. ولكن ما حاجتي لربطه عنق؟!

جدعون صامت في هآرتس:

«القذرون» .... لا يخافون من الجيش

اتذكرون «الانتفاضة؟ رشقوا الحجارة ،قتلوا، وقتلوا.

اتذكرون حافلة الباص في طريق القدس تل ابيب؟

اتذكرون ضرب السكاكين في تل ابيب والقدس. كلا يبدو انكم منهمكون في قرف تشكيل الحكومة. لقد احتلت في الماضي الانتفاضة صفحة او اثنتين في كل صحيفة، ومع هذا فقد نسيتم وكأن الوضع قد هدأ وعادت الحياة الى مجاريها.

وجاءت تصريحات الجنرال باركوخبا تطالب بالقاء القنبلة المنطقلة ليقوم هو بعملية سحرية ويقضي على الانتفاضة!

ولكن الواقع في واد ونحن في واد اخر. فمثلا الادعاء الباطل بأن حدة الحوادث قد قلت فمقارنة بين حوادث عام ١٩٨٩ والعام الذي سبقه تدل على ان تصاعدا في عدد الحوادث قد طرأ. وتدل الاحصائيات على ان معدل الحوادث اليومية قد بلغ عام ١٩٨٩ ٨٠٩ حادثة مقابل ٧٠٩ في العام السابق. وقد تأكدت من صحة معلوماتي التي استقيتها من مكتب الناطق الرسمي باسم الجيش. فهناك تصاعد وتعاظم في عمليات الانتفاضة لنقارن مثلا بين الاربعة اشهر الاولى لهذا العام مع العام الماضي فقد وصل عدد الحوادث في هذه الفترة من هذا العام الى ٢٣٨٩٩ حادثة مقابل ١٢٤٠٥ حوادث في الفترة المقابلة من العام الماضي اي زيادة ضعفين تقريبا.

ومع هذا فان الارقام وحدها لا تدل على التغييرات الجذرية التي طرأت على حياة المواطنين الفلسطينيين الذين تعودوا على الانتفاضة ومشاكلها ويبدو ان « القذرون » كما يسميهم جنود اسرائيل لا يخافون من الجيش الاسرائيلي ولا تذعرهم تصريحات باركوخبا! فقد اعتادوا المتاجرة في ساعات محدودة، وتخلوا عن الخدمات التي تقدمها السلطات واكتفوا بادارة شؤونهم بواسطة اللجان الشعبية. ولم يدع القرار الاخير بفتح الجامعات بسبب الضغوط الخارجية بل لان الالاف من الشباب الجامعي يشكلون خطرا اكبر اثناء وجودهم خارج الحرم الجامعي ؟ وقد اعتاد الناس في الاراضي المحتلة على مقاطعة البضائع الاسرائيلية. ولم تعد سيجارة « التايم » هي سيجارتهم المفضلة، وزاد شرائهم لعلف الدواجن ورادوا من تربية الارانب « على الرغم من انف الراب شاخ » واثبتوا انهم يكتفون بالقليل.

ان الظاهرة البارزة في الاراضي العربية المحتلة هي تزايد افراد الطبقة المثقفة العاطلة عن العمل، فهم الذنب الذي لا يذنب والذي يعد الانتفاضة بالوقود. ولا تستغرب عزيزي القارىء بأن الشاب الذي يقدم لك صحن الحمص في مطعم في تل ابيب هو شاب جامعي.

لقد قاموا بفشل ادمغتنا وكأن الانتفاضة قد هدأت ويبدو اننا لن نصحو من غفوتنا الا بعد حدوث مأساة جديدة تحصد العديد من الارواح، مما يحث الشعب الاسرائيلي على ممارسة الضغط على حكومته للسير في مسيرة سلمية جدية وحقيقية - لأن « القذرون » قد برهنوا انه لا يمكن القضاء على الانتفاضة ولا حل الا بالمفاوضات!.

Digitized by Birzeit University Library

شعر

خَاطِرَةُ تَعَبْ!!

المتوكل طه

.....

.....

وأقولُ: مِن حُزْني أُغنّي،

مِن حُداءِ العِيسِ عَطشى

في المفازاتِ الطويله،

مِن بُغامِ الظبيِّ،

في هَدْوِ الهزيعِ،

ومِن بقايا دمعةٍ سالتْ

على سيّالِ ليلى،

وٱستحالتْ في حروفِ الشِعْرِ بَوْحاً

آهِ يا مجنونُ!

خُذْني للهيامِ الفاتنِ السحريِّ،

ضَوِّعْني بمِسْكِ العِشْقِ،

ضَيِّعْني زَماناً في متاهاتِ العُيونِ السُودِ،

وآروِ لي آبتهاجاتِ الزمانِ العسليِّ..

مُرَّةٌ أيامُ هذا العَصْرِ،

خُذْني لشِعابِ الأَرضِ

لا شيءَ سوى حُزْنِكَ يَهْمّي،

وٱرحَمْني مِن ضجيجِ الهَذَرِ العصريِّ

إنّي تَعِبٌ أيُّها المجنونُ مِن عِشْقٍ ذوىٰ

قد أباحَ السِرَّ طَوْعاً

والذي رَقَّتْ له الكثبانُ غابْ.

والعيونُ الحُور؟

راحتْ رَعْدَةُ الأعماقِ..!!

غابوا في العَذابِ الغامضِ السريِّ،

في هواءِ النايِ ذابوا ...

والذي جُنَّتْ به الصَحراءُ ذابْ!

وأقولُ: مِن حُزْني أُغنّي،

مِن رحيلِ العاشقينَ بلا وداعٍ،

رغم أنَّ الإثمِدَ الليليَّ في العينينِ يُغْري ..!

أين راحوا؟

أين فاحوا؟

Digitized by Birzeit University Library

إسألوا المجنونَ أو رَسْمَ التُرابْ .
إنّهُ صَدَّقَ حُزْنَ العِشْقِ
والعاشقُ مَنْ ماتَ،
وليلى في فؤاديهِ صلاةٌ،
.. ولها صلىٰ وتابْ.

اصدار جديد لدار «عربسك»:

«مطالع من انتولوجيا الشعر الفلسطيني في الف عام» - لسميح القاسم

* صدر حديثا، عن دار «عربسك» في حيفا كتاب «مطالع من انتولوجيا الشعر الفلسطيني في الف عام» (من ٩٠٨ حتى ١٩٣٦) للشاعر سميح القاسم.

وقد اعدت هذه المختارات، كما جاء في الكتاب، في العام ١٩٨٨بالتعاون مع منظمة «اليونسكو» ثم زيدت عليها بعض النماذج، على ان يتم استكمالها مستقبلا «بحيث تشمل الشعراء الفلسطينيين في البلاد والاجيال اللاحقة في المنفى».

جاء الكتاب في (٢٧٤) صفحة من القطع الكبير وبغلاف سميك تزينه لوحة نحت بارز من الطين والقش للفنان سليمان منصور واشرفت على الاخراج الشاعرة سهام داود.

وكتب سميح القاسم مقدمة للكتاب تحت عنوان «لماذا هذه الانتولوجيا؟» اكد فيها ان همه من وراء تقديم هذا البحث الادبي هو التأكيد على الهوية الثقافية الفلسطينية (التي هي بطبيعة الحال ملمح من ملامح الهوية الثقافية العربية الشاملة)، ودحض مزاعم الصهيونية حول الغياب العربي الفلسطيني قوميا ووطنيا وحضاريا.

وتجدر الاشارة الى ان هذا الكتاب هو الثاني في سلسلة اصدارات «عربسك» بعد كتاب «الرسائل بين محمود درويش وسميح القاسم».

Digitized by Birzeit University Library

شعر

دع المساء الحزيني،
ينسكب في فجوات العيون المتعبة

محمد رشاد محاميد
الطيبة / جنين

وتعود لي ذكرى حنين الحقل والبيدر
وروائح التفاح والليمون والزعتر
في رحلة صماء في صحراء صبار
في موكب النخل المحذق سعفه
يا باحثين عن الوجود بقصعة مسحوقة
دوامة التاريخ أزرعها سنابل
اشراقة الايام يصنعها مقاتل
والارض تنبش بالمعاول
يا باحثين عن السواقي للبحار
هل يرفض الموت الشريف على المعابر
هل تزرع الارض التي آلت لأروقة المقابر
يا لابسين شرانق الوحشة
والصمت والنسيان والعتمة
والخيط يفصل بين ليلي والنهار
يا قابعا خلف المكاتب والدمار
من صمتي المتعب
أضيء فتيلي المحروق من جسدي
مرساتكم هجرت مرافئها
مهلا فمرساي حنين العيد يثقلها
فلترحل الاشباح عن عيني
حتى أرى أمي،
بعين الحب والايمان والفبطة
والفجر يفصل بين ليلي والنهار
يا مجد مجدي المخملي على الروابي
يا فجر يزهر بالحنان على التصابي
يا أم ما أحلى الجلوس على البيادر
والحنطة الصفراء من وهج المناجل
والتبن حول السامرين جداول

* * *

كانت حكايتنا على أعتاب مقهى بيتنا الابيض
طعم الرماد مبلل بدموع امي
وأنا هنا
مالي سوى خلقي ونكراني
ما بين ايمان وإبداع وإلحاد
يا غابة الخبز العتيق
تمثالي المنحوت من صخري ومن قلقي
الريح تدمي جسمه
وانا اسير
يومي مطير
والريح تعبث بالكثير وبالكثير
والحب يعصف بالصغير بالكبير
وأقاوم

Digitized by Birzeit University Library

من خيمة الذكرى طموحي بات يصحبني
وبحثت عن أفقي
وجمعت أرصدتي
واسير أبحث عن خيوط الشمس أجمعها
فلتنزفي يا حرقة الذكرى دموعي
يا ضائع الخلجان في اشراق آفاقي
انظر فمرساتي يمزقها الصديد
واغيب عن جمعي أخالف عطرهم
ومشاغلا
ترمي بنفسي التيه والعقبان والدهشة
صليت منتحيا..
انين الجرح في اعماق اعماقي
لا تندهي « ما في حدا »
البوم والغربان والوحشة
والعشب قد غطى شعاب السلم المهجور
وسعال شيخ راح يشهق بالدموع
في الدرب بللني المطر
وطحالب مزقتها
واحسها ديدان قبر دارس
وجلست خلف نوافذ البيت العتيق
والبرد ينخر في العظام
جوع وايمان وغربة راعش
وانا ابحث عن براعم العام الجديد
وحنيني المجنون يسبقني
لكنهم رحلوا وباب البيت منفرج
لا تندهي « ما في حدا »

* * *

سأظل اكتب للرياح
للشوق للجرح المقنع بالظلام
للنحل يحملها لاغصان الصنوبر والبراعم
سجل فاني من خيوط الليل انسج خيمتي
والليل تابوتي وغربة وحدتي
والناي اثقله الحنين
واثق قحط الموسم المنخور بالمنجل
حتى انسلخت بحدة من ليلي/
الفجري عن لحمي وعن كبدي
ووراثي الاشجار بلهاء
شكرا لسمك معاول الحجار اذ..
أحيت بنفسي الذكريات.

* * *

أفراد الشرطة يتفحصون يدي شاب اعتقل في شارع نابلس بالقدس.

Digitized by Birzeit University Library

ملحق

الكاتب

لشؤون الفكر
وقضايا السلم والاشتراكية

- كوبا: الاشتراكية او الموت.
- رومانيا: عندما زالت الاوهام.
- المجر: امجابهة ام وحدة؟
حول اصطفاف القوى السياسية في البلاد.
- الصين: عشر سنوات على الاصطلاح
الاقتصادي في الصين.

Digitized by Birzeit University Library

كوبا

الاشتراكية او الموت!

فيديل كاسترو روس

السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي

كان اليوم المشهود الذي استشهد فيه انطونيو ماسيو ابرز مقاتلينا، مع مرافقة الشاب، يتسم باهمية قصوى دائما بالنسبة لجميع الكوبيين. وقد ورى جثمانه الثرى هنا في هذه البقعة المقدسة من وطننا.

ان اختيار هذا اليوم بالذات لدفن رفات مقاتلينا الابطال الأمميين البواسل الذين استشهدوا في مختلف ارجاء العالم وبالاساس في افريقيا التي انحدر منها اجداد ماسيو والتي تمت بصلة قربى للكثيرين هنا، يجعل يوم السابع من كانون الاول يوما لتخليد ذكرى جميع الكوبيين الذين ضحوا بحياتهم ليس فقط من اجل الدفاع عن وطنهم بل وعن البشرية. وبذلك تلتحم الوطنية بالاممية هاتين القيمتين الرائعتين جدا اللتين كان بامكان الانسان خلقهما، تلتحم الى الابد في تاريخ كوبا.

ربما يحل ذلك اليوم الذي سيشاد فيه على مقربة من هذا المكان نصب تكريما لجميع الشهداء.

وفي هذه الساعة يتم في جميع ارجاء كوبا، حيثما ولدوا، دفن رفات المقاتلين الأمميين الذين استشهدوا اثناء تأدية مثل هذه الرسالة النبيلة والمجيدة.

لقد ظن اعداؤنا الامبرياليون اننا سوف نخفي خسائرنا في انغولا التي تكبدتها خلال ١٤ عاما في اطول واعقد رسالة وكأن ذلك خزى او وصمة عار بالنسبة للثورة. وكانوا اثناء مدة طويلة يعولون على ان الدماء التي اريقت سوف تذهب هدرا. وكأن موت اولئك الذين استشهدوا في سبيل قضية عادلة عبث. بل اكثر من ذلك لو كان النصر وحده هو المقياس الاعتيادي لتقييم اهمية نكران الذات الذي يبديه الناس في نضالهم العادل، لعادوا قبل كل شيء ظافرين.

شاع قول مأثور في سباراطة القديمة: "مع الترس او فوقه". ان قواتنا المظفرة عادت مع الترس. الا اننا لا ننوي في هذه اللحظات المهيبة التبجح بنجاحاتنا او اهانة احد حتى لو كان

Digitized by Birzeit University Library

عدوا لنا. اذ ان بلادنا لم تبحث عن المجد العسكري او السمعة العسكرية. فقد طبقنا دائما بصراحة مبدأ تحقيق الهدف بادنى الخسائر البشرية، ويتطلب ذلك ان نكون اقوياء، وعلى اهبة الاستعداد للقيام بكل شيء وان نتحلى برباطة الجأش الى الحد الاقصى. وفعلنا ذلك.

وتعود اليوم القوات التي تصلب عودها في المعارك الظافرة. وتقابلها الوجوه الفرحة والسعيدة والفخورة للامهات والزوجات والاخوة والاخوات والاطفال وجميع ابناء الشعب بالترحاب القلبي والانفعال الشديد. لقد حققنا سلاما مشرفا، كما ان الضحايا والجهود كانت مبررة الى اقصى الحدود. ان نومنا اليوم يقلقه الهم الدائم حيال مصير مقاتلينا الذين يحاربون على بعد الاف الكيلومترات عن وطنهم.

وكان عدونا يعتقد ان عودة المقاتلين سوف يخلق معضلة اجتماعية لانه سيتعذر تشغيلهم. لكن القسم الاكبر من هؤلاء الرجال الى جانب العسكريين المحترفين كان لهم مواقع عمل دائم في الوطن، ولذلك يعودون الى مواقعهم السابقة او الجديدة الافضل. لم ننس مقاتلا واحدا. فكثيرا ما كانوا يعرفون قبل عودتهم الى الوطن المكان الذي سوف يشتغلون فيه.

وكان ينتظارهم الوطن الغالي الذي خاض معركة كبيرة وصعبة في سبيل التطور الاقتصادي ولا يزال يتصدى بجدارة، هي مضرب المثل، للحصار الامبريالي الاجرامي. وتتفاقم عواقبه في الوقت الراهن بسبب الازمة التي نشأت في بلدان المعسكر الاشتراكي. ولا يمكننا ان ننتظر منها سوى النتائج السلبية بالنسبة لبلادنا على صعيد التطور الاقتصادي.

في اغلبية تلك الدول لا يدور الان الحديث اطلاقا عن النضال المعادي للامبريالية ولا عن مبادىء الاممية. فهذه الكلمات حتى لم تعد تذكر في الصحافة. كما ان مثل هذه المفاهيم ابعدت عمليا من القاموس السياسي هناك. وبالعكس فان القيم الرأسمالية تزداد قوة بصورة غير عادية في هذه المجتمعات. ان الرأسمالية هي التبادل غير المتكافىء مع شعوب "العالم الثالث" وتصعيد الاثنائية والشوفينية القومية وسيطرة العبث والفوضى في مجال توظيفات الرساميل والانتاج والتضحية دون رحمة بشعوب باكملها على مذبح قوانين الاقتصاد العمياء وسيطرة القوي على الضعيف واستغلال للانسان لأخيه، الانسان وسيادة مبدأ: لينقذ كل واحد نفسه بنفسه. وفي المجال الاجتماعي تعني الرأسمالية الكثير غير ذلك، مثل الدعارة والادمان على المخدرات والقمار والفقر والبطالة، فعدم المساواة الكبيرة بين المواطنين واستنزاف الموارد الطبيعية وتلوث الجو والبحار والانهار والغابات ونهب البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا لخيرات البلدان الضعيفة التطور والمتخلفة. وكانت الرأسمالية في السابق تعني الاستعمار، اما الان فهي تعني استعباد ملايين الناس عن طريق الاساليب السياسية والاقتصادية الاكثر تفننا وفعالية ووحشية مما في السابق وان كانت اكثر رخصا.

لا يمكن للرأسمالية ابدا واقتصاد سوقها وقيمها ومقولاتها واساليبها ان تغدو ادوات لتخليص الاشتراكية من مصاعبها الراهنة ولتصحيح الاخطاء التي كانت قد ارتكبت. فالسواد الاعظم في هذه الصعوبات ليس نتيجة الاخطاء فقط، بل وكذلك للحصار القاسي والعزلة المفروضتين على البلدان الاشتراكية من جانب الامبريالية والدول الرأسمالية الكبرى التي احتكرت جميع الثروات تقريبا واحدث التكنولوجيات في العالم نتيجة لنهب المستعمرات واستغلال طبقتها العاملة واستنزاف العقول على نطاق واسع من البلدان النامية.

هذا وقد شنت ضد اول دولة اشتراكية حروب

Digitized by Birzeit University Library

مدمرة اودت بحياة ملايين الناس وادت الى تحطيم اغلبية وسائل الانتاج المتراكمة. وكان عليها ان تنهض من الرماد، مثل طائر العنقاء الاسطوري، وقدمت للبشرية خدمات عظيمة مثل القضاء على الفاشية واعطاء زخم ضخم للحركة التحررية في البلدان المستعمرة. وهناك من يرغب في نسيان كل ذلك اليوم.

وكما يبعث على الاشمئزاز واقع ان الكثيرين اليوم وحتى في الاتحاد السوفييتي نفسه اخذوا ينفون ويقللون من اهمية المأثرة التاريخية والفضائل الاستثنائية للشعب السوفييتي الباسل. ولذلك لا يتم تصحيح الاخطاء الواضحة التي ارتكبتها الثورة المنبثقة من رحم الحكم الاستبدادي القيصري المطلق في بلاد مترامية الاطراف وفقيرة. ومن المستحيل محاولة لوم لينين اليوم لكونه حقق اعظم واكبر ثورة في التاريخ في اراضي روسيا القيصرية السابقة.

ولذلك منعنا دونما تردد توزيع بعض المطبوعات السوفييتية الملأى بالسموم الموجهة ضد الاتحاد السوفييتي نفسه والاشتراكية. ونشعر أن وراءها ايادي الرجعية والامبريالية والثورة المضادة. وقد اخذت بعض هذه المطبوعات تطالب بوقف العلاقات التجارية المتكافئة والعادلة التي ربطت بين الاتحاد السوفييتي وكوبا على امتداد العملية الثورية الكوبية باسرها، اي اخذت تطالب الاتحاد السوفييتي بممارسة تجارة غير متكافئة مع كوبا اذ يجب عليه كما يزعم ان يبيعنا منتجاته باسعار اغلى ويشتري باسعار ارخص منتجاتنا الزراعية وخاماتنا، مثلما تتصرف الولايات المتحدة الاميركية ازاء بلدان "العالم الثالث". كما اخذت تطالب باشراك الاتحاد السوفييتي في الحصار الاميركي لكوبا.

ان التدمير المنتظم للقيم الاشتراكية والنشاط التخريبي الامبريالي مقرونا بالاخطاء المرتكبة قد عجلا في عملية زعزعة استقرار البلدان الاشتراكية في اوروبا الشرقية، وكانت الولايات المتحدة تدعو منذ فترة طويلة لاستخدام استراتيجية الموقف المتمايز من كل بلد على حدة وغدت تستخدمها لتقويض الاشتراكية من الداخل.

ان الامبريالية والدول الرأسمالية لا تستطيع اخفاء فرحتها ازاء الاحداث الجارية. انها مقتنعة تماما، ولهذا الاقتناع مبرراته، ان المعسكر الاشتراكي لم يعد موجود عمليا منذ الان. ان جماعات كاملة من الاميركيين ومن بينهم معاونو رئيس الولايات المتحدة في بعض بلدان اوروبا الشرقية، يقترحون الان برامج التطور الرأسمالي. وفي هذه الايام اوردت احدى وكالات الانباء خبرا مفاده انهم يشعرون بالجذل والفرحة لهذه التجربة الملهمة. وايد احدهم وبالمناسبة اقول انه من موظفي البيت الابيض الاميركي، تطبيق خطة في بولندا تشبه "الصفقة الجديدة" المزعومة التي حاول روزفلت من خلالها التخفيف من اعباء الازمة العميقة للرأسمالية وذلك كما يزعم لمساعدة ٦٠٠ الف عامل بولندي سوف يفقدون عملهم عام ١٩٩٠ ولنصف شغيلة البلاد البالغ عددهم ٨ر١٧ مليون الذين يضطرون الى اعادة تأهيلهم وتغيير اختصاصاتهم نتيجة لتطور اقتصاد السوق.

ان الامبريالية والدول الرأسمالية الاعضاء في حلف الناتو على يقين تام ولهم مسوغاتهم ان معاهدة وارشو لم تعد موجودة اليوم وليست سوى هياكل شكلية، وان المجتمعات المدمرة والمقوضة من الداخل لن تصمد.

كما يزعم ان الاشتراكية يجب تحسينها. وليس هناك حد يعارض هذا المبدأ الملازم لاي نشاط انساني والذي يجب استعماله لدى تطبيق اي امر. ولكن هل من الممكن تطوير الاشتراكية عن طريق التخلي عن ابسط مبادىء الماركسية

Digitized by Birzeit University Library

اللينينية؟ ولماذا يجب تطبيق ما يسمى بالاصلاحات في اتجاه الرأسمالية؟. واذا كانت هذه الافكار تحمل طابعا ثوريا كما يزعم البعض، فلماذا تحظى بالتأييد الحماسي والكامل من جانب زعماء الرأسمالية؟

في بيان لم يسبق له مثيل اعلن رئيس الولايات المتحدة انه يعتبر نفسه المدافع الاول عن المذاهب التي تطبق الان في الكثير من بلدان المعسكر الاشتراكي.

ولم تحظ الفكرة الثورية الحقيقية مطلقا في تاريخها بتأييد حماسي من جانب زعيم اشرس واقوى وابشع امبراطورية عرفتها البشرية.

في اثناء الزيارة التي قام بها الرفيق غورباتشوف لكوبا في نيسان ١٩٨٩ التي جرى خلالها تناول آراء عميق وصريح، طرحنا اثناء جلسة الجمعية الوطنية وجهة نظرنا حول واقع انه يجب احترام حق كل بلد اشتراكي في بناء الرأسمالية اذا كان راغبا في ذلك، ولكننا طلبنا بالمقابل بالاحترام التام لحق كل بلد رأسمالي في بناء الاشتراكية.

نعتقد ان الثورة غير قابلة للتصدير والاستيراد. اذ انه لا يجوز انشاء دولة اشتراكية سواء عن طريق التلقيح الصناعي او زرع اجنة بكل بساطة. فالثورة بحاجة الى توفير الظروف الملائمة بالنسبة لها داخل المجتمع بنفسه، ولا يمكن الا للشعب ذاته ان يكون صانعا لها. ان مثل هذه الافكار لا تتعارض مع روح التضامن الذي يجب ويمكن للثوريين ان يقدموه لبعضهم البعض. كما ان للثورة عملية يمكن ان تتقدم الى الامام او تتراجع او حتى تفشل.

الا ان الشيوعي يجب ان يكون جريئا وثوريا قبل كل شيء. وواجب الشيوعيين خوض النضال مهما كانت الظروف غير مناسبة. لقد تمكن رجال كومونة باريس من خوض النضال والاستشهاد وهم يذودون عن افكارهم. فلا يجوز القاء رايات الثورة والاشتراكية بدون نضال. فالاستسلام مصير الجبناء واولئك الذين خارت عزائمهم وليس مصير الشيوعيين والثوريين.

يدعو الامبرياليون اليوم البلدان الاشتراكية الاوروبية الى التحول الى مستقبلين لفائض رأسمالهم والى تطوير الرأسمالية والمساهمة في نهب خيرات "العالم الثالث".

من المعروف ان السواد الاعظم من خيرات العالم الرأسمالي يستحصل على حساب التبادل غير المتكافىء مع هذه البلدان. اذ كانت موضعا للنهب والسلب خلال قرون طويلة بوصفها مستعمرات عادية، وكان مئات الملايين من ابنائها مستعبدين وفي حالات كثيرة استنفذت احتياطاتها من الذهب والفضة وغيرهما من المواد الطبيعية، وكانت مستغلة دونما رحمة وفرض عليها التطور الاقتصادي المتخلف. هذه هي عواقب الرأسمالية الاشد وضوحا والاكثر مباشرة. اما الان فيتم استنزاف هذه البلدان عبر الفوائد العالية للديون الضخمة غير القابلة للتسديد وعن طريق شراء منتجاتها الاساسية بأبخس الاثمان وتصدير منتجاتها الصناعية اليها باسعار اغلى وسلبها مواردها المالية والبشرية باستمرار على حساب تسرب الرساميل و "العقول" وتطويق تجارتها باغراق السوق بالبضائع الرخيصة والرسوم الجمركية وحصص الاستيراد والبدائل المركبة المستحصلة على اساس التكنولوجيات العالية ودعم منتجاتها عندما تكون غير قادرة على المنافسة.

ويرغب الامبرياليون الان في اشراك البلدان الاشتراكية الاوروبية في عملية النهب الهائلة هذه، الامر الذي لا يقلق اطلاقا كما يبدو منظري الاصلاحات الرأسمالية. ولذلك لا يدور الحديث في الكثير من هذه البلدان حول مأساة بلدان "العالم الثالث"، بل يتم توجيه الناس الساخطين نحو الرأسمالية ومعاداة الشيوعية وفي

Digitized by Birzeit University Library

احدى هذه البلدان نحو الجامعة الجرمانية. ومن شأن تطور الاحداث على هذا النحو ان يسفر عن ظهور تيارات فاشية. وبالمقابل يعد الامبرياليون هذه البلدان بالحصول على قسطها في نهب شعوبنا وهو الوسيلة الوحيدة لاقامة مجتمع الاستهلاك الرأسمالي.

ان الولايات المتحدة والدول الرأسمالية تهتم اكثر ما تهتم الان بتوزيع الرساميل في اوروبا الشرقية مما في اي منطقة اخرى من كوكبنا. ما الذي يمكن ان تتوقعه بلدان "العالم الثالث" من تطور الاحداث هذا حيث مليارات الناس تعيش في ظروف غير لائقة بالانسان.

ويتحدثون لنا عن السلام. ولكن عن اي سلام يدور الحديث يا ترى؟ حول سلام بين الدول الكبرى في حين ان الامبرياليين يبقون لانفسهم الحق في التدخل السافر والعدوان على بلدان "العالم الثالث"، والامثلة كثيرة.

تطالب الحكومة الامبريالية للولايات المتحدة بمنع تقديم المساعدة من اي كان للثوريين السلفادوريين وتحاول تخويف الاتحاد السوفييتي بوقف اية مساعدات اقتصادية وعسكرية الى نيكاراغوا وكوبا وذلك لاننا متضامنون مع الثوريين السلفادوريين. علما باننا نراعي بدقة، اثناء ذلك، جميع التزاماتنا فيما يتعلق بالسلاح الذي نحصل عليه من الاتحاد السوفييتي وفقا للاتفاقات المبرمة بين الدولتين ذاتي السيادة. وهذه الحكومة الامبريالية التي تطالب بالكف عن ابداء اي مظهر من مظاهر التضامن مع الثوريين السلفادوريين، تقدم المساعدة لنظام ابادة الجنس في السلفادور، وترسل قوات الانتشار السريع الى هذا البلد وتدعم الثورة المضادة في نيكاراغوا وتنظم الانقلابات في بنما واغتيال قادة هذا البلد. كما تقدم دعما عسكريا لعصابات اونيتا في انغولا، وذلك خلافا لما تم التوصل اليه بنجاح من الاتفاقات السلمية الخاصة بجنوب افريقيا وترسل باستمرار كميات هائلة من الاسلحة الى المجاهدين الافغان متجاهلة ابشع تجاهل واقع سحب القوات السوفييتية من افغانستان واتفاقات جنيف.

كما تدخلت الطائرات الحربية للولايات المتحدة بوقاحة في النزاع الداخلي في الفيلبين. ومهما كانت نيات المتمردين عادلة او غير عادلة، ولسنا نحن الذين نحكم على ذلك، فان تدخل الولايات المتحدة في شؤون هذا البلد يشكل خطرا رهيبا ويعتبر انعكاسا واضحا للاوضاع الناشئة في العالم في الوقت الراهن. وبعبارة اخرى، اخذت تلعب دور الدركي ليس في اميركا اللاتينية فقط التي اعتبرتها فناءها الخلفي، وانما في اي بلد اخر من بلدان "العالم الثالث".

ان قرار الدولة الكبرى لمبدأ التدخل الشامل يعني نهاية للاستقلال والسيادة في العالم. فاي سلام واي امن يمكن ان تتوقع شعوبنا سوى ذلك الذي نستطيع ان نظفر به عن طريق نضالنا الباسل؟ كم كان رائعا لو اختفت الاسلحة النووية. ولو كف ذلك عن ان يكون طوباوية وتم التوصل اليه في وقت من الاوقات لكان خيرا بدون منازع وساعد على توطيد الامن، ولكن بالنسبة لجزء من البشرية فقط. اذ ان ذلك لن يجلب سلاما ولا امنا ولا املا لبلدان "العالم الثالث".

ان الامبريالية ليست بحاجة الى الأسلحة النووية للهجوم على شعوبنا، فاساطيلها الضخمة الموجودة في كل مكان وقواعدها العسكرية منتشرة في جميع انحاء العالم ولذلك تكفيها الاسلحة التقليدية المتقنة غاية الاتقان... وانذار بالهلاك، بغية الاضطلاع بدور سيد العالم والدركي.

واذا ما تطورت الاحداث في المستقبل ايضا بالاتجاه نفسه، واذا لم تطالب الولايات المتحدة بالتخلي عن مثل هذه المواقف فكيف يمكن

Digitized by Birzeit University Library

الحديث عن التفكير الجديد، ففي هذه الحالة سيتحول العالم ذو قطبين الناشىء بعد الحرب العالمية الثانية، لا محالة، الى عالم وحداني القطب مقرونا بهيمنة الولايات المتحدة.

اننا في كوبا نقوم الان بعملية تصحيح الاخطاء. فبدون حزب قوي، وعالي الانضباط ورفيع السمعة تستحيل الثورة الاشتراكية الحقيقية وعملية تصحيح الاخطاء ولكنها مستحيلة التنفيذ في جو يفترون في ظله على الاشتراكية ويقوضون قيمها ويلطخون سمعة الحزب ويسلبون الطليعة معنوياتها ويحرمونها من الدور القيادي ويدمرون الانضباط الاجتماعي، ويبذرون بذور الفوضى والبلبلة في كل مكان. وبهذه الطريقة يتم النشاط المضاد للثورة وليس التحولات الاشتراكية.

تعتقد الامبريالية الاميركية ان كوبا لن تصمد وان الوضع الجديد الذي نشأ في بلدان المعسكر الاشتراكي سيتيح لها ان تحطم عزيمة ثورتنا في نهاية المطاف. لم تأت الاشتراكية الى كوبا في اعقاب فرق الجيش الاحمر المظفرة. فنحن الكوبيين بنينا الاشتراكية في سير النضال البطولي الحقيقي. وعلى امتداد ٣٠ سنة خلت نبدي مقاومة لاقوى امبراطورية في العالم ارادت ابادة ثورتنا. وتلك دلالة اخرى على قوتنا السياسية والمعنوية.

اننا نحن القابضين على زمام السلطة لسنا جماعة من الاغرار غير المجربين تسللوا الى المناصب القيادية منذ وقت غير بعيد، بل تخرجنا من صفوف اولئك الذين خاضوا لسنوات طوال نضالا ضد الامبريالية ومن مدرسة ميليا وغيتيراس، من صفوف الذين انتضوا على ثكنات مونكادا وقاموا بعملية الانزال البحري من على متن سفينة غرانما وقاتلوا في جبال سييرا مايسترا وخاضوا نضالا في السر وحاربوا في خليج الخنازير ومروا عبر الازمة الكاريبية، من الذين ابدوا ويبدون على امتداد ٣٠ سنة مقاومة بطولية للعدوان الامبريالي ويجترحون مآثر رائعة في العمل ويؤدون رسالة اممية مجيدة. ان حزبنا المجرب يضع ممثلي ثلاثة اجيال من الكوبيين وهم يحتلون مناصب قيادية فيه وفي منظمة شبيبتنا الطليعية الرائعة وفي منظماتنا الجماهيرية القوية وفي قواتنا المسلحة الثورية المجيدة وفي وزارتنا الداخلية.

ان الثورة الاشتراكية والاستقلال الوطني مترابطة بشكل وثيق في كوبا. اننا مدينون للثورة الاشتراكية بكل ما هو قائم لدينا اليوم. ولو عادت الرأسمالية الى كوبا في يوم من الايام، لزال استقلالنا وسيادتنا الى الابد ولاصبحنا جزءا من ميامي ومجرد ملحق لامبراطورية اليانكي ولتحسدت احدى "التنبؤات" المشينة البشعة لاحد رؤساء الولايات المتحدة الذي قال في القرن الماضي وهو يتأمل في ضم جزيرتنا، ستقع كوبا في ايدي بلاده كما تقع ثمرة ناضجة على الارض. ولتفادي ذلك اليوم وغدا والى الابد نعتمد على شعبنا الذي هو على اهبة الاستعداد للاستشهاد في النضال. ومن المناسب اليوم هنا عند قبر ماسيو تكرار كلمته الخالدة: "من سيحاول الاستيلاء على كوبا لن يحصل الا عن تراب ارضها ممزوجا بالدماء. هذا اذا لم يقتل هو نفسه، في هذا الصراع".

وسوف نتمكن نحن الشيوعيين الكوبيين وملايين المقاتلين الثوريين الذين يكونون الشعب الثوري الباسل البطولي، من الاضطلاع بالدور المخصص لنا في التاريخ، بوصفنا ليس فقط ممثلي اول دولة اشتراكية في نصف الكرة الغربي، بل لاننا المدافعون الثابتون الواقعون على الخط الامامي لتحقيق قضية نبيلة وهي حماية الفقراء والمحرومين والمضطهدين.

لم نسع مطلقا الى ان نصبح حماة الرايات والمبادىء المجيدة التي ذادت عنها الحركة

Digitized by Birzeit University Library

الثورية بمهارة على امتداد تاريخها البطولي الرائع. ولكن شاء القدر ان نبقى في يوم من الايام بين آخر المدافعين عن الاشتراكية في العالم الذي نجحت فيه امبراطورية اليانكي في تجسيد الاحلام الهتلرية حول السيطرة على العالم، لدافعنا عن هذا الحصن المنيع الى آخر قطرة من دمائنا الزكية.

«نشيد الحجارة»

فيلم لميشيل خليفة

باريس - و.ص.ف. - عرض فيلم «نشيد الحجارة» آخر عمل للمخرج الفلسطيني ميشيل خليفة مخرج «عرس الجليل» مؤخرا في معهد العالم العربي في باريس وذلك للمرة الاولى في فرنسا في انتظار عرضه في تظاهرة «ان سيرتين روغار» (نظرة ما) التي تقام على هامش مهرجان كان الـ ٤٢ الدولي للفيلم.

وقد افتتح كان هذا العام يوم الخميس في العاشر من ايار واختتم في ٢١ منه.

وشاركت وزارة المجموعة الفرنسية البلجيكية وثلاث محطات تلفزيونية اوروبية هي «ار تي بي اف» البلجيكية و «زد دي اف» الالمانية و «تشانيل فور» الانكليزية في تمويل هذا الفيلم.

ويروي «نشيد الحجارة» قصة حب بين امرأة من الجليل ورجل من الضفة الغربية في القدس في بداية السبعينات. وما يلبث الرجل ان يسجن لاحقا لمقاومته الاحتلال الاسرائيلي. ويلتقي العاشقان بعد ١٥ عاما ويتجدد حبهما مع خلفية الانتفاضة في الاراضي المحتلة.

وصيغت الحوارات الحميمة بين العاشقين في اسلوب شعري يسمح بالقول ان السينما العربية ربما حققت عملا يمكن مساواته بفيلم «هيروشيما مون امور» (هيروشيما حبي) للفرنسي «الان رينيه» في العام ١٩٥٨. والفيلم المذكور يروي قصة فرنسية اهينت في بلادها نتيجة علاقتها مع جندي الماني في الحرب العالمية الثانية، ثم التقت يابانيا مع خلفية ماساة القاء القنبلة النووية على هيروشيما، وهو مقتبس عن رواية للفرنسية مرغريت دورا.

وتقطع حوارات «نشيد الحجارة» ريبورتاجات واقعية حول القمع اليومي للانتفاضة في الاراضي المحتلة يصعب تحملها احيانا.

ويصرخ احد الفتيان في الفيلم بعد ان دمر الاسرائيليون قريته «يعتقدون انهم بتدمير منازلنا سيمنعوننا من رشقهم بالحجارة ... لكن اذا دمروا كل المنازل وقتلوا كل الفلسطينيين فان الحجارة ستتساقط لوحدها على الاسرائيليين».

وقال خليفة لوكالة فرانس برس «صورت الفيلم بين شباط واب ١٩٨٩ في القدس والخليل وغزة. وعرض في ١٧ نيسان الماضي على التلفزيون الالماني، وسيعرض في كان وبلجيكا في وقت واحد، لكنني اجد صعوبة كبيرة في ايجاد موزع له في فرنسا وفي العالم العربي».

واضاف «على اية حالة فان فيلم «عرس الجليل» لم يعرض حتى الان سوى على الشاشات التونسية».

Digitized by Birzeit University Library

رومانيا

عندما زالت الاوهام

فلاديمير غانين *

من العاملين في مجلة «قضايا السلم والاشتراكية»

توصف الاحداث التي جرت في رومانيا عشية عام ١٩٩٠ بكونها ثورة. فقد سقطت دكتاتورية عاتية وحشية. واستبشر الشعب الذي سمع صوته الخاص لاول مرة عمليا خلال ربع قرن، وبهذا الواقع الجديد عرف على الوفر ان له حقوقا اضافة الى الواجبات. فكيف تم ذلك بالضبط؟ اعتقد ان المقالات المنشورة ادناه تمكن من وضع بعض الاستنتاجات حول طبيعة وخصوصيات العمليات الجارية الان في البلاد.

الشعب هو الذي يخلق الضمانات

كازيمير يونيسكو

نائب رئيس مجلس جبهة الانقاذ الوطني في رومانيا

كازيمير يونيسكو هو احد الذين كانوا حتى الامس القريب "مواطنين رومانيين عاديين" وعاشوا في هذا البلد مثل ملايين الناس في البرد والحرمان. اما اليوم فان خريج معهد النفط والغاز ومن ثم خريج كلية الفلسفة في جامعة بوخارست، هو نائب رئيس مجلس جبهة الانقاذ الوطني في رومانيا. كان يعمل قبل الثورة في معهد الاقتصاد ولم يشغل اي منصب في البنى السياسية السابقة. عمره ٤٣ عاما متزوج ويقوم بتربية ابنه.

يبدأ كازمير يونيسكو الحديث قائلا: مع التعمق في الفلسفة وادراك قوانين التطور الاقتصادي، شعرت برغبة اقل في ممارسة السياسة في ظل النظام القديم، حيث انحصر كل شيء في تنفيذ الاوامر بصمت. وفي الوقت ذاته بدأت في السنوات الاخيرة بالتحديد في التعمق بالقضايا التي واجهها اقتصاد بلادنا وتوصلت الى قناعة راسخة بان النظام القائم غير قادر على

* قام د. دياكوف مراسل وكالة أنباء تاس في بوخارست باجراء هذه المقابلة الصحفية تلبية لطلب هيئة تحرير مجلة «قضايا السلم والاشتراكية».

Digitized by Birzeit University Library

السير بالبلاد الى الامام. اذ لم يكن شاوشيسكو او الاوساط القريبة منه مهتمين بذلك.

- هل يعتبر هذا الوضع "مأثرة شخصية" لشاوشيسكو؟ وما هي الاجواء التي كانت سائدة في الحزب والبلاد قبل عام ١٩٦٥ اي قبل وصوله الى السلطة؟

- لقد اعتقد الكثيرون منا في ذلك الوقت بان رومانيا قد تخلصت من "النفوذ الخارجي"، فقد اخرجت القوات السوفييتية من البلاد وكان الوضع الاقتصادي مستقرا الى حد ما، بل وخيل الينا اننا نعيش بصورة جيدة مقارنة ببعض البلدان الاشتراكية الاخرى، وبأن السياسة التي مارستها القيادة انذاك كانت في مصلحة الشعب. غير ان ذلك كله كان مجرد مظاهر خارجية ويبدو اننا خدعنا.

لقد سن شاوشيسكو في السنوات الاولى من حكمه عددا من القوانين والمراسيم التي كان من شأنها ان تضلل الشعب فعلا. واذكر احد الاجتماعات "البارزة" التي عقدها شاوشيسكو في نهاية الستينات. وقد جرت فيه مناقشة مسالة سوء استخدام السلطة من قبل اجهزة الامن، وادينت علنا اساليب عمل هذه الاجهزة واشير الى انها لا تملك الحق في مراقبة المواطنين والتنصت على الهواتف وفتح الرسائل.. الخ. كما اشير وقتها الى ان اجهزة الامن ذات الصلاحيات الخاصة ستوضع في صف واحد من الهيئات الحزبية. وزعم انها مدعوة لاعلام القيادة عن الاعمال الموجهة ضد الدولة ومنعها.

ولكن لم تمض ٣-٤ سنوات حتى اعادت هذه الاجهزة مراقبتها السرية على المجتمع بعد ان ادركت انها تفقد نفوذها في البلاد. وانني واثق من ان ذلك جرى بمصادقة من القيادة العليا وموافقتها. وعند ذلك صدرت، بوحي من اجهزة الامن، مراسيم رئاسية تحد من حرية المواطنين ومن صلاحيات مسؤولي المؤسسات والمنظمات تلك الحريات والصلاحيات التي يخضع تنفيذها لمراقبة اجهزة الامن ايضا. ومع مرور الزمن بدأت هذه الاجهزة تنسج الاوهام حول دورها زاعمة انه لولا نشاطها لحلت كارثة بالاشتراكية في رومانيا. وبعدما اقتنع شاوشيسكو بذلك بدأ هو نفسه يعتمد في كل اموره على أجهزة الامن وهي لم تسترشد في عملها مطلقا بالمبادىء الاشتراكية.

لقد بدأت تختفي مع مرور الزمن الميول الديمقراطية المتعددة التي كانت موجودة في بلادنا اواسط الستينات. وفي الوقت نفسه استجمعت قواها تركيبة موازية للسلطة لم يتم الحديث عنها علنا في اي مكان. وكان من الممكن التكهن فقط بوجودها عن طريق معرفة كيف تحل الامور في رومانيا، وقد شملت جميع مجالات نشاط الحزب والدولة وتغلغلت بعمق في الاقتصاد والسياسة والثقافة وفي ارواح الناس. وكانت هذه التركيبة عبارة عن مجموعة "الحزب - اجهزة الامن" التي قادت البلاد وحكمتها بشكل مطلق وخاصة في السنوات الاخيرة. لقد خاف الناس من هذه المنظومة غير المرئية لمعرفتهم ان محاولة مجابهتها من قبل احد ما تعني اختفاءه فجاة بكل بساطة. واذا ما تعلق الامر بشخصية معروفة فقد قضت العادة بارسالها ل "المعالجة" في مشفى للامراض النفسية، ولم يكن ثمة امل في عودتها من هناك سليمة معافاة. اما اولئك الناس الذين كانوا معروفين للعالم كله وكان من الصعب "اخفاؤهم" فقد احيطوا بحلقة كاملة من العاملين في اجهزة الامن، وهكذا عاشوا كما لو انهم يعيشون في جزيرة غير مأهولة في وسط البلاد.

- اذن كانت هناك عوامل موضوعية وذاتية ساعدت على انحطاط الحزب وشاوشيسكو نفسه.

- الا تعتقدون ان الاهتمام الكبير الذي يبديه

Digitized by Birzeit University Library

جميع الصحفيين الاجانب في رومانيا بوضع الحزب الشيوعي السابق هو ظاهرة ذات دلالة؟ ان الاجابة عن هذا السؤال باستفاضة تتطلب القيام بتحليل عميق لنشاط الحزب ودراسة ارشيفه واستقصاء مجمل الطريق الذي قطعه في السنوات الاخيرة. ونحن، بهدف القيام بذلك، نعتزم تشكيل جماعات اختصاصية من العلماء تتناول الوثائق المعنية بالمعالجة والدراسة الشاملة. كما نسعى الى ان لا يتكرر الاستبداد وسياسة املاء الشروط من جانب حزب واحد في بلادنا ابدا. لذلك اعتقد ان التفكير العميق وبشكل جدي في وضع الحزب ودوره لا يمكن ان يتم الا بعد مضي عام او عامين.

- على الرغم من ذلك يبدو ان من الممكن الان تقويم الوضع الذي نشأ في الحزب في السنوات الاخيرة ولو ببضع كلمات؟

- اعتقد انه من السابق لاوانه التحدث حول الحزب ضمن الوضع الذي تكون في البلاد في الوقت الراهن. وسوف يقول الناس غدا عندما يسمعونني "انظروا كيف ان نائب رئيس مجلس جبهة الانقاذ الوطني بدأ يترحم على الحزب الشيوعي". وهذا لا يعني سوى صب الماء في طاحونة الذين يترصدون كل خطوة من خطواتنا ويعرقلون عملنا. ومن غير هذا لدينا العديد من المشاكل مع النشطاء السابقين في الاقضية والمؤسسات والمعامل. فهم حاضروا البديهية دوما ويعروفن كيف يأخذون زمام السلطة في ايديهم ويطمحون في كل مكان للوصول اليها بالحق او الباطل. لقد تعلموا خلال سنوات طويلة كيف يقودون الناس وهم يتكاتفون اليوم اكثر من اي وقت مضى.

- يشكو بعض قادة الاحزاب التي تتشكل الان من انهم محرومون من حق التحدث في الصحافة والاذاعة والتلفزيون.

- نحن نعرف مزاعمهم وقد اطلعنا عليها في بعض الصحف الاجنبية. ولكن الوضع ليس كذلك. ان الصحافة عندنا اليوم حرة ونحن لا نوجهها. يضاف الى ذلك، اننا كررنا اكثر من مرة الدعوة الى جميع الاحزاب لعقد "طاولة مستديرة"، ونقترح مناقشة اية قضايا تتعلق بتطور مجتمعنا اللاحق بصورة مشتركة. اننا لا نفرض حظرا على احد، ومن بينهم الشيوعيون ايضا، ولا على اي شيء. فليشكلوا منظماتهم، وليشاركوا في حياة البلاد السياسية. هذا هو موقفنا، واعتقد انه يشير الى الثقة بقوانا وباننا على استعداد لاجراء حوار بناء مع الجميع بصراحة وعن وعي.

لكن ذلك يجب ان يتم عبر منافسة ومباراة نزيهة. الا انه ليس ثمة الان لدى العديد من الذين يناقشوننا اي اهتمام عدا الوصول الى السلطة. ولكن انظروا كم من القضايا امامنا، اذ يجب حل المسائل المتعلقة بالمواد الغذائية، والا سيبدأ عندنا الجوع بالمعنى الحرفي للكلمة. كما اننا نخسر في الصناعة مليارات عديدة من الليات بسبب نقص المواد الاولية والمعدات في عدد من المصانع، كما سيتوجب علينا انجاز المهمات في المجال الاجتماعي وفي الرعاية الصحية، ويجب تأمين التدفئة والكهرباء للشعب. يضاف الى ذلك، العمل التنظيمي الصرف، واعداد مختلف اشكال الوثائق، هذا العمل وذاك الاعداد اللذان يتطلبان جهدا ووقتا كبيرين... الخ. ليس لدينا الان وقت للصياغات المتقنة ووضع الفواصل كي نبدو بصورة افضل في نظر الرأي العام العالمي. وبالمناسبة يتوجب على الصحافة العالمية ايضا اذا كانت تتمسك بالاراء الانسانية الاساسية ان تساعدنا بعض الشيء، والاحرى ان تفهمنا بصورة افضل.

ثمة مسألة اخرى. لقد سيطرت في رومانيا خلال ربع قرن بهذا الشكل او ذاك دكتاتورية شاوشيسكو الشبيهة باستبداد ستالين. وكانت

Digitized by Birzeit University Library

شاملة في العقدين الاخيرين بشكل خاص. ولم يكن من حق الانسان التعبير عن رأيه بحرية ولم يستطع قراءة الصحافة الاجنبية ولم يكن بامكانه تلقي رسالة من الخارج او القيام بجولات سياحية. لقد شبهونا بضفدعة في بئر، يبدو لها ان السماء كلها ما تراه من فتحة البئر فقط. هكذا عشنا في رومانيا. لذلك ليس بامكان شعبنا ان يصبح بين عشية وضحاها مثقفا سياسيا. لقد كان شعبنا معزولا تماما عن السياسة. كما ان الدكتاتورية اقصتنا عن الحرية باحكام.

طبعا لم يكن بمقدور الناس في مثل هذه الظروف ادراك كل شيء. يضاف الى ذلك، اننا عشنا تحت نير الدكتاتورية، وانا نفسي ما زلت اتعلم الديمقراطية واتعود على الحرية. لو عدنا الى الاجتماعات الطلابية فانني اعترف باننا نرتكب احيانا اخطاء. فانا على سبيل المثال بدأت خطابي في احد الاجتماعات بالكلمات الاتية "اضمن لكم..." ولكنني لست مدعوا لاعطاء وعود وضمانات ما. لقد استولوا على ذلك الحق بانفسهم. وانتصروا في الثورة. لكنني ادركت في لحظة معينة بان الطلاب لم يتخلصوا بعد من عادة التفكير كما في ظل النظام القديم الذي كان يعد الشعب دوما بشيء ما ويقدم له الضمانات. اما الان فان جميع الضمانات هي في ايدي الناس انفسهم، ان جاز التعبير.

- في مجلس جبهة الانقاذ الوطني انت شخصيا مسؤول عن نشاط عدد من لجانه. اية واحدة منها، في رأيكم، يتوجب عليها ان تنجز مهمات اكثر من غيرها؟

- كلها. لدينا جميعا اليوم عمل كثير. فعلى سبيل المثال، سيبدأ بعد عدة دقائق لقاء في الاكاديمية الرومانية مع اعضاء لجنة حماية البيئة. ومن المعروف بشكل اكيد اليوم ان الدكتاتور شاوشيسكو مارس في هذا المجال سياسة تتناقض مع متطلبات الحضارة المعاصرة.

واللجنة الاخرى التي تواجهها مهمات كثيرة هي لجنة العلاقات مع مجالس جبهة الانقاذ الوطني المحلية. يواجهنا هنا نوعان من المسائل الهامة، تتلخص الاولى في ان العديد من رجال النظام السابق تمكنوا من التسلل الى السلطة في المناطق على الرغم من جهودنا وسعينا لمنع ذلك. وهم يعالجون الى جانب المسائل التنظيمية القضايا المتعلقة بتوزيع المواد الغذائية على السكان، ولكن ليس التوزيع فقط. فنظرا لانهم اعتادوا على سرقة الشعب، يقومون من جديد بنهب المستودعات والمؤن. وهؤلاء أناس خطرون جدا على الثورة لان بامكانهم خلق توتر في البلاد ونحن نحاول فضحهم بجميع الوسائل. وفي الوقت ذاته سيتوجب علينا تطبيق نظام البطاقات بالنسبة للكثير من اصناف المواد الغذائية كي نؤمن للشعب ولو الحد الادنى من حاجاته الضرورية، كما سيتوجب علينا تنظيم مراقبة توزيع المواد الغذائية.

اما المسألة الثانية فهي مرتبطة بالاولى ارتباطا وثيقا، وهي تتعلق بفئة من الناس تسللوا الى السلطة باساليب مختلفة في العديد من الاقضية (وقد تأكدنا من ذلك خلال وجودنا هناك) وهم يلجأون الى الممارسات السابقة ذاتها. انهم يشرفون على كتابات الصحف وينشرون الذعر ويؤلبون الشبيبة على قادة مجالس جبهة الانقاذ الوطني. لذلك قررنا اجراء انتخابات في بعض المناطق وادخال الشباب في المجالس بنسبة اكبر. وليس مهما انهم لا يزالون عديمي الخبرة ويرتكبون اخطاء في البداية، ولكننا على ثقة من ان الشباب هم اقل الناس تعرضا للفساد. فهم يطمحون بحماسة الى حياة افضل والى الحرية. ونحن نثق بمثل هؤلاء الشباب.

- بعد المجازر الدموية الوحشية في تيميشوار، اتهم شاوشيسكو بعض بلدان اوروبا الشرقية زاعما انها وراء هذه

Digitized by Birzeit University Library

الاحداث بهدف زعزعة استقرار الاوضاع في رومانيا. ماذ يمكن القول الان حول ذلك بعد انتصار الثورة الشعبية؟

- هذا هراء ما بعده هراء. ان ما حدث في العقد الاخير وبشكل خاص عام ١٩٨٩ في عدد من البلدان الاشتراكية، كان بالنسبة لنا ولجميع الشعب بمثابة مدرسة حقيقية. ان تطور الاحداث في الاتحاد السوفييتي كان يعني بالنسبة لنا "نورا في نوافذنا". لقد تابعنا دوما باهتمام العمليات الاجتماعية الجارية في الاتحاد السوفييتي. وعندما رأينا انهم لا يتحدثون هناك عن عملية اعادة البناء فقط بل ويطبقونها،أدركنا انه يتوجب علينا حل قضايانا بانفسنا، فلن يقوم احد بذلك عوضا عنا.

- ثمة بعض الادعاءات التي تزعم ان مجموعة صغيره من اعضاء جبهة الانقاذ الوطني هي التي تقوم باعداد الكثير من القوانين ثم يقوم مجلس الجبهة بالمصادقة عليها واقرارها، علما انه من الناحية المبدئية يجب ان يناقشها جميع المواطنين في البلاد.

- يدور الحديث حول التدابير التي لا تحتمل التأجيل. ولكن لا يقوم باعدادها بعض اعضاء جبهة الانقاذ الوطني وانما مجموعات كبيرة من المستشارين والعلماء. ثم يناقش هذه المشاريع باسهاب اعضاء المجلس، وبعد ذلك فقط يتم اقرارها. اما مشاريع القوانين الاكثر اهمية مثل قانون الانتخابات ودستور البلاد الجديد فسوف تناقش باستفاضة في الصحافة ومن قبل جميع مواطني رومانيا. وعلى الرغم من ان الوقت يضغط علينا والناس يريدون التخلص بسرعة من تركة دكتاتورية شاوشيسكو لكننا لن نستعجل في اتخاذ هذه القرارات. ان الشعب هو صانع الثورة لذلك فان الكلمة الفصل له.

- سؤال اخير. لنتصور ان حديثنا يتم بعد الانتخابات العامة. فكيف ترون رومانيا وجبهة الانقاذ الوطني بعد عدة اشهر من الثورة؟

- اقول شيئا واحدا: سنكون سعداء لو عرفنا اننا اديناواجبنا، واننا اعددنا واقررنا قانون الانتخابات الذي سيتيح للشعب امكانية الانتخاب بنفسه وان احد لن يستطيع ايقاف سير البلاد نحو التقدم والحرية والديمقراطية. واذا انتخب الشعب من هم اكثر جدارة بغض النظر عن انتمائهم الحزبي، فسنكون سعداء ايضا. لا احد منا يتمسك بهذه المناصب. وسوف نبني مع الجميع، في مناصب اخرى، حياة جديدة.

خلف كواليس المسرح السياسي

يمكن القول ان احدى الخصائص المميزة لرومانيا اليوم هي ظهور ما يسمى بالمسرح السياسي فيها. وقد وضع "اساسه" قانون تسجيل ونشاط الاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية الذي اقره مجلس جبهة الانقاذ الوطني عشية عام ١٩٩٠. وعل الرغم من ان "انشاءه" لم يستكمل بعد، فان الذين يساهمون في "بنائه" يستخدمون "المشروع؛ لاغراض مباشرة. وعل اية حال كان النقاش محتدما في مقر الحزب الوطني الليبرالي في اللحظة التي دخلت فيها اليه، حول خطة المشاركة في الانتخابات القادمة.

"يجب ان نعلم الشباب الديمقراطية"

لقد مر الحزب الوطني الليبرالي الذي ظهر عام ١٨٧٥ بالعديد من المراحل الدراماتيكية. وعلى الرغم من ان الحزب كان احدى القوى السياسية الرئيسية التي حققت الاستقلال لرومانيا وشاركت بنشاط في توطيد وتعزيز نظام دولتها، الا ان الملك كارل الثاني قام بحله عام ١٩٣٨.

وجرت ملاحقة اعضاء الحزب الوطني الليبرالي

Digitized by Birzeit University Library

خلال فترة حكم انطونيسكو الفاشي. ثم انخرطوا عام ١٩٤٤ بعد انتفاضة آب في حياة البلاد السياسية من جديد لكن جرى حظر الحزب، مرة اخرى في عام ١٩٤٨.

واليوم وبعد ٤٢ عاما في الغياب الفعلي يعمل الحزب الوطني الليبرالي من جديد وفق الاسس القانونية.

ويقول ايفي ساندوليسكو سكرتير اللجنة التنظيميه الخاصة باستعادة نشاط الحزب الوطني الليبرالي:

- اعتقد ان الحزب سيلعب قريبا احد اهم الادوار في تحديد النهج الاجتماعي والاقتصادي للبلاد. ولو تحدثنا باختصار فاننا سوف نسعى الى تشجيع المشروع الخاص وتنشيطه والدفاع عن مبدأ الغاء التأميم في الاقتصاد. وعقيدتنا هي سياسة منح القروض التشجيعية وضمان جميع الحقوق الدستورية والحريات للمواطنين والفصل بين سلطات الدولة: التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتعزيز الاستقلال الوطني مع الحفاظ على علاقات جيدة مع جميع البلدان التي ترغب في ذلك.

وتدرك القيادة الراهنة للحزب الوطني الليبرالي ان الانتخابات القادمة ستكون بالنسبة لها امتحانا هاما، لانه ليس لديها الان اية خبرة سياسية تذكر.

ويمكن قول الشيء ذاته عن الاحزاب الاخرى. اذ تشير تقديرات الخبراء انه لن يكون بمقدور اي منها كسب اغلبية الاصوات الحاسمة التي تمكنها من تشكيل الحكومة. لذلك فان الحزب الوطني الليبرالي، كما اعلمونني في مقر قيادته، سيتحالف على الاغلب مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي وحزب الفلاحين، وقد تم الاتفاق على ذلك. ويعتقد ان فرصة النجاح متوفرة امام هذا الحلف.

والامر الذي يقلق ايفي ساندوليسكو الذي ترأس حتى عام ١٩٤٨ منظمة الشباب التابعة للحزب الوطين الليبرالي، هو ان اجيالا باكملها قد ولدت وترعرعت ودخلت معترك الحياة الواعية دون ان تعرف ما هي الديمقراطية.

- سيتوجب علينا تعليم الشباب العمل في ظروف الحرية الجديدة تماما بالنسبة لهم. هكذا يحدد محدثي المهمة الرئيسية للمخضرمين في الحزب.

ويعتقد ان ثمة اولويتان في تطور الحياة الاجتماعية اليوم. اولا - تطهير الهياكل القيادية الحالية من الذين بنوا حياتهم على اساس المساومات. ثانيا - من الضروري النهوض بالاقتصاد الروماني لكي يقف على رجليه. واذا ما تم تأجيل وتأخير انجاز هذه المهمات فستكون الرفاهية والديمقراطية والحرية في خطر كبير.

وثمة ظرف آخر في الاوضاع الراهنة يقلق قادة الحزب الوطني الليبرالي بشكل كبير هو امتلاك جبهة الانقاذ الوطني الان كامل السلطة في البلاد. ونظرا لان هذه الجبهة هي في وضع مميز فسوف تجد نفسها حتما خارج المنافسة لو قرر ان المساهمة في الانتخابات امر ممكن.

- نحن نعتبر جبهة الانقاذ الوطني كاتحاد للقوى الديمقراطية والوطنية في البلاد التي منحها الناس صلاحيات كاملة من اجل تهيئة ظروف ملائمة كي يقرر الشعب بنفسه مصيره، هكذا يوضح ايفي ساندوليسكو موقفه. ويجب على جبهة الانقاذ الوطني كأعلى هيئة للسلطة ان تحل نفسها بعد اعلان النتائج الاولية للانتخابات. واذا كان اعضاء الجبهة يريدون الدخول الى البرلمان والى الحكومة فيجب عليهم تقديم استقالتهم من المناصب التي شغلوها بصورة عفوية وعلى موجة الثورة الشعبية والانتساب الى الاحزاب التي تلائم معتقداتهم او تشكيل احزاب جديدة. وسيكون بمقدور بعضهم، في ظل التعددية السياسية تشكيل حزب

Digitized by Birzeit University Library

شيوعي جديد تحت اي اسم كان وهو ما سيقومون به في نهاية المطاف بطيبة خاطر كما يتضح من تصريحاتهم.

عرش للملك

بدا لي ان ثمة آراء مغايرة بعض الشيء لدى من يسمون انفسهم باعضاء الحزب الليبرالي. في الواقع، لم تكن هذه المنظمة مسجلة بعد في تلك الفترة في المحكمة كما تقضي بذلك القوانين الجديدة في رومانيا. والخمسة عشر شخصا الذين التقيت بهم في احد فنادق بوخارست كانوا يمثلون مجموعة المبادرة لتشكيل حزب جديد وتنظيم اول مؤتمر له. وقد اوفق احدهم - ميخاي كونتسانتين-نسكو - البالغ من العمر ٢٨ عاما وهو نائب رئيس المجموعة على الاجابة عن اسئلتي.

- كم يبلغ عدد انصاركم؟

- نعتقد ان مئات الألوف من الناس تؤيد برنامجنا.

- ما هي اسس هذه التقديرات؟

- يأتي الينا الناس من جميع ارجاء البلاد ويعلنون عن تضامنهم وتأييدهم لاهدافنا.

- هل انتم واثقون من الفوز في الانتخابات؟

- نعم. ونعتقد ان حوالي ٨٠ في المئة من الناخبين سيصوتون لنا.

- هل تاملون انتم بالذات في الحصول على منصب ما في الحكومة القادمة وشغل مركز مفصلي في الهرمية الحزبية؟

- مؤتمر الحزب هو الذي سيقرر مصيري.

- ما هي الشهادة التي تحملونها؟

- لم تسمح لي اجهزة الامن بالدراسة في الجامعة.

- وهل تنوون الدراسة الان؟ - هذه ليست المهمة الاولى بالنسبة لي الان.

- ما الذي يشغلكم الان اكثر من اي شيء اخر؟

- مستقبل النظام السياسي في البلاد. يجب ان يقوم على اساس ملكي ودستوري على الطريقة البريطانية مع وجودمجلسين للبرلمان وحكومة تشكلها الاغلبية البرلمانية.

- ومن سيكون الملك؟

- الملك ميخاي الذي يعيش في المهجر. فهو سيوحد الامة ويصبح رمزها.

- في هذه الحالة ما الذي يقصده مؤسسو الحزب بكلمة "ليبرالي"؟

- نعتقد ان المجتمع الذي نناضل من اجل تكوينه يجب ان يتميز بالديمقراطية وبالمستوى العالي من التطور العلمي التقني. وهو بالنسبة لنا مجتمع غير مسيس تنقل الملكية فيه الى القطاع الخاص باقصى الحدود.

- ان اساس الليبرالية هو حرية الفكر. هل توافقون على ان يتمتع الاخرون بهذا الحق الاساسي الذي تطالبون به لانفسكم؟ وبشكل خاص اولئك الذين يعتنقون الاراء الماركسية فيما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع؟

- لم تكن في رومانيا في اي وقت من الاوقات ظروف للماركسية. والتعاليم التي يدور الحديث حولها غريبة عن شعبنا وقد ادخلت الى بلادنا من الخارج وفرضت بالقوة.

- كيف يتفق مع تصوركم حول الديمقراطية الرأي القائل بان الحزب الشيوعي يجب ان يبقى "خارج اللعبة"؟

- هكذا اراد الشعب. نحن طبعا راديكاليون ولكننا لسنا متطرفين. ولكن ما العمل اذا كانت الايديولوجيا الشيوعية قد اقترنت في وعي الناس بنظام شاوشيسكو.

- ولكن على الاغلب كان هناك بعض الناس في الحزب الشيوعي غير موافقين على سياسة

Digitized by Birzeit University Library

الديكتاتور.

- نحن لا نكترث بمصيرهم، بل نهتم بقضايانا الخاصة.

ما زال السؤال مطروحا

لا يجوز اعتبار جواب ميخاي كونستانتينسكو عن السؤال الاخير لبقا. لكنني سمعت من كثيرين، غيره تعابير اكثر حدة بحق الحزب الشيوعي. لكن هناك عدد غير قليل من الذين لا يوافقون على الرأي القائل بان الحزب قد فقد المستقبل بشكل ابدي. وعلى الرغم من ان احدا من هؤلاء لم يرغب في المشاركة في مناقشة مثل هذه الموضوعة على صفحات المجلة الا انهم عبروا عن بعض الاراء التي لها علاقة مباشرة بالقضايا التي تهمني.

ان الحزب الشيوعي الروماني الذي تحول في عهد دكتاتورية شاوشيسكو الى مجرد تمثال من الشمع يعرض في المتاحف كف عن الوجود بوصفه حزبا شيوعيا في تلك اللحظة التي اقتحم فيها آلاف من سكان بوخارست في ٢٢ كانون الاول ١٩٨٩ مبنى اللجنة المركزية كي يقضوا نهائيا على السلطة التي وعدتهم بجبال من الذهب في المستقبل ولكنها لم تترك لهم على امتداد ربع قرن اي امل في حياة لائقة الى هذه الدرجة او تلك في الحاضر. ذلك هو الاستنتاج الذي يخطر على البال من جميع التصريحات التي ادلى بها قادة جبهة الانقاذ الوطني حتى الوقت الحاضر.

غير ان الكثيرين من الذين اقتحموا مقر الحزب او دافعوا عن مبنى التلفزيون الذي اعلن نفسه حرا والذي انقضت عليه وحدات اجهزة الامن كانت لهم علاقة مباشرة بالحزب الشيوعي الروماني. وفي الحقيقة نقول انهم لم يماثلوا انفسهم وقتئذ بالحزب ولم يكن بامكانهم ان يتأملوا في العواقب المحتملة بالنسبة لهم والتي قد تسفر عنها الثورة التي اندلعت بسرعة مفاجئة والمرجوة الى اقصى الحدود.

ولكن في اليوم التالي لسقوط الدكتاتور برزت امام الثلاثة ملايين و ٨٨٠ الف انسان الذين كانوا يحملون بطاقة عضوية الحزب الشيوعي الروماني اسئلة حادة بهذه الدرجة او تلك تتعلق بمكانهم ودورهم في ماضي ومستقبل البلاد والمجتمع. واذا ما استخلصنا استنتاجات مما تسنى لي سماعه في بوخارست، فيمكن الافتراض ان حل مثل هذه القضايا صعب جدا بالنسبة لمن لم يطابق في اي وقت من الاوقات بين المبادىء والمثل الشيوعية الحقيقية وبين الاهداف واساليب تحقيقها مما اعلنه وطبقه الدكتاتور، ولمن كان في المعارضة الداخلية لنظامه.

لقد بدا ان انهيار الدكتاتورية يجب ان يفتح الافاق لانبعاث الحزب على الاسس الماركسية بالذات وبناء مجتمع اشتراكي حقيقي في البلاد.

ولكن اولئك الذين وافقوا على مناقشة هذا الموضوع معي يعتقدون ان التربة الواقعية منعدمة اليوم بالنسبة للاولى والثانية على حد سواء. واشاروا الى انه من الجنون السياسي والاستفزاز الصريح التحدث الان عن شيء من هذا القبيل. لذلك يمكن فقط التكهن بمدى عمق المأساة بالنسبة لانصار المبادىء والافكار الاشتراكية المخلصين الذين يدركون بوضوح استحالة تحقيقها في الوقت الراهن.

طبعا لن يقف هؤلاء مكتوفي الايدي. فالعديد من الذين عارضوا شاوشيسكو علنا معروفون بشكل جيد على انهم شرفاء ومبدئيون. وثقة المجتمع بهم كبيرة لدرجة انها كافية لمساهمتهم ومشاركتهم في تكوين مؤسسات دولة جديدة وبنى سياسية تضمن لرومانيا تطورا ديمقراطيا حقيقيا.

وعلى الرغم من ذلك كله ما زالت قائمة مسألة امكانية بروز حزب في البلاد قادر (في المستقبل)

Digitized by Birzeit University Library

على تطوير النظرية الماركسية اللينينية بشكل خلاق والعمل على تحقيقها في الحياة.

ويمكن القول انه لم تعد هناك عراقيل شكلية لتحقيق ذلك بعد الغاء المرسوم الذي فرض الحظر على نشاط الحزب الشيوعي. ولا يرى الزعماء السياسيون ذوو التفكير الواسع للاحزاب التي يعاد تشكيلها والاحزاب الجديدة في مثل هذا الخصم خطرا جديا ولن يصروا كما يبدو على اقرار قانون يحد من حقوق مثل هذه المنظمة. سوف يمر الزمن ويتضح للجماهير الواسعة ان مأساة رومانيا لم تكمن في الافكار الشيوعية بحد ذاتها. وعلى اية حال، فان جميع الذين تكلمت معهم في هذا الموضوع يدركون جيدا ان مثل هذا السؤال لا يمكن النظر فيه الا بوصفه سؤالا بلاغيا في ذلك البلد الذي ساد فيه مدة طويلة وتحت يافطات مختلفة الحكم الملكي المطلق، والذي يقل فيه الدخل الوطني بثلاث او اربع مرات عنه في البلدان الرأسمالية الشبيهة به من حيث المساحة والموارد. ويرى الكثيرون من هؤلاء الناس ان هذا السؤال سيكف عن كونه سؤالا بلاغيا اذا ما تخلصت الاحزاب الشيوعية في البلدان الاخرى التي سارت منذ وقت غير بعيد ب "ثبات" على طريق البناء الاشتراكي، من الازمة التي تعانيها حاليا، واثبتت ان برامجها واقعية وقابلة للتحقيق.

عن مجلة «اليسار» المصرية، ابريل ١٩٩٠

Digitized by Birzeit University Library

المجر :

امجابهة ام وحدة؟

حول اصطفاف القوى السياسية في البلاد

المجر مختبر للاشتراكية فريد من نوعه جدير بان يراقب العالم بأسره عمله باهتمام - هذا ما قاله الاقتصادي المجري البارز يانوش كورناي في حينه. وقد كانت المجر اول بلد اشتراكي يبدأ الاصلاح الاقتصادي ، وهي تقوم اليوم بنشاط بتحويل البنى السياسية ، وبالبحث عن سبل بناء الاشتراكية الديموقراطية الموجهة الى الانسان.

منذ عام ١٩٥٦ ظل يحكم البلاد حزب واحد هو حزب العمال الاشتراكي المجري . اما الان فثمة في البلاد العشرات من المنظمات السياسية من مختلف الاتجاهات ، من بينها الحزب الاشتراكي المجري الذي اسس لتوه ، وحزب العمال الاشتراكي المجري المجدد - وهما اتجاهان يساريان يعبران عن القيم الاساسية للاشتراكية والشيوعية.

ان اسباب انشاء الحزب الاشتراكي المجري ، واهداف ومهمات حزب العمال الاشتراكي المجري الجديد ، وامكانات التعاون بين القوى اليسارية في المجر - ان هذه المسائل تحظى دون شك باهتمام الحركة الشيوعية والعمالية العالمية المعاصرة. ونقدم فيما يلي للقراء مقابلة صحفية اجراها في بودابست مندوب المجلة أ.ستروغانوف مع رئيس حزب العمال الاشتراكي المجري ومع قائد فرع الاشتراكيين اليساريين في الحزب الاشتراكي المجري.

"حزب العمال الاشتراكي المجري حي ،ولكنه حزب جديد"

ديولا تيومير
رئيس حزب العمال الاشتراكي المجري

في تشرين الاول ١٩٨٩ تشكل في مؤتمر حزب العمال الاشتراكي المجري حزب جديد هو الحزب الاشتراكي المجري. وقد وافق على هذا القرار ١٠٥٠ مندوبين من بين ١٢٠٢ حضروا المؤتمر. ولكن عددا من الخطباء قالوا خلال المؤتمر انه لا يحق له حل هذه المسألة البالغة الجدية من دون التشاور مع اعضاء الحزب البالغ عددهم في ذلك الحين ٧٢٠ الفا. كما اتخذ موقفا سلبيا من انشاء الحزب الاشتراكي المجري ممثلو بعض المنابر

Digitized by Birzeit University Library

العاملة داخل حزب العمال الاشتراكي المجري انذاك. ومن الناحية الشكلية ايضا لم تتخذ اية قرارات حول حل الحزب ووقف نشاطه.

وقد اظهرت عملية تشكيل الحزب الاشتراكي المجري ان التوقعات الاولى بانضمام اغلبية اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري الى الحزب الجديد كانت مفرطة في التفاؤل. فقد ايد قسم من الشيوعيين فكرة تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري السابق ، وانضم بعضهم الى الاحزاب الاخرى ، بينما امتنع اخرون عموما عن المشاركة في المنظمات السياسية.

وبعد عدد من الاجتماعات والمهرجانات واللقاءات التي اجراها عقب المؤتمر انصار المحافظة على حزب العمال الاشتراكي المجري ، وقد كان من بينهم السكرتير العام كارولي غروس ووزير الخارجية السابق ف.بويا وزعيم المنبر الماركسي الموحد في الحزب ر.ريباتسكي ، تقرر استمرار الحزب في نشاطه.

وفي ١٧ كانون الاول جرى القسم الاول من جلسات المؤتمر الرابع عشر لحزب العمال الاشتراكي المجري (لم يكن المؤتمر التشريني مرقما) ، وسيجري القسم الثاني في اوائل عام ١٩٩٠ . واقر النظام الداخلي للحزب وانتخبت قيادته.

في البداية قال د.تيوميز مبتسما: ليست لدينا مقراتنا حتى الان ، فكلها انتقلت الى الحزب الاشتراكي ، لذا فانني استقبلكم في منزلي . فالحزب ، من حيث الجوهر ، ينتظم من جديد ، اذ ان بنيته تعرضت للخلل.

- الكثيرون يتساءلون: لماذا لم يعلن في مؤتمر تشرين الاول عن استمرار نشاط حزب العمال الاشتراكي المجري، على الرغم من ان حوالي سدس الحاضرين صوتوا "ضد" او امتنعوا عن التصويت؟ ما هو السبب في ذلك - اهو السعي الى تلافي الانقسام ام العجز عن توحيد القوى في الوقت المناسب من اجل تجديد الحزب؟

- السؤال مشروع بالفعل. فقد طرحه العديد من اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري ولا يزالون يطرحونه حتى الان . لقد كان انشاء الحزب الاشتراكي المجري في مؤتمر تشرين الاول نتيجة لجهود مجموعة غير كبيرة من قادة الحزب انذاك . وفيما بعد فقط فهم المندوبون ، وجرت عملية الادراك بصورة تدريجية ، ان القرار من حيث الجوهر لم يتخذ في المؤتمر نفسه ، بل وراء الكواليس. وقد كان مطلب الحفاظ على وحدة الحزب هو السائد انذاك . وهذا ما حدد مصيره الى حد كبير.

لقد كان طرح مبادرة اخرى في ايام المؤتمر ، في رأينا ، سابقا لاوانه. فقد تطلب الامر التشاور مع الشيوعيين: ايستقبلون الحزب الاشتراكي بوصفه حزبهم ام لا؟ ولم تقدم اراء المندوبين حينذاك تصورا واضحا عن الامزجة والميول السائدة في الحزب . وقد قمنا في الايام والاسابيع الاولى التي اعقبت المؤتمر بمشاورات واسعة مع اعضاء الحزب وتوصلنا الى استنتاج مفاده ان ثمة ضرورة لوجود حزب العمال الاشتراكي المجري ، وانه ينبغي ان يعيش. والان تجاوز عدد الذين اكدوا بتواقيعهم انتماءهم الى الحزب ٦٥ الفا ، فضلا عن ان الاف الشيوعيين اعلنوا في القوائم الجماعية عن انتمائهم اليه.

- ما هو الاساس الايديولوجي للحزب؟ ما الذي تأخذونه من تراث حزب العمال الاشتراكي المجري القديم؟ الم تصبح افكار الماركسية اللينينية بالية في الوقت الراهن ، ام انها تحتاج الى اعادة فهم؟ ما هو موقفكم من مبادىء المركزية الديموقراطية ودكتاتورية البروليتاريا؟ فمن المعروف ان الحزب الاشتراكي المجري تخلى في برنامجه عن هاتين الموضوعتين؟

- اقر المؤتمر الرابع عشر نظاما داخليا جديدا يؤكد ان حزبنا حزب ماركسي . واعتقد ان هذا

Digitized by Birzeit University Library

القول كاف. غير اننا لسنا جامدين عقائديا ونرى ان موضوعات الماركسية وطرقها الاساسية ينبغي ان تستخدم وفقا للظروف الوطنية الملموسة والعصر الذي نعيش فيه. فنحن نناضل من اجل الاشتراكية ، ونؤمن بان هذا المجتمع قابل للتجديد.

ان مستقبل المجر ، وسبل حل القضايا الاقتصادية والسياسية الملحة ، ليس في اعادة النظام الرأسمالي ، بل في تجديد الاشتراكية . ونحن نستند الى تجربة الحركة العمالية المجرية والعالمية ، والى انجازات البلاد خلال العقود الاربعة الاخيرة .

ان المجر هي احدى الدول الاشتراكية الاولى التي سارت على طريق الاصلاحات. وبفضل ذلك اقيم عندنا قطاع زراعي عصري والعديد من فروع الصناعة. وغدت الحياة السياسية خلال السنوات المنصرمة اكثر ديموقراطية من اي وقت مضى ، وارتفع مستوى السكان الثقافي . وهذه حقائق لا يجوز تجاهلها.

واذ نتطرق الى بعض الموضوعات المعروفة المستخدمة في الماضي ، اعتقد ان دكتاتورية البروليتاريا ، بعد ان ادت رسالتها التاريخية ، استنفدت امكاناتها في الظروف الراهنة . ويسعى الحزب الى اقامة دولة الحقوق ، ويرى مستقبل البلاد في الاشتراكية الانسانية والديموقراطية.

ولدى الحديث عن التنظيم الداخلي للحزب ، نعتقد ان حزب العمال الاشتراكي المجري ينبغي ان يكون ديموقراطيا الى اقصى حد ، ولكنه فعال في الوقت نفسه . فنحن نتخلى اليوم عن جميع اشكال المركزية الديموقراطية ونبني نشاطنا على المباديء الاتية: الديموقراطية حول اوسع طائفة من المسائل ، اما قرارات الهيئات المركزية التي ينبغي ان تكون قليلة الى اقصى حد ، فيجب الا تتناقض مع النهج العام للحزب ، الذي يحدد بالطرق الديموقراطية.

- هل جرى الحديث في المؤتمر عن تغيير اسم الحزب؟ الا تعتقدون ان الحفاظ على الاسم القديم يخلق المصاعب مع الحزب الاشتراكي المجري الذي اعلن نفسه وريثا لحزب العمال الاشتراكي المجري؟

- لقد بحثت هذه المسألة ابان التحضير للمؤتمر الرابع عشر واثناء انعقاده. فقد اعتبر البعض ان الاسم السابق قد اسيء الى سمعته ، وان المشاركة في النضال السياسي الحديث يتطلب البحث عن اسم جديد اكثر جاذبية للشعب. والبعض يرى ضرورة اعتماد اسم "الحزب الشيوعي المجري" الذي يتيح تحديد طابعه بدقه. كما قدم اقتراح بالعودة الى اسم "حزب الشغيلة المجري" ، الذي كان مستخدما في اعوام١٩٤٨ - ١٩٥٦ ، قبل حزب العمال الاشتراكي المجري.

وفي نهاية المطاف قرر المندوبون الحفاظ على الاسم السابق. فهو يعكس افضل ما يكون حقيقة انه اتحد في حزبنا ، كتفا الى كتف ، الشيوعيون والاشتراكيون الديموقراطيون اليساريون ، وانه يواصل التقاليد المجيدة التي لا تلبى لهاتين الحركتين . اما بالنسبة للاستمرارية ، فنحن نعتبر ان حزب العمال الاشتراكي المجري المجدد هو الوريث السياسي للحزب السابق ، الذي يمتد تاريخه الى اكثر من ثلاثة عقود . ويمكن القول ان حزب العمال الاشتراكي المجري حي ، ولكنه حزب جديد.

- ما الذي ميز المؤتمر الرابع عشر؟ اتميز بوحدة الاراء ام بالصراع بين الاتجاهات والكتل المختلفة؟

- تبرز تناولات مختلفة للقضايا المعاصرة. فثمة خلاف كبير ، مثلا ، حول مسألة كيفية تقويم تراث العام والنصف او العامين الاخيرين ، وماهية الدور الذي قام به الكونفرنس العام لحزب العمال الاشتراكي المجري (عام ١٩٨٨). يعتبر البعض ان قراراته كانت ترمي الى اشاعة

Digitized by Birzeit University Library

الديموقراطية في المجتمع ، واقامة نظام سياسي تعددي . وهذا صحيح فعلا. ولكنها في الوقت نفسه ساهمت في انبعاث القوى المعارضة.

وقد اعتبر كثيرون ، وانا من بينهم ، انه ينبغي تغيير النموذج القديم للنظام الاجتماعي بأي ثمن . فالاشتراكية لا يمكن ان تقوم من دون ديموقراطية . ولكن لا يجوز في الوقت نفسه عدم رؤية انه اشتدت خلال عام ونصف ، ولا سيما في الاشهر الاخيرة ، في المجر الاتجاهات اليمينية في الحياة السياسية ، والاراء المعادية للشيوعية ، وتعمقت النزعة القومية في جميع تجلياتها ، ومعاداة السامية ، والعنصرية (يتجلى التمييز بالدرجة الاولى ازاء الغجر).

وتصاعدت تحركات القوى اليمينية ضد اجهزة السلطة . ولا تضعف ، على وجه الخصوص ، ممارسات تقويض هيبة وزارة الداخلية . والنتائج بادية للعيان: فقد فقدت الميليشيا الثقة بنفسها وازدادت الجريمة بنسبة ٣٠٪ عام ١٩٨٩. واصبح المواطن «الانسان العادي الذي ينبغي ان تكون حقوقه وحرياته مصانة بصورة مضمونة ، اصبح يخشى ، احيانا ، الخروج من منزله في المساء.

ليست اشاعة الديموقراطية هي المسؤولة عن الوضع الناشيء ، فهي ضرورية الان وفي المستقبل . ولكن ، نظرا للوضع الراهن ، علينا ان نتعلم العمل في ظروف تعدد الاحزاب ،وخوض النضال في البرلمان ووسائل الاعلام العامة ، وان نخرج ، في نهاية الامر ، الى الناس في الشوارع. فكيف نفعل ذلك؟ ما هو السبيل الى ذلك؟ لقد اختلفت الاراء حول هذا الامر في المؤتمر ، وقد اعتبر البعض انه تجب استعادة بعض العناصر التقليدية في نشاط حزب العمال الاشتراكي المجري.

واشير هنا الى انه لوحظت قبل المؤتمر مطامح شخصية مختلفة لدى شخصيات معينة ، اعاقت ظهور الوحدة . ولكن - وانا اعتبر ان ذلك هو الانجاز الاكبر - تحقق في المؤتمر اجماع تام ، وشكلت الهيئات القيادية للحزب ، واقر نظام داخلي ديموقراطي عصري.

- في الكونفرنس العام لحزب العمال الاشتراكي المجري قال كاروولي غروس: "ان نظام الحزب الواحد تعبير واضح وحصيلة تاريخية لمطامح شعبنا" . اما الان فان تعددية الاحزاب اصبحت قانونية في البلاد. الا تعتقدون ان الرغبة في الحفاظ بكل القوى عل نظام الحزب الواحد وما يسمى باشتراكية الدولة اضرت كثيرا بسمعة الحزب وجعلت شعاراته غير شعبية بين الجماهير؟

- ان نظام الحزب الواحد او تعدد الاحزاب هو شكل المسألة وليس جوهرها. فيمكن من الناحية النظرية تصور المجتمع الديموقراطي من دون تعددية الاحزاب. المهم ان يبنى هذا المجتمع على المباديء الديموقراطية بالذات. ولذا فانني ارى جوهر التحولات في ان يشارك كل انسان ، كل مواطن فعلا في اتخاذ القرارات وفي مراقبة تنفيذها. ولكن من الضروري وجود الاشكال الملائمة التي تؤمن ذلك. وقد تبين في ظروف المجر ان المصالح الموجودة موضوعيا لمختلف فئات السكان تتسم بميل الى التجلي في شكل احزاب سياسية ، وليس في شكل نواد للنقاش وجمعيات وما شابه. وانا ارى امرا سيئا في ذلك.

ولكن ، لنقل بصراحة ، اننا لم نتوقع مثل هذا التطور للاحداث ، كما هو الامر الان. فالتناقض ، او بالاحرى التطور التدريجي لمواقف الحزب من هذه المسألة، ادى الى ارتباك معين ، سواء في صفوفه او في المجتمع . والتعددية الحزبية الان هي احد العناصر الاساسية لاشاعة الديموقراطية في المجر.

- ما هو الجديد في النظام الداخلي للحزب ، الذي اقره المؤتمر؟

- المهم بصورة مبدئية ، في رأينا ، هو ان

Digitized by Birzeit University Library

المنظمات القاعدية تشكل اساس الحزب. وهذه الفكرة ليست جديدة بالطبع ، ولكن الامر الجوهري هو كيف نريد تطبيقها في الممارسة.

ان الهيئات القيادية السابقة كانت تتخذ ، احيانا ، قرارات لا تعكس اراء اغلبية اعضاء الحزب . وغالبا ما كانت هذه القرارات بعيدة عن الواقع . اما الان فان المنظمات القاعدية في الاقاليم والمدن والمناطق تشكل لجانا تنسيقية . وهدفها هو بالذات تنسيق الاعمال في ميادين معينة من نشاطها ، وليس اتخاذ القرارات الملزمة للجميع . فعلى سبيل المثال ، ليس بمقدور منظمة حزبية واحدة اصدار صحيفة خاصة بها ، ولكن باستطاعة عدة منظمات القيام بذلك على صعيد المحافظة.

والجديد ايضا هو ان المنظمات القاعدية تنتدب ثلثي اعضاء اللجنة المركزية: فترشح ١٩ محافظة شخصين عن كل واحد منها ، وترشح مناطق بودابست ال ٢٢ شخصا واحد عن كل واحد منها. وينتخب ثلث اعضاء اللجنة المركزية في المؤتمر - تتألف منها بالدرجة الاولى هيئات الحزب القيادية (لا يوجد عندنا مكتب سياسي ، بل سكرتارية تنفيذية). ومن المهم بصورة مبدئية ان المنظمات القاعدية يمكن ان تسحب اعضاء اللجنة المركزية . ولا يسمح بضمهم الى الهيئة من دون انتخاب ، كما كان الامر في الماضي . اضافة الى ذلك ، ينبغي ان تشارك كل القيادة ، بصورة فعلية وليس شكلية ، في عمل المنظمات الحزبية القاعدية.

وانشئت لدى اللجنة المركزية لجنة من المستشارين ، ونحن نأمل هنا الاستفادة من خبرة الحزبيين المجريين الذين عركتهم الحياة ، ومن الشخصيات البارزة في ميادين العلم والثقافة والسياسة.

- هل تضم هذه اللجنة زعماء الحزب السابقين - غروس ، بيريتس ، بويا؟

- لا ، لقد انتخبوا ، هم وريبانسكي ، اعضاء في اللجنة المركزية. واصبح العاملان شاندور نيري (٤٢ عاما) وتيبور كوي (٣١ عاما) ورئيس التعاونية الزراعية اتيلا بوجوني (٤٧ عاما) نواب لرئيس الحزب . وتضم السكرتارية التنفيذية ١١ شخصا ، وتشمل مهماتهم المسائل التنظيمية ، وسياسة الحزب الداخلية والخارجية ، والثقافة والايديولوجيا . اضافة الى ذلك ، يتحمل ثلاثة سكرتيرين مسؤولية نشاط الحزب في مناطق البلاد الكبرى ، واخر مسؤولية العمل في منظمة بودابست . وتضم السكرتارية ايضا ، رئيس تحرير صحيفتنا والمسؤول المالي ورئيس المجموعة الحزبية في البرلمان - وهو الان ي.بيريتس.

- ما هو عدد هذه المجموعة الحزبية؟

- كان اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري في السابق يشكلون حوالي ٧٠٪ من النواب. وبعد الانشقاق ظل الكثيرون خارج الحزب ، وانضم البعض الى مجموعة الحزب الاشتراكي البرلمانية. وهكذا ، لدينا ٢٢ مقعداً في البرلمان . وبديهي ان هذا العدد ليس كبيرا بحيث يؤثر في نشاطه بقوة . لذا فان احدى مهماتنا تتلخص في زيادة عدد نواب الحزب في الانتخابات البرلمانية المقبلة.

- على من يعتمد حزب العمال الاشتراكي المجري اليوم؟ الن يبقى ، كما يقولون في المجر ، حزب "الاباء والاجداد"؟ وهل سيصبح ممثلا لمصالح جميع فئات السكان؟

- لم يعد حزب العمال الاشتراكي المجري يعتبر نفسه القوة السياسية القائدة للبلاد. انه احد الاحزاب وينبغي ان يكتسب النفوذ والمواقع في المجتمع. اننا نبقى حزب الطبقة العاملة،ونحن لا ننفي ذلك ، بل على العكس نؤكده . وندافع عن مصالح العمال والفلاحين والمثقفين الكادحين وسائر الشغيلة . وتوجهنا الاجتماعي واضح لا لبس فيه.

ان حزب العمال الاشتراكي المجري هو بالفعل

Digitized by Birzeit University Library

اليوم حزب المسنين الى حد كبير: ٤٢٪ من مندوبي المؤتمر فوق الستين من العمر. ولكن هذا ليس بالامر المخيف ، في رأيي. فنحن نعتمد على خبرتهم ومعارفهم . اضافة الى ذلك ، ينبغي ان نأخذ في الحسبان ان ربع سكان المجر من المتقاعدين . فمن الذي سيدافع عن مصالحهم السياسية والاقتصادية؟ وبالمناسبة ، ان اكثر من نصف اعضاء لجنتنا المركزية دون الخمسين من العمر.

بديهي اننا نأمل في تدفق القوى الفتية . فمئات الالاف من اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري السابق لم يحددوا حتى الان انتماءهم السياسي. ونأمل في ان يدفعهم برنامج الحزب الجديد ، وليس الحنين الى الحزب السابق ، الى الخيار الصحيح .

- واذا اراد اعضاء الحزب الاشتراكي المجري العودة؟

- سنقبلهم اذا ما كانت اهدافنا ومثلنا مقبولة لديهم.

- ماذا تقولون بشأن برنامج الحزب؟

- ان مسودته تناقش في المنظمات القاعدية الان ، ونأمل في اقرار البرنامج في المرحلة الثانية من المؤتمر.

- بعد الكونفرنس العام للحزب لم تفلحوا في استعادة ثقة الشعب ببرامجه . ما هي ، في رأيكم ، مهمات التجديد في الميدان الاقتصادي؟ وما هو الدور الذي يمكن ان يقوم به حزب العمال الاشتراكي المجري في هذا المجال؟

- ان حزب العمال الاشتراكي المجري ، بوصفه حزبا معارضا ، ينتقد الخطط التي تعدها الحكومة . ونحن نعارض حل المصاعب الاقتصادية بواسطة تحويل القطاع العام الى قطاع خاص وبيع ثروة الامة . ونحن نرى المخرج من الازمة ، لا في انشاء المؤسسات الخاصة ، بل بالدرجة الاولى في الاستثمار الاكثر فاعلية لاشكال الملكية الجماعية - المصانع والمعامل التابعة للدولة ، التعاونيات الصناعية والزراعية ، والملكيات المدنية والريفية والمنطقية وغيرها.

ونعتبر ان حل القضايا ينبغي الا يتم على يد مجموعة ضيقة من الناس ، بل باشراك الاختصاصيين وجماهير الشغيلة الواسعة . من الضروري ، بالطبع ، تحديث البنية الاقتصادية ونحن ندعم هذه الخطط. ولكن لا يجوز القاء جميع اعباء التسيير الاقتصادي على كاهل الشغيلة. لذا فاننا نقف ضد البطالة وتسريح الناس من دون مبرر ، الامر الذي يحدث في عدد من المؤسسات الان.

- اذ نتحدث عن تراث حزب العمال الاشتراكي المجري اود التذكير بتقويم احداث عام ١٩٥٦ في المجر و "ربيع براغ" عام ١٩٦٨. الا تعتقدون ان الانتقال الى "الاشتراكية ذات الوجه الانساني" كان من الممكن ان يتم قبل فترة طويلة؟ ما هو موقفكم الشخصي من تلك الاحداث التاريخية انطلاقا من الظروف الراهنة؟

- لقد كان بامكاننا من قبل الانتقال الى هذه الاشتراكية - هذا صحيح فعلا.

بالنسبة لاحداث عام ١٩٥٦ في المجر ، لا يجوز ، في رأيي ، تناولها بشكل وحيد الجانب. لقد بدأت كتحركات عادلة من قبل الشغيلة ضد اخطاء وتعسف نظام راكوشي ، وكانت ترمي الى تجديد الاشتراكية . ولكن منذ الايام الاولى شاركت في الحركة قوى معادية للاشتراكية ، اصبحت هي السائدة فيها في نهاية الاحداث . وباختصار ، ينبغي ان نرى بدقة الفارق بين المساعي التي تساعد الاشتراكية بواسطة اشاعة الديموقراطية والتجديد ، والرغبة في استعادة النظام البرجوازي.

في "ربيع براغ" ١٩٦٨ ، اراد الشعب مجتمعا اكثر عدالة ، واشتراكية "ذات وجه انساني" ، ولكن هنا ايضا شاركت ، في مراحل مختلفة

Digitized by Birzeit University Library

وبقدر متباين ، قوى وقفت ضد ذلك . اعتقد انه كان من الضروري منح الشعب التشيكوسلوفاكي امكانية تقرير مصيره بنفسه ، وعدم السماح بتدخل البلدان الاخرى.

اننا نعمل الان من اجل اشتراكية ذات طابع انساني . وانا على يقين من ان هذا النظام ، على قاعدة اشكال الملكية الجماعية ، الذي يعترف بافضلياتها واولوياتها ، يمكن ان يضمن بصورة افضل حقوق الانسان وحريته والطابع الانساني للمجتمع . وهذا لا يعني اطلاقا ان الرأسمالية ليست قادرة على تحقيق ذلك. وقد استصغرنا في حينه امكاناتها على التطور الذاتي ، وحل الكثير من القضايا الاجتماعية والسياسية.

- بعد الكونفرنس الحزبي انتعشت الحياة السياسية في المجر على نحو لم يسبق له مثيل. ما هي ، في رأيكم ، السبل الممكنة للتعاون مع الاحزاب والحركات الاخرى؟

- قبل كل شيء نعتبر الحزب الاشتراكي المجري شريكا وحليفا محتملا . اننا ضد الصراع مع الاخوان الطبقيين. وندعو الى التعاون مع القوى الاشتراكية الديموقراطية اليسارية ، والصلات مع جميع الحركات الاخرى ، التي تريد بناء بلد ديموقراطي عصري. ونعني بها الحزب الشعبي والقوى اليسارية في المحفل الديموقراطي المجري.

- ما هو موقف حزب العمال الاشتراكي المجري من الحركة الشيوعية العالمية؟

- اننا نريد تطوير الصلات مع الاحزاب الشيوعية في اوروبا والعالم باسره. ونحن على استعداد لاقامة العلاقات المختلفة مع الاحزاب الاشتراكية والاشتراكية الديموقراطية . وندعو الى تحالف القوى اليسارية على الصعيد العالمي ايضا. ومستعدون في حال الاستجابة ، الى اقامة الصلات مع اية احزاب برجوازية تريد الخير لكوكبنا وللبشرية كلها.

- وفي الختام ، هلا حدثتنا بعض الشيء عن نفسك ، فانت ، كشخصية سياسية ، لم تكن معروفا حتى الان.

- لي من العمر ٣٦ عاما ، وقد ولدت في بودابست . تخرجت من معهد الدولة للعلاقات الخارجية ، ومنذ عام ١٩٨٢ في جهاز اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري . في الفترة الاخيرة كنت مستشارا للسكرتير العام للحزب حول مسائل السياسة الخارجية . وقد اتاح لي ذلك اكتساب خبرة مهمة ، اذ تعين علي المشاركة في المعارك التي دارت في المرحلة الصعبة المعقدة من تاريخنا . وقد مكنني وجودي في منصب مستشار كارولي غروس من اقامة علاقات عملية وشخصية مع العديد من الاحزاب الاجنبية ، وقادة الدول المجاورة.

واد اعود الى موضوع الحديث ، اود في الختام الاشارة الى حرارة التحيات التي وردت الى مؤتمر الشيوعيين المجريين من الحزب الشيوعي السوفييتي والاحزاب الشقيقة الاخرى. ان حزب العمال الاشتراكي المجري الجديد سوف يسعى الى التجديد الديموقراطي للمجتمع والتحام القوى اليسارية المنطلقة من المواقع الاشتراكية .

"لقد شعر كل شخص بالانتصار والهزيمة في آن"

روبيرت خوخ

قائد فرع الاشتراكيين اليساريين في الحزب الاشتراكي المجري، عضو مراسل في اكاديمية العلوم المجرية

في مؤتمر عام ١٩٨٩ ، الذي اعلن عن انشاء الحزب الاشتراكي المجري ، كانت تعمل حوالي عشرة منابر تعبر عن الاراء المختلفة ، المتعارضة احيانا ، لمجموعات المندوبين. احدها "التلاحم من

Digitized by Birzeit University Library

اجل تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري" - حل نفسه اثناء عمل المؤتمر ، لانه اعتبر ان الهدف الذي وضعه لنفسه ، قد تحقق. وهذا ما اعلنه بصورة عاطفية انذاك احد المشاركين النشطاء فيه ر.خوخ ، العالم المعروف ، نائب مدير معهد الاقتصاد في اكاديمية العلوم المجرية . وبعد ان انضم الى الحزب الاشتراكي المجري ، تزعم بعد عدة اشهر من المؤتمر اتجاها جديدا في الحزب هو - فرع الاشتراكيين اليساريين.

- في تشرين الاول ١٩٨٩ ، فقدت المجر الحزب الشيوعي الحاكم مع بقاء البلد اشتراكيا. اذ ولد الحزب الاشتراكي المجري. فهل كان التخلي عن نموذج الحزب الماركسي اللينيني خطوة اضطرارية مرتبطة بالوضع السياسي الداخلي ، او انه كان حاجة داخلية لعدد من اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري السابق ، الذي وصل الوضع الازمة؟

- للاجابة عن هذا السؤال اعود الى الكونفرنس العام لحزب العمال الاشتراكي المجري الذي جرى في ايار ١٩٨٨. فانذاك بدأنا (بصورة خجولة في الواقع) التخلي عن بعض تقاليد البنية التنظيمية للحزب بالمعنى السابق لهذه الكلمة . وتحديدا ، لقد طرحت المسألة حول امكانية وفائدة وجود حرية العمل ومختلف المنابر في حزب العمال الاشتراكي المجري. وطالبت بعلنية اكبر في عمل الحزب وقيادته . واعتقد ان ذلك كان بحد ذاته نوعا من التخلي عن ذلك النموذج البلشفي ، الذي تكون في المؤتمر العاشر في روسيا السوفييتية. فحينذاك كما نعلم الغيت حرية التكتلات.

اثارت الاقتراحات ، كما كان متوقعا ، نقاشا حادا. فالرئيس السابق لحزب العمال الاشتراكي المجري يانوش كادر قد عارض ذلك بشدة. وكنت شخصيا احترمه كثيرا كقائد وكانسان ، على الرغم من ملاحظتي للاخطاء في نشاطه. ولم يتخذ القرار ، واقول بصدق انني سررت لذلك ، لان اغلبية المندوبين كانت على الارجح ستر فض الاقتراحات . ولكن عقب الكونفرنس الحزبي مباشرة بدأ العمل في الهيئات القيادية على وضع النظام الداخلي الجديد ، الذي كانت هذه الافكار بالذات تكمن في اساسه.

ان البنية التنظيمية ، التي كانت تميز حزب العمال الاشتراكي المجري السابق - واعني بالدرجة الاولى مبادىء المركزية الديموقراطية - كانت تتيح خنق المبادرات والاقتراحات السليمة الاتية من الاسفل ، والقضاء عليها في المهد. واعتقد انه بسبب ذلك الى حد بعيد بدأت تتجلى ظاهرات الازمة في الحزب والبلاد منذ بداية الثمانينات . فالامال التي راودت الشيوعيين وغير الحزبيين بان تبدأ التحولات الجذرية بعد الكونفرنس الحزبي ،ظلت مجرد امال للاسف.وشهدت الحياة السياسية اخطاء جدية في العام والنصف التي اعقبت الكونفرنس.

في الكونفرنس الحزبي لم يتطرق الحديث حتى الى التخلي عن الدور القيادي لحزب العمال الاشتراكي المجري ، وعن النظام الاشتراكي. ولكن بعد انتهائه اخذ قسم من القيادة الحزبية يتقدم بمبادرات جذابة جدا في الظاهر ، لم تقبلها الاكثرية في الحزب مع ذلك . واعني هنا ، بالدرجة الاولى ، اعادة تقويم نتائج العقود الاربعة من تاريخنا وطابع احداث عام ١٩٥٦ ، ونشاط امري ناج - رئيس الوزراء انذاك ، ودور حزب العمال الاشتراكي المجري. وكانت المأساة الكبرى ، في رأيي ، تتلخص في ان القسم الاخر من القيادة كان يتجاوب بفتور شديد مع هذه المبادرات ، وكان ، احيانا ، يعرب عن وجهة نظر معينة ، ثم يعود بعد فترة من الزمن - ايام ، اسابيع ، اشهر - ليعرب عن نقيضها تماما. وقد ادى هذا ، دون شك ، الى تقويض سمعة

Digitized by Birzeit University Library

الحزب وثقة الاعضاء العاديين الذين لم يقبلوا مواقف القسم الاول من القيادة.

اعتقد ان مسألة نظام تعدد الاحزاب اصبحت هي الحد الفاصل. وعلى الرغم من الاعلان في الكونفرنس ان حزب العمال الاشتراكي المجري ليس معارضا من حيث المبدأ لتعددية الاحزاب، كان الحديث يدور بان تطورنا التاريخي سار على طريق تكون خلاله نظام الحزب الواحد، وان هذا النظام سيظل قائما في المستقبل. وبعد نصف عام اعلن في الاجتماع الكامل للجنة المركزية ان مسألة نظام الحزب الواحد او تعدد الاحزاب ليست في رأينا مسألة مبدئية في ظروف الاشتراكية. واذ اعترفنا بتعددية الاحزاب اكدنا، انذاك، انه لا يمكن ان تكون علنية الا تلك المنظمات التي تدعم المجر الاشتراكية. ولكن، مرة اخرى، اختفى هذا التعريف بعد عدة اشهر.

اخذ قسم من الناس الذي كانوا في السابق ايضا من انصار نظام تعدد الاحزاب (البرجوازي) يعلن ان هذه هي ارادة الشعب. ولكن لم يجر اي استفتاء او اقتراح في صفوف الشعب. ويبدو لنا ان مطلب تعددية الاحزاب كان يعبر عن رغبة طائفة ضيقة من الاشخاص فقط. وكانت احدى الحجج التي طرحوها التأكيد بانه ما دامت الاحزاب موجودة عمليا، فمن الضروري اضفاء صفة قانونية عليها، واسمح لنفسي بالتشكيك بصحة هذا الطرح. ففي عهد هورثي كان الحزب الشيوعي يمارس نشاطه في المجر. ولكن ذلك لم يكن بالنسبة لنظام الحكم اساسا للاعتراف بعلنيته. اذن، هذه الحجة موضع شك كبير.

لا شك في ان العمليات الاقتصادية الجارية في البلاد مارست تأثيرها في الحزب في تلك الفترة. واذكر ان وضع الاقتصاد الوطني ازداد سوءا في اواسط السبعينات، ونما الدين الخارجي بنسبة كبيرة. واصبحنا عمليا رهائن لصندوق النقد الدولي، الذي تملك الولايات المتحدة الصوت الحاسم فيه. وفي مطلع العقد الراهن اخذ صندوق النقد الدولي يدلنا على كيفية اجراء التدابير الاجتماعية وتنظيم الاسعار وما شابه. وينبغي القول انني اعلنت، انذاك، في احدى الجلسات المعلقة في الاكاديمية، ان صندوق النقد الدولي يملي علينا السياسة الاقتصادية، ولكنني للاسف، استصغرت عواقب هذا الضغط. ففي عام ١٩٨٧ اوصى الصندوق بتطبيق نظام للضرائب مماثل للنظام المعمول به في دول اوروبا الغربية. وقد تجلى، انذاك، ميل لتغيير توجهنا من سوق مجلس التعاضد الاقتصادي الى سوق اوروبا الغربية.

وباختصار، على هذه الخلفية الاقتصادية تفاقمت الازمات في المجتمع والحزب على حد سواء، علما بان تأثيرها المتبادل كان كبيرا وادى الى عواقب جدية.

- هل يمكن القول ان حزب العمال الاشتراكي المجري وصل الى مؤتمر تشرين الاول وهو في وضع كان من المستحيل فيه تغيير اي شيء، وكان التخلي عن التراث السابق وحده القادر على اعادة العافية الى صفوف الحزب؟

- لقد كان حزب العمال الاشتراكي المجري، انذاك، يضم عمليا كتلا ومنابر مختلفة، الامر الذي تجلى، بالطبع، ايضا في اراء القيادة الحزبية العليا. وعلى الرغم من ان محاولات بذلت لتوحيدها، الا انه كان واضحا للجميع ان الصراع السياسي داخل الحزب، بما في ذلك بين الاعضاء العاديين، كان يحتدم من يوم الى اخر. وقليلون هم الذين يعرفون المخرج.

قبل المؤتمر مباشرة كانت المنابر الاتية تعمل داخل حزب العمال الاشتراكي المجري. (سأبدا من اليمين الى اليسار، دون ان استبعد

Digitized by Birzeit University Library

وجود اراء اخرى في هذا الشأن). اتحاد الاصلاحات - وهو ليس المنبر الاكبر والاكثر تلاحما وتنظيما فحسب ، بل والاكثر شبابا ايضا من حيث اعمار المشاركين فيه. واضيف الى ذلك ان هذا المنبر لا يزال حتى الان عبارة عن طائفة من الكتل والمجموعات والتيارات المختلفة. وبالمناسبة ، اتضح فيما بعد ان قوته كانت اشبه بخداع النظر . فانصار اتحاد الاصلاحات لا يشكلون الا ١٠٪ من الحزب الاشتراكي المجري الراهن القليل العدد.

وفي الوسط يقع المنبر الشعبي الديموقراطي. واقول بصراحة انني لو لم اكن عضوا في منبر اخر لانضممت اليه بكل سرور. فقد تمكنت هذه المجموعة عمليا من اكتساب مواقع معينة وترشيح ممثليها الى الهيئات القيادية ، وان لم يكن بمثل العدد الذي رشحه اتحاد الاصلاحات . وبالمناسبة ، ساخرج عن موضوع الحديث لاذكر الواقعة المعبرة الطريفة الاتية: بعد المؤتمر ظهرت في صحيفة "نيبسابادشاغ" ، التي صارت صحيفة اشتراكية (حذف شعار "يا عمال العالم اتحدوا" من راس صفحتها الاولى) ، صورة كانت اشبه بحدث مثير وفق المفاهيم المجرية ، هي عبارة عن سيارة "ترابانت" - وهي كما تعلمون سيارة رخيصة ذات هيكل مصنوع من مواد بلاستيكية ومحرك دراجة نارية - لاحد اعضاء هيئة رئاسة الحزب الاشتراكي المجري ، تقف امام مبنى اللجنة المركزية . ولكن هذه ، للاسف ، حادثة نادرة ، فلا يزال اصحاب الكلمة الفصل في الحزب حتى الان هم اولئك الذين يركبون سيارات "مرسيدس" الفاخرة الشخصية.

في يسار اللوحة السياسية كان يقف منبر "من اجل حزب العمال الاشتراكي المجري" و "التلاحم من اجل تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري" ، الذي كنت انتمي اليه ، وكان زعيم هذه الحركة العضو السابق في المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري ي.بيريتس ، الذي كان يهتم بمسائل الايديولوجيا في الحزب . وقد كان امرا جيدا ، ان سياسيا محترفا كان على رأس هذه الحركة . ولكن ، كما تبين ، كان لذلك عواقب سلبية معينة فيما بعد. فعندما قررنا في المؤتمر ، مثلا ، الانضمام الى المنبر الشعبي الديموقراطي رفض طلبنا بكل بساطة.

اما المعبرون عن الاراء الاكثر يسارية فكانوا اما غائبين عن المؤتمر واما ضعيفي التنظيم . فالمنبر الماركسي الموحد في حزب العمال الاشتراكي المجري ، مثلا ، الذي يعتبر انه يجري ، تحت شعار تغيير النموذج والتحضير لاعادة الرأسمالية في المجر ، لم يكن ممثلا في المؤتمر . كما لم يكن لدى كارولي غروس ، السكرتير العام لحزب العمال الاشتراكي المجري في ذلك الحين ، اية مجموعة. وهكذا ، بصراحة ، لم تكن القوى التي اعادت تنظيم حزب العمال الاشتراكي المجري الان ، ممثلة عمليا في المؤتمر .

- ان اتحاد الاصلاحات والمنبر الشعبي الديموقراطي ، اللذين كانا يملكان الاغلبية في المؤتمر ، حددا من حيث المبدأ قراراته؟

- اجل . بما ان كل النقد تركز على المنابر اليسارية ، اعتقد اننا حولنا الانتباه عن الديمقراطيين الشعبيين . وفي ظروف الحرب ايضا تكون هناك لحظات تجعل مجموعة معينة نفسها هدفا للنيران . وهذا ضروري في النضال السياسي ، على الرغم من انه غير مستحب.

واشير الى سمة مميزة اخرى للمؤتمر ، هي العلاقات بين مندوبي العاصمة والاقاليم . فالكونفرنس الحزبي لمنظمة بودابست (وقد كانت منظمة العاصمة اكبر منظمات الحزب) الذي سبق المؤتمر ، اتخذ موقفا مختلفا تماما عن الموقف الذي اتخذه مؤتمر الشيوعيين المجريين .

Digitized by Birzeit University Library

فقد دعا ثلثا مندوبيها ، ان لم يكن ثلاثة ارباعهم ، الى تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري ، وليس الى انشاء حزب جديد. ولكن ممثلي الاقاليم ايدوا باغلبيتهم في المؤتمر وجهة نظر اتحاد الاصلاحات . وهذا ، بالمناسبة ، امر طبيعي تماما: فالملوك الحزبيون ، كما يسمى المسؤولون الحزبيون في المناطق الاخرى ، كانوا يتصرفون دائما على نحو مختلف عن سلوكهم في مناطق بودابست العمالية . وهذا ليس في العقود الاربعة الاخيرة فقط ، بل خلال تاريخ المجر كله على امتداد الف عام. مع ان الاحزاب لم تكن موجودة ، بالطبع ، ولكن التقسيم الاداري كان امرا لم يتغير في شيء ، وهو الذي كون "الامراء المحليين" في المناطق .

وبالمناسبة ، تحدثت منذ ايام مع قائد احد الوفود الاقليمية الى المؤتمر ، فقال : ان الاصلاحيين الذين نظموا ما سمي المجموعات الكفاحية من مندوبي الاقاليم ، قسموا الحزب ،ولكنهم الان تركوا مساعديهم من دون اهتمام ودعم . وهذا ، بالطبع ، رأي مسؤول واحد لمحافظة واحدة فقط ،ولكنني اعلم ان مثل هذه الامزجة موجودة في المناطق الاخرى ايضا.

لقد نشأ في المؤتمر وضع غير عادي: فلم يكن العمل يجري في القاعة فحسب ، بل ووراء الكواليس ايضا ، حيث كانت تتخذ قرارات مهمة . ولذا طالب احد المندوبين قبل التصويت الحاسم بان يقدم زعماء الحزب "تفسيرا للشائعات" . بتقديم تقارير امام المجتمعين عما اجروا بشأنه "المفاوضات وراء الكواليس" خلال الايام كلها تقريبا.

وثمة سمة مهمة اخرى ، هي مسألة جدول الاعمال . انه لجيد ان الكثيرين في المؤتمر - اربعة اخماس المندوبين - كانوا من المنتخبين للمرة الاولى ، الذين لم يمارسوا عمليا اي نشاط سياسي في السابق . ولكن هذا بدوره ادى الى مستوى الثقافة السياسية للمندوبين كان منخفضا جيدا. وفي النتيجة بدا النقاش حول جدول الاعمال بالنسبة للكثيرين عملا معقدا ومرهقا جدا ، ولا حاجة اليه. حتى ان الكثيرين لم يفهموا ان اقرار هذا الجدول او ذاك كان يشكل ، انذاك ، نجاحا لحل عدد من المسائل في الاتجاه المطلوب . فلدى مناقشة مسألة كيفية اجراء الانتخابات - اوفق القوائم المغلقة ام المفتوحة - ايدت الاكثرية الاقتراح الاول اعتقادا منها ان ذلك يؤمن الديموقراطية الحقيقية . ولكن اتضح فيما بعد انه لا يجوز في القوائم المغلقة حذف اسم مرشح ما او اضافة اخر. عندئذ طالب البعض باعادة التصويت ، ولكن القطار كان قد فاتهم ، كما يقول المثل.

كان جو المؤتمر حاميا ، ولم يتسم دائما باللياقة . فاحد الشخصيات السياسية البارزة في الحزب وصف في الاذاعة انصار اتحاد الاصلاحات ب "عالم الاجرام السياسي" . واخرون وصفوا اعضاء المنابر الداعية الى بقاء حزب العمال الاشتراكي المجري بانهم "جرذان" . ولكن اعتقد انه يجب ان لا يكون في الصراع السياسي مكان للاساءات الشخصية.

اتحدث عن ذلك باسهاب لان الحياة السياسية العاصفة في بعض البلدان الاشتراكية لا تزال في بداية انبعاثها ، ولذا من الضروري دراسة العبر المرة بدقة ، لكي لا تتكرر مثل هذه الاخطاء . واذ اتذكر اليوم تلك الايام اعتقد ان كل واحد منا ، لحظة تأسيس الحزب الاشتراكي المجري ، شعر بنفسه منتصرا ومهزوما في ان. لان الوثائق التي اقرت في المؤتمر كانت حصيلة مساومات كبيرة.

- ما هو جوهرها؟ فالمنابر الاساسية دعت مجتمعة الى انشاء الحزب الاشتراكي المجري..

- لنبدأ بقرار المؤتمر حول الحزب الاشتراكي

Digitized by Birzeit University Library

المجري . فهو يقول ان من بين مبادىء نشاطه - الاتحاد الحر والطوعي للتيارات المختلفة . والكثيرون على يقين حتى الان من ان ذلك ضروري في ظروف نظام الحزب الواحد فقط. ولكن بما ان هذا الوضع قائم ، فلا يجوز فصلي انا ولا فصل اصدقائي وانصاري المنتمين الى فرع الاشتراكيين اليساريين ، من الحزب الاشتراكي المجري.

كما جاء في القرار ايضا ان الحزب هو المكمل لتقاليد الحركة الاشتراكية والشيوعية التي لا ينال منها الزمن . ويشير البيان البرنامجي مثلا الى ان الحزب الاشتراكي المجري يدعم ويدافع بثبات عن تلك القيم الاشتراكية والشيوعية ، التي لم تتمكن حتى الستالينية من اخماد قوة جذبها . وهذه الصيغ ايضا هي نتيجة لمساومات كبيرة ، لان البعض في المؤتمر لم يكن يرغب حتى في ذكر كلمة "ماركسية" ، ناهيكم عن "الشيوعية" . واخذ الحزب الاشتراكي المجري على عاتقه مسؤولية العقود الاربعة الماضية ، على الرغم من ان بعض الاصلاحيين اعترضوا ، معتبرين انه لم يتحقق اي شيء ايجابي خلال هذه السنوات.

ودعا قسم من المندوبين الذين يمثلون اتحاد الاصلاحات الى تشكيل حزب جديد كليا او تطهير صفوف الحزب القديم بصورة جذرية. واقترح ، مثلا ، انشاء حزب للاشتراكيين الراديكاليين .. وبالمناسبة ، تلقى الحزب الاشتراكي المجري صفعة شديدة بعدم قبوله عضوا في الاشتراكية الدولية ، خلافا للحزب الاشتراكي الديموقراطي المجري ، الذي غدا عضوا كامل الحقوق في هذه الحركة . واعتقد ان المطلوب من الحزب الاشتراكي المجري ، كشرط لقبوله ان يتخلى عن الاشتراكية عموما كمنظومة كاملة من الافكار.

في نهاية المؤتمر ادركت ، انا والعديد من اصدقائي ، ان هذا الوضع الذي تحقق نتيجة للمساومات ، لن يبقى لفترة طويلة ، ولذا قررنا تشكيل فرع الاشتراكيين اليساريين داخل الحزب الاشتراكي المجري.

- ما هي اهدافه؟

- انه منبر من الناحية السياسية ، ولكنه ، وفقا للنظام الداخلي ، فرع من الناحية التنظيمية . وقد اتخذ المؤتمر قرارا يقضي بان تكون هيئة رئاسة الحزب (المؤلفة من ٢٥ شخصا) متجانسة ، والا فان من الصعب صوغ القرارات حول مدة المسألة او تلك كما يعتقد. اما مجلس قيادة الحزب ، الذي يضم ممثلي المنابر والمنظمات الاقليمية ، فهو اكثر تنوعا ، اذا صح القول . وهو يعكس بالفعل تنوع الاراء الموجود داخل الحزب.

ان الكثيرين ينتقدوننا اليوم ويسألوننا: او ليس الحزب الاشتراكي المجري حزبا اشتراكيا؟ ونحن نجيب: نأمل في ان يكون كذلك ، ولكننا لسنا على يقين تام من ذلك . وقد قال احد اعضاء الفرع: ينبغي ان نصبح ضمير الحزب ، ان نحافظ على روحيته ، على جوهر وثائقه البرنامجية التي اقرت في المؤتمر ، وان نساهم بذلك في ان يصبح الحزب الاشتراكي المجري حزبا يساريا فعلا.

غير ان فرعنا لا يسعى بذلك الى الانفصال عن الاخرين . بل ، على العكس ، نحن نسعى مثلا الى تنظيم الصلات مع اتحاد الاصلاحات ، حيث انها لا تزال معدومة ، على الرغم من اننا في حزب واحد . ولدينا علاقات لا بأس بها مع المنبر الشعبي الديموقراطي.ونبحث عن نقاط التقاء مع التيارات الاخرى داخل الحزب الاشتراكي المجري. ونحاول تنظيم الصلات مع غير الحزبيين ، متحدثين باسم الحزب الاشتراكي المجري . ونرى انه من الضروري التعاون مع الحزب الاشتراكي الديموقراطي

Digitized by Birzeit University Library

المستقل الجديد الذي انفصل مؤخرا عن الحزب الاشتراكي الديموقراطي المجري . وبديهي اننا نقيم الحوار مع اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري السابق.

ان عددنا الان يزيد على الف شخص . وهو رقم مضحك بالمقارنة مع حجم حزب العمال الاشتراكي المجري السابق البالغ ..٧ الف عضو ،ولكنه ليس بالعدد القليل بالنسبة للحزب الاشتراكي المجري الذي ليست لديه الان منظمات حزبية في عدد من المحافظات.

اننا نرى احدى مهماتنا الاساسية في دعم بعض الاشخاص الموجودين في القيادة ، وبالدرجة الاولى ر.نيورش. لانه من الصعب عليه الدفاع عن وجهة نظره في هيئة الرئاسة من دون دعم الوسط واليساريين.

وبصراحة اقول انني لا اعتبر ان الحزب الاشتراكي المجري ينبغي ان يكون حزبا حاكما . خلال سنوات طويلة كان لدي رأي اخر ، لم يعد ملحا في ظروف التعددية الحزبية الان . فالحزب ينبغي ان يكون مؤمنا بنظام ما ، ولكن ليس من الضروري ان يكون القوة القائدة فيه. فعلى سبيل المثال ، اعلنت الحكومة المجرية استقلالها عن الحزب الاشتراكي المجري ،ولكنها في الوقت نفسه تتوقع ان يتخذ الحزب مواقف مؤيدة لها. ولعلي اقول ان الحزب الاشتراكي هو في الظروف الراهنة اشبه برهينة لدى الحكومة . والحقيقة ان الوضع بدأ يتغير الان ، بعد ان خرج رئيس الوزراء م.نيميث من هيئة رئاسة الحزب . وفي رأيي انه ينبغي وضع حدود اوضح بين الحزب والحكومة.

- ما الذي يقترحه فرعكم في الميدان الاقتصادي؟

- ليس لدينا برنامج غير البيان البرنامجي للحزب الاشتراكي المجري. اما بالنسبة للافكار التي يمكن "اشباع" هذه الوثائق بها ، فنعتقد انه من الضروري في اطار الاقتصاد المختلط تأمين الدور السائد للملكية الاجتماعية ، حتى ولو لم يتجل ذلك في المؤشرات الكمية الصرف. اننا ندعو الى تنوع اشكالها ، بما في ذلك ملكية هيئات الادارة الذاتية والبلديات . ونعترف بضرورة نقل قسم من المؤسسات الى القطاع الخاص ، ولكن نحتج بشدة على تبذير ملكية الدولة بهذا الشكل.

كما نعتبر من المهم ايضا الحفاظ على التنظيم الذي تمارسه الدولة . ونرفض النظريات والافكار الليبرالية الجديدة ، التي تكتسب شعبية في الحزب الاشتراكي المجري ، للاسف. ونقترح وضع حد للسياسة التقليدية المتبعة منذ بداية الثمانينات. وهذا يعني انه يجب خلق المقدمات والظروف لرفع مستوى المعيشة في المستقبل . لانه يبدو لنا من غير الواقعي رفعه خلال اشهر او حتى سنوات معدودة . ونقف ايضا ضد اخضاع جميع جوانب النشاط الاقتصادي لتأمين وضع مالي افضل بموجب بنود الميزانية وتوجيهه فقط من اجل ازالة العجز في ميزانية الدولة.

وبالنسبة للعلاقات الاقتصادية الدولية ، نعتبر انه من الضروري التعاون بقدر متساو مع الغرب والشرق ، دون ان نقلص باي شكل من الاشكال العلاقات مع البلدان الاشتراكية ، بما فيها الاتحاد السوفييتي بالطبع.

وبديهي ان الكثير يتوقف في هذا المجال على الانتخابات المقبلة في البرلمان ، التي ستجري في اواخر اذار ١٩٩٠ . مع من سنتحالف ، لكي نتحاشى الهزيمة الساحقة؟ انه ليس السؤال البسيط ، فالكثير يتوقف على ذلك.

اذا لحقت بنا الهزيمة ، فسنجرب الدخول في حكومة ائتلافية او تنظيم معارضة يسارية او وسطية في البرلمان. ولكنني اؤيد وجهة النظر الاخيرة ، لان مشاركتنا في الحكومة ستخدم

Digitized by Birzeit University Library

الان مصالح القوى اليمينية: ففي مثال هذه الحالة سيكون دائما من الممكن القاء تبعة الفشل والاخفاقات في المجال الاقتصادي على الحزب الاشتراكي والنيل منه نهائيا.

- ربما ستتعاونون مع حزب العمال الاشتراكي المجري؟ فقد قال رئيس الحزب الاشتراكي المجري ر.نيورش في تشرين الاول ان من المنطقي والطبيعي ان يتشكل حزب شيوعي عاجلا ام اجلا. وقد حدث هذا بالفعل. فما هو موقف الحزب الاشتراكي المجري منه؟

- يدور نقاش حاد في الحزب حول هذا الامر. فالكثيرون ينشون ان تنغمس القوى اليسارية في المجر في الصراع فيما بينها ، وان تنهش بعضها.

ان النظام الداخلي لا يحظر الصلات مع حزب العمال الاشتراكي المجري ، على الرغم من انه من غير اللائق كثيرا اقامة هذه الصلات على مستوى قيادة الفرع: فان ذلك سيعني نشوء حزب داخل الحزب الاشتراكي المجري ،وهو امر لن نقدم عليه بالطبع . ولكن يمكن اقامة العلاقات مع اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري ومع منظماته القاعدية ، وهذا ما لم يمنعه احد. فعلى سبيل المثال ، عقدنا مؤخرا اجتماعا لاعضاء فرعنا في الحزب الاشتراكي المجري ، حضره ممثلون عن حزب العمال الاشتراكي المجري . اكان علينا ان نطردهم من القاعة؟ ام انه من الافضل الدخول في حوار معهم ؟ اعتقد ان الطرح الثاني هو الامثل.

ولكن ليس الجميع يؤيدون هذا الرأي. فعلى سبيل المثال ، كان رد الفعل عاصفا في صحيفة "نيبسابادشاغ" على اقدام احدى اللجان المنطقية للحزب الاشتراكي المجري في بودابست على تخصيص مقر لمنظمة حزب العمال الاشتراكي المجري . واعلن سكرتير حزبي في احدى المدن ،وهو بالمناسبة لا ينتمي الى اي منبر ، انه يفضل الانتقال الى مبنى اصغر ، على اقتسام المبنى مع حزب العمال الاشتراكي المجري. وكما نرى ، الموقف ليس واحدا من حزب العمال الاشتراكي المجري المجدد.

- ربما كان ينبغي عدم استئناف نشاطه ما دام البعض يرى ان ذلك يلحق الضرر بالحركة اليسارية؟

- اعتقد انكم لستم على حق ، على الرغم من ان الكثيرين يوافقون على هذا الرأي. ففي ظروف التعددية الحزبية ، التي يؤكدها الدستور والقانون ، لكل منظمة سياسية الحق في الوجود.

- المسألة الاخرى هي: هل كان من الصحيح الغاء الحزب في المؤتمر بالذات؟ ينبغي القول ان انصار اتحاد الاصلاحات ارتكبوا خطأ كبيرا عندما امتنعوا عن تسمية مؤتمر تشرين الاول المؤتمر الرابع عشر. وقد مكن هذا اتباع حزب العمال الاشتراكي المجري من الدعوة للمؤتمر الدوري الرابع عشر للحزب في كانون الاول ١٩٨٩ . الخطأ الاخر هو عدم اتخاذ قرارات ملموسة حول وقف نشاط حزب العمال الاشتراكي المجري وهيئاته القيادية.

ان اغلبية المندوبين تعتبر حتى الان انه كان لدينا تفويض مفتوح ، ولذا فان قرار المؤتمر حول الحزب الاشتراكي المجري صحيح . وربما هذا صحيح من الناحية القانونية.

ولكن عندما تحدثت بعد المؤتمر في المنظمات القاعدية ، سألني الكثيرون: الا يؤنبني ضميري عما فعلت؟ وقيل لي: نحن لم نفوضك اتخاذ هذا القرار. ولذا ظهر لدى مئات الالاف من اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري شعور بالاساءة ، وربما حتى بالاهانة ، لان الحزب اختار طريقه دون ان يتشاور معهم . واعلن انه لم تعجبهم

Digitized by Birzeit University Library

الكلمات التي ترددت كثيرا في المؤتمر: الحزب الاشتراكي المجري لن يأخذ التراث السياسي لحزب العمال الاشتراكي المجري السابق ، ولكنه يعتبر نفسه وريثا لمتلكاته.

والان ، بعد ان اعيد تشكيل حزب العمال الاشتراكي المجري ، من الطبيعي ان تنشأ مسائل مادية ، سوف تحل بالطرق القانونية ، بالطبع. ولكن اود ان اشير ، بالمناسبة ، الى انه على الرغم من ان الدستور كان يؤكد الدور القيادي لحزب العمال الاشتراكي المجري ، فان الحزب نفسه لم يكن مسجلا في اي مكان . (ربما لانه كان الحزب الوحيد في البلاد؟) . لا يمكن تصور مثل هذا الوضع في الغرب.

- ان منبركم هو: فرع الاشتراكيين اليساريين . ماذا تعنون بمفهوم "اليساريين"؟

- قبل كل شيء انه الاخلاص لافكار الاشتراكية ، لروح الماركسية . واعتبر ايضا حزبا يساريا الحزب الذي يقوم على مباديء الجماعية والمعبر عن ارادة الشغيلة.

يبدو لي انه يجري الان التلاعب بهذه المفاهيم في الاتحاد السوفييتي ايضا ، على حد علمي. لقد قال احد الزعماء السياسيين للحزب الاشتراكي المجري ، مثلا ، وانا اعترف بان هذا تعبير موفق: ان من هم على يساري ، يمينيون بالنسبة لي. فكثيرا جدا ما يعتبرون عندنا الليبرالية هي اليسارية بعينها ، ويعتقدون ان كل دكتاتورية انما هي مصطلح يميني ، وانه كلما كان المجتمع اكثر ليبرالية ، كان اكثر يسارية . في هذه الحالة يتعين اعتبار اليعاقبة يمينيين ، والسيدة تاتشر يسارية ، وان حزب العمال البريطاني يقف على يمينها . اعتقد انه ينبغي استخدام هذه المفاهيم بالمعنى الاوروبي للكلمة . وعلى الرغم من ان الدكتاتورية تنزلق عاجلا ام اجلا ، مهما كان هذا سخزنا ، الى مواقع الارهاب اليعقوبي او الستاليني ، فانه ينبغي مع ذلك التفريق بين الدكتاتورية الثورية ودكتاتورية الثورة المضادة. ويسعى البعض الان الى ازالة الفوارق بينهما . فيجري التخفيف من دكتاتورية هورثي بالمقارنة مع المبالغة في وصف مرحلة ما بعد عام ١٩٥٦ ، التي كانت بمثابة عملية قضاء على ارهاب الثورة المضادة . ان مهمة القوى اليسارية ، في رأينا ، هي وضع الامور في نصابها ، ولكن هذه ، للاسف ، مسألة في غاية الصعوبة.

- يقولون ان المجريين اصبحوا غير مبالين بالسياسة ، فضلا عن انهم يتخذون موقفا سلبيا من كل ما هو "اشتراكي" . كيف ترون مستقبل المجر في العام او العامين القادمين؟

- ابدأ بالقسم الثاني من السؤال . ربما ستصبح بلادنا غير قابلة للتحكم بها من الناحية السياسية ، اذا ما توزعت الاصوات بصورة متساوية بين الاحزاب بعد الانتخابات البرلمانية .ولكن في ميدان الاقتصاد سيبقى الاستقرار قائما في كل الاحوال . حتى انني اعتقد ان المجر ستستفيد من وجود حكومة اكثر يمينية ،مما لو كانت هذه الحكومة الى جانبنا . وهي ستلجأ الى طرق دكتاتورية ، بالطبع ، بهدف الدفاع عن نظام تعدد الاحزاب والديموقراطية . وهنا ايضا ، كما يبدو لي ، ليس ثمة طريق اخر ، لان الحكومة في اعتقادي ينبغي ان تكون مستقلة عن البرلمان الى حد اكبر ، لكي تتمكن من تحقيق برنامجها بصورة فاعلة.

اما بالنسبة للقسم الاول من السؤال ، فان ما يميز اغلبية السكان هو بالدرجة الاولى الشعور بخيبة الامل واللامبالاة السياسية . ومن الصعب جدا التنبؤ بالاتجاه الذي سيسلكه السواد الاعظم من الشعب الباقي في وضع لا مبال قبل

Digitized by Birzeit University Library

الانتخابات وبعدها. وللاسف ، لا تزال ماثلة حتى الان اثار الحملة التي شنت قبل اكثر من ٤٠ عاما ضد الشيوعيين . ويمكنكم التأكد من ذلك اليوم من برامج التلفزيون والاذاعة . واعتقد انه حتى لوفتح المرء حنفية الماء لسمع شيئا ما معاديا للشيوعية . هذه مزحة بالطبع ، ولكن لو تكلمنا بصورة جادة لأمكن القول ان القوى اليمينية قامت بالفعل بعمل تنظيمي ماثل خلال اعادة دفن رفات امر ناج ورفاقه في حزيران ١٩٨٩ . لقد ترددت نداءات مباشرة لمواصلة "ثورة عام ١٩٥٦" ، وتهجمات عنيفة ومهينة ضد الاتحاد السوفييتي وحزب العمال الاشتراكي المجري ،وجميع الذين كانوا الى الجانب الاخر من المتراس. وحصلت مقاومة شرسة مماثلة بعد عدة اسابيع من ذلك ، بعد وفاة يانوش كادار . ولكن على الرغم من ذلك جاءت مئات الالاف من الناس بصورة عفوية واندفاعة واحدة لوداع الانسان ، الذي قاد حزب العمال الاشتراكي المجري خلال ثلاثة عقود ، واقترنت هذه الحقبة من تاريخ المجر باسمه.

ولنحلل نتائج الاستفتاء الشعبي العام الذي جرى مؤخرا. لقد دعا المؤتمر الديموقراطي المجري - القوة الرئيسية للمعارضة - الى مقاطعة هذا الاستفتاء ، ولكنه اصيب بالهزيمة . ودعا الحزب الاشتراكي المجري الى الاجابة ب "لا" عن السؤال الاول فقط. ولكنه خسر امام المجموعتين المعارضتين الاخريين ، القليلتي العدد ، بالمناسبة اي اتحاد الديموقراطيين الاحرار واتحاد الديموقراطيين الشباب. بيد ان الفارق في الاصوات كان لا يزيد عن الستة الاف.

ان القضية تكمن كذلك في ان الناس الذين عاشوا في ظروف نمو رفاهية البلاد ، قد شابوا - فاغلبيتهم من المتقاعدين . ان مستوى المعيشة في اوائل الستينات بدا امرا طبيعيا بالنسبة للذين ولدوا في تلك الفترة . ولكن الشقة والاجر الجيد كانا لدى ابائهم ، وليس لديهم . وعندما بلغ الشباب سن الرشد ، كانت البلاد قد دخلت الازمة الاقتصادية . فالمداخيل الفعلية انخفضت من عام الى عام ، وامكانية الحصول على السكر وعلى عمل عالي الاجر ، غدت حلما بعيد المنال. وكان يربط ذلك كله في الغالب بصورة مباشرة بنشاط حزب العمال الاشتراكي المجري الحاكم انذاك . اما الاحاديث عن الرفاهية السابقة فكانت تعتبر في الغالب مجرد حكايات او احداث تعود الى عصر الاجتياح التتري. ولذا فان هذه النكات التي تصدر عن السكان ، وخصوصا عمن تتراوح اعمارهم بين العشرين والثلاثين ، تتخذ مواقف سلبية من النظام المسمى "اشتراكيا". لانه غير قادر على ان يؤمن لا ظروفا ملائمة للمعيشة ، مماثلة للظروف التي يعرفونها ، ليس من الصحف والمجلات وبرامج الاذاعة والتلفزيون فحسب ، بل ايضا من خلال اسفارهم الحرة الى النمسا المجاورة ، مثلا ، والى البلدان الاخرى ، للاطلاع على العالم.

- حدثونا ، في الختام ، من فضلكم عن حياتكم في الحزب.

- انتسبت الى الحزب الشيوعي المجري عام ١٩٤٥ . (وقد غير اسمه مرات عدة في ذلك الحين) . وشاركت في نشاطه ، كما تفعل الاغلبية حتى الان: كنت اكتفي بمراقبة الاحداث ، والخط القيادي للحزب . منذ عام ١٩٥٤ اخذت اعارض الكثير من الامور ، التي لم تعجبني في حياة الحزب ، وتلقيت تأنيبا لقاء ذلك ، لكنه الغي فيما بعد. وعموما ، كنت ادعم نشاط امري ناج. ولكن مع اقتراب عام ١٩٥٦ ترسخت لدي قناعة بانه لن يتمكن من مواصلة سياسة الاصلاحات نظرا للين عريكته وانعدام الصفات التنظيمية لديه وحسن ظنه المفرط.

بعد عام ١٩٥٦ شاركت في انشاء حزب العمال الاشتراكي المجري وكنت سكرتيرا

Digitized by Birzeit University Library

لاحدى منظماته القاعدية .وبوصفي اقتصاديا اعددت اصلاح عام ١٩٦٨ ، ومن ثم عملت بنشاط من اجل تطبيقه . وكنت انذاك ، كما هي حالي الان ، اعمل في معهد الاقتصاد التابع لاكاديمية العلوم المجرية.

وباختصار ، جعلتني الحياة في صفوف اليمينيين احيانا (في الكونفرنس الحزبي) ، واحيانا في الوسط ، اما اليوم فانا في صفوف اليسار.

- اذن ، لقد اجتزتم الطريق من شيوعي الى اشتراكي؟

- لا ازال حتى الان اعتبر نفسي شيوعيا. وكانت لدي بسبب ذلك مصاعب سواء في الحزب الشيوعي او حزب الشغيلة المجري او حزب العمال الاشتراكي المجري ، ويبدو انني ساواجهها في الحزب الاشتراكي المجري ايضا. ولكنني لن اغير قناعاتي ونظرتي الى العالم . فقد كنت وابقى ماركسيا بافضل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معان.

Digitized by Birzeit University Library

الصين

عشر سنوات على الاصلاح الاقتصادي في الصين

ان التناقض الاساسي بين المصاعب والمعضلات الشديدة التنوع التي يعانيها اصلاح الاقتصاد الصيني في الوقت الراهن، يتمثل في النزاع بين النظامين القديم والجديد للتسيير الاقتصادي.

ما هي نتائج عقد من الاصلاح الاقتصادي في جمهورية الصين الشعبية ؟ استجابة لرجاء مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" يجيب عن هذا السؤال مشكورا اقتصاديون صينيون كبار هم: لو يوانتشان بروفيسور معهد الاقتصاد في بكين، نائب رئيس الجمعية الدولية للعلوم الاقتصادية، ولي غوانيان الباحث من الدائرة العليا في دائرة الاحصاءات الحكومية في الصين وسيان سون البروفيسور والمساعد في معهد الادارة التابع للجامعة العلمية ـ التقنية في الصين.

يمكن الحديث عن ثلاث مراحل رئيسية من الاصلاح الاقتصادي في الصين. في المرحلة الاولى (نهاية ١٩٧٨ـ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٤) تركز الاهتمام الرئيسي على الزراعة، في المرحلة الثانية (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٤ ـ ايلول/ سبتمبر ١٩٨٨) ـ تركز الاهتمام على المدينة، اما المرحلة الثالثة التي بدأت منذ ايلول ١٩٨٨ فتتسم بالتعميق الشامل للاصلاح من خلال تنقية الميدان الاقتصادي وضبطه.

اصلاح الريف

جرت التحولات في الريف في ثلاثة اتجاهات. اولا، ادخلت المقاولة العائلية التي حلت مكان الكومونات الشعبية التي ظلت قائمة في الصين خلال فترة طويلة. ابتداء من عام ١٩٥٨. وقد كانت الكومونات، الى جانب الشكلين الاخرين من الفرق الانتاجية، تشكل نظام الوحدة الاجتماعية ـ السياسية. ولكن هذا النظام لم يكن يتفق مع مستوى تطور الزراعة التي كان العمل اليدوي لا يزال سائدا فيها، ولم يساهم في حفز النشاط الانتاجي لسكان الريف. وفي خريف عام ١٩٧٨ طالبت ١٨ عائلة فلاحية في الفرقة الانتاجية في سياوشوان (مقاطعة انخوي)، بتقسيم الارض ومنحها للعائلات على اساس

Digitized by Birzeit University Library

التأجير. وكانت هذه البادرة هي الاولى للاصلاح الزراعي اللاحق، الذي عم البلاد كلها، وساهم في اطلاق الطاقات المكبلة للعائلات الفلاحية، وشكل حافزا قويا لتطور القوى المنتجة. وسرعان ما عمت الصين كلها شتى اشكال المقاولة على اساس الاستئجار.

ولا شك في ان السياسة الجديدة لاسعار شراء المنتجات الزراعية اضطلعت بدور حافز. فقد ارتفعت هذه الاسعار. ومن جهة اخرى، طرأ تغيير على نظام البيع والشراء المركزيين، فاصبح بامكان الفلاح، بعد تنفيذ التزاماته، بيع الفوائض في السوق الحرة. وبدأ تشجيع التنويع في النشاط الاقتصادي، ومنحت تسهيلات معينة للمؤسسات الريفية والاستثمارات العائلية المتخصصة، وتطور الاقتصاد السلعي في الريف على نحو شامل.

وقد بدأ في تلك المرحلة تطبيق بعض الاصلاحات بصورة انتقائية في المدينة ايضا. وفي موازاة التجارب الشاملة جرى، في اطار الاختبار، تطبيق اصلاحات معينة في التخطيط والتوظيفات والسياسة المالية والتداول النقدي وسياسة الاسعار والتجارة، بما فيه التجارة الخارجية، وفي الميادين الاخرى.

لماذا تؤرخ بداية المرحلة الثانية بتشرين الاول ١٩٨٤؟ في ذلك الحين بالذات اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني "قرارا حول اصلاح النظام الاقتصادي". وقد اكدت الوثيقة بوضوح: ان الاقتصاد الاشتراكي في الصين هو اقتصاد سلعي مبرمج يقوم على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ويشكل تعزيز قدرة المؤسسات على الحياة، الحلقة المحورية لاصلاح النظام الاقتصادي، هذا الاصلاح الذي يكمن مفتاح نجاحه في اصلاح نظام الاسعار، وكذلك في تقسيم الوظائف السياسية والادارية، وفي التطوير الصحيح للطابع والاتجاه والمهمات والنهج الاساسي والسياسة مع اعادة النظر في الوظائف الادارية للجهاز الحكومي. كل ذلك يدل على ان الاصلاح الاقتصادي في الصين دخل مرحلة جديدة.

فما هي خاصية هذه المرحلة؟ لقد جرى التركيز على اصلاح الانتاج والنقل وميدان التوزيع. ليس هذا وحده فحسب. فقد جرت الاصلاحات الاولى في التخطيط والضرائب والتداول النقدي وسياسة الاسعار والعمل والاجور والتجارة الخارجية والتأمين المادي، الخ. وجرى في الوقت نفسه في الريف ايضا تنظيم البنية الانتاجية وتهيئة الظروف لتطوير الاقتصاد السلعي.

واخيرا، المرحلة الثالثة. في ايلول ١٩٨٨، بعد ان عمم الاجتماع الكامل الثالث للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في فترتها القانونية الثالثة عشرة تجربة عشر سنوات من الاصلاح وحلل الوضع الاقتصادي في البلاد، طرح نهج "تنقية الوضع الاقتصادي وتنظيم الاقتصاد والتعميق الشامل للاصلاح" المخصص لمدة عامين او لفترة اطول. فعلى امتداد عدة سنوات جرى ارتفاع كبير نسبيا في الاسعار، اما التضخم فبلغ ١٨٫٥ في المئة عام ١٩٨٨، الامر الذي عكس مجموعة كاملة من المعضلات الناشئة في السنوات الاخيرة: الزيادة غير المدروسة في التوظيفات، الطفرة الاستهلاكية، الاصدار المفرط للاوراق النقدية، وغيرها. وقد كانت اسباب ذلك تكمن بصورة اساسية في ان العديد من بنى النظام القديم لم تعد تضطلع باي دور، في حين ان البنى الجديدة لم تكن قد نشأت بعد. وفضلا عن ذلك ارتكبت في عمل الحكومة اخطاء، ادت الى تفاقم الوضع الاقتصادي. ولم يكن تنظيم الوضع يعني تعليق الاصلاح، بل دفعه الى الامام بوتيرة اسرع.

مسار اعادة بناء الاقتصاد في الصين ونجاحاتها

Digitized by Birzeit University Library

لقد بدأ الاصلاح الاقتصادي الشامل في الصين من الريف. وقد تجلت التحولات هنا بالدرجة الاولى في "المقاولة العائلية"، التي انتشرت على نطاق واسع. فعدت اشبه بلب التحولات، وعلى اساسها بالذات جرى العمل للتنظيم اللاحق لبنية الانتاج الزراعي والتطوير الشامل للاقتصاد السلعي. ونتيجة لهذه الخطوات جرت تحولات تاريخية في سيماء الريف الصيني. وسنتحدث الان بشيء من التفصيل عن التدابير المذكورة.

المقاولة العائلية. انها تجديد مهم مارس اعمق تأثير في اعادة البناء عموما. فما هو الجوهر الفعلي لهذا العمل وما الذي قدمه لابناء الريف؟ لقد جرت المحاولات الاولى للتوفيق بين مصالح الفلاح والجماعة. ومنح كل فرد امكانية الاثراء. وجرى ايقاظ نشاط الفلاحين وارساء اساس لاصلاح الريف الشامل. وقد انتقل حتى الان ٩٨ في المئة من الاستثمارات الفلاحية، ويبلغ عددها في الصين ١٨٠ مليونا الى المقاولة العائلية.

اسعار شراء المنتجات الزراعية. لقد جرى رفعها بنسبة كبيرة، علما بان ذلك حصل مرتين، حيث ارتفعت بنسبة ٢٠ر١ في المئة في عام ١٩٧٩، وبنسبة ٨ر١ في المئة في عام ١٩٨٠. وما لبثت النتائج ان ظهرت: فقد ارتفعت مداخيل الفلاحين خلال العامين المذكورين بمقدار ٤٦ مليار يوان. وابتداء من عام ١٩٨٥ تزايدت حرية الفلاحين في مسائل تحديد اسعار منتجاتهم الزراعية الخاصة (باستثناء الحبوب والزيوت النباتية). وصفي في الوقت نفسه النظام المركزي لشراء وتوزيع منتجات الصناعات الزراعية الاضافية. وصار يطبق مبدأ احترام حق الفلاح في السيادة، حيث اصبح بامكانه الان، بعد تنفيذ التسليمات الالزامية بموجب التخطيط للدولة، التصرف بالفوائض المتبقية لديه على هواه. وثمة حافز اخر، فالضريبة العينية في السابق صارت تجبى نقدا.

اصلاح البنية التنظيمية للريف. يتلخص جوهره في التخلي عن الكومونات الشعبية المعتمدة على مبادىء "الملكية المثلثة الدرجات لوسائل الانتاج، القائمة على الفرقة الانتاجية" و "الوحدة السياسية الاجتماعية"، وفي استعادة هيئات السلطة السياسية في الريف، وفي الجمع المطرد بين مصالح الفرد والجماعة، وفي تهيئة الظروف الضرورية لتطوير الاقتصادي السلعي.

كل هذه التدابير المطبقة في الواقع عجلت تطور الانتاج الزراعي، واخرجته من مرحلة الانحطاط المتفاقم الطويلة. وقد ظلت وتائر النمو في الزراعة في السنوات الاخيرة على مستوى واحد تقريبا، مشكلة حوالي ٦ في المئة سنويا، اي اعلى بمرتين تقريبا من مؤشرات سنوات ما قبل الاصلاح الثماني والعشرين. وابتداء من عام ١٩٨٤ تمكن الفلاحون الصينيون الذين يملكون ٧ في المئة فقط من الاراضي الزراعية في العالم، من حل قضية تأمين الاغذية والالبسة لعشرين في المئة من سكان الكوكب وهذه ظاهرة فريدة، لا مثيل لها.

التنظيم البنيوي للانتاج الزراعي، التطوير الشامل للاقتصاد السلعي في الريف. اضافة الى سلسلة كاملة من التدابير السياسية خصصت الدولة كمية معينة من القروض والاموال لدعم المؤسسات القروية والريفية ومؤسسات الصناعة الثانية والثالثة، مساهمة بذلك في تطوير الاستثمارات المتخصصة والاتحادات الاقتصادية، وحافزة اقتصاد الريف للسير تدريجيا على طريق التخصص والتجارة. وجرت تغيرات ملحوظة في البنية الانتاجية للريف، فارتفعت حصة المنتجات غير الزراعية في اجمالي ناتجه الاجتماعي الى ٤٠٪ تقريبا، وبلغت النسبة السلعية (اي كمية السلع المعروضة للبيع) من المنتجات الزراعية والصناعية حوالي ٧٠٪.

Digitized by Birzeit University Library

الاصلاح في المدينة

ان النظام السلعي المبرمج والنظام الجديد في الاقتصاد هما النموذج الهادف للاصلاح. وعملية اقامتهما طويلةوصعبة. ومع ذلك، فعلى الرغم من المعضلات البالغة الجدية، ادت عشر سنوات من التحولات الشاملة الى عدد من التغيرات الجوهرية في هيكل النظام الاقتصادي لبلادنا.

وتعزز بصورة ملحوظة دور آلية السوق، واخذ النموذج السابق الممركز بصورة شديدة، المتحجر والمغلق للاقتصاد يتحول في الاتجاه الذي يعرف بمفهوم "الدولة تضبط السوق، والسوق توجه المؤسسات".

وتتطور على مرأى من الجميع في الصين سوق السلع الاستهلاكية - فرفوف المتاجر في المدن والريف تشكل لوحة للازدهار. ووفقا للاحصاءات كان في الصين عام ١٩٨٧ ما يزيد على ٢٢٠٠ مركز تجاري واكثر من ٦٠ الف سوق شعبية في المدينة والريف. وسجلت في الشبكة التجارية حوالي ١٦ مليون نقطة، من بينها ٩ ملايين و ٨٠ الف نقطة خاصة.

وتتكون بصورة تدريجية سوق الخامات الانتاجية. اذ ثمة الان في اكثر من ١٥٠ مدينة كبيرة ومتوسطة اسواق للاسمنت والاخشاب والفحم والمعدات الكهربائية والمنتجات الفولاذية. واكثر من نصفها عبارة عن خامات انتاجية مهمة تقدمها الدولة.

وتتم اعادة بناء النظام العلمي - التقني وتتطور السوق التقنية. وفي عام ١٩٨٧ وحده بلغ حجم التجارة بالمعدات في البلاد ٣٫٤ مليارات يوان.

وتجري اعادة بناء نظام استئجار اليد العاملة، وتنشط بورصة العمل. ففي نهاية عام ١٩٨٧ كان في الصين ٧ ملايين و ٢٦٠ الف عامل مسجلين وفق عقود جديدة، اما تنقل الكوادر فبلغ في العام نفسه ١٧٠ الفا فقط. والاتجاه الاخر للاصلاحات هو تحويل نظام التداول النقدي وحفز سوق اموال الارصدة. ففي عام ١٩٨٧ نفسه منحت في سوق اموال الارصدة القصيرة الاجل قروض تزيد على ٢٤ مليون يوان، وتم اصدار اوراق نقدية بما قيمته اكثر من مليار يوان.

واخيرا، تجري بصورة تدريجية تجارة العقارات ويتسع بيع الشقق وتتعالى وتيرة عملية اضفاء طابع خاص عليها.

وحتى الان تقلصت تشكيلة المنتجات الصناعية الواقعة تحت رقابة الدولة الاوامرية - التخطيطية، خلال البضع سنوات الاخيرة فقط من ٢٥٩ الى ٢٦ نوعا، اما لائحة السلع فتقلصت من ١٨٨ الى ٢٣ سلعة. وبالنسبة لتمويل منشآت البناء الاساسي. فقد منحت الهيئات المحلية حق اقرار التوظيف بنفسها.

ويجري اصلاح نظام الادارة المالية - الضريبية، ويتعزز الدور المنظم للروافع الاقتصادية. وتنبغي الاشارة هنا الى امرين:

الاول. في ميدان التوزيع المالي جرى ابدال مبدأ "الجباية المركزية للضرائب" السابق ب"مسؤولية متدرجة"، ومن ثم رفع النشاط المالي على الصعيد المحلي. وفي عام ١٩٨٥ جرى تطوير مطرد لنظام "الفصل بين الضرائب حسب الانواع، واقرار المداخيل والنفقات، والمسؤولية المتدرجة". المبنية على اساس "تقاسم التغذية" بين المركز والاطراف.

الثاني. لقد جعل ادخال ضريبة الارباح، ذات المرحلتين، العلاقات بين الدولة والمؤسسات اكثر وضوحا، فمنذ حزيران ١٩٨٣، الى جانب الممارسة المتبعة السابقة بتسليم المستقطعات الضريبية والارباح الى خزينة الدولة، طبقت على مؤسسات الدولة المرحلة الاولى من ضريبة الارباح. وفي تشرين الثاني ١٩٨٤ بدأ تطبيق

Digitized by Birzeit University Library

المرحلة الثانية، حيث بدأت المؤسسات، عوضا عن الارباح، تدفع للدولة ضريبة منظمة. وفي الوقت نفسه فرضت ضرائب جديدة - على الغلاء وعلى رأس المال وعلى البناء، الخ.

وتفيد الاحصاءات ان حصة المؤسسات العائدة للملكية الشعبية العامة في اجمالي الناتج الصناعي للبلاد انخفضت بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٧ من ٨ر٨٠ في المئة الى ٧ر٦٩ في المئة، اما حصة الاقتصاد الفردي الخاص والمؤسسات المختلطة والاجنبية فارتفعت من الصفر عمليا الى ٢ر٤ في المئة. وفي اطار الشكل الاجتماعي للملكية اجريت ايضا عمليات الفصل بين حق الملكية وحق الادارة، وادخلت اشكال مرنة متنوعة للادارة، كالمقاولة والاستئجار وغيرها، وطبق نظام الاسهم على سبيل التجريب.

ووسعت الحكومة حقوق المزودين بالمواد الاولية من اجل ان تتوجه نحو المنتجين ومسيري الانتاج. وادى تطبيق هذه السياسة الليبرالية خلال عدة سنوات الى استقلالية المؤسسات والمبادرة الاقتصادية في جميع الجوانب: المالية، المادية، الكادرية، التخطيطية والتسويقية، الخ. ولوحظ انتعاش واضح في نشاطها. فعلى سبيل المثال، ارتفعت نسبة الارباح التي ابقيت لدى المؤسسات لتلبية حاجاتها، من ٣ر٧ في المئة عام ١٩٧٨، الى اكثر من ٤٠ في المئة عام ١٩٨٧، وبلغ عدد العمال المستأجرين على اساس عقود العمل ٦ر٨ ملايين انسان. وخلال النصف الاول من عام ١٩٨٧ انتقل ٩ر٦٣ في المئة من المؤسسات الكبيرة والمتوسطة الى نظام مسؤولية المديرين، واخذ اكثر من ٩٠ في المئة من مؤسسات الدولة يطبق هذا الشكل او ذاك من مسؤولية المقاولة.

وتعميما لكل ما سبق يمكن القول ان عشرة اعوام من الاصلاحات لم تغن النظرية الاقتصادية للماركسية فحسب، بل ومارست تأثيرا عميقا ايضا في ممارسة بناء اقتصاد الصين. فالمقارنة القيمية بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٨ تبين: ان اجمالي الناتج الاجتماعي ارتفع ٥ر٣ مرات مع نمو سنوي بنسبة ٥ر٩ في المئة، وارتفع الدخل الوطني ٤ر٣ مرات مع نمو سنوي بنسبة ١ر٩ في المئة. ومن الناحية القيمية الفعلية ارتفعت مداخيل سكان المدن والريف بمقدار ٥ر٤ مرات في المتوسط، حيث بلغ النمو السنوي ٥ر١٣ في المئة. وارتفعت مداخيل الفلاحين الصافية بمقدار ٥ مرات، اي بنسبة ١٥ في المئة سنويا، ونمت مدخرات السكان بمقدار ١٩ مرة، وبلغ معدل النمو السنوي ٦ر٣٣ في المئة. وهكذا، **ثمة كل المسوغات للتأكيد بان عقد الاصلاحات - انما هو فترة من التطور الاكثر استقرارا وحيوية في الاقتصاد الصيني منذ قيام جمهورية الصين الشعبية.**

تناقضات اعادة البناء ومصاعبها

ان التناقض الاساسي بين المصاعب والمعضلات الشديدة التنوع، التي يعيشها اصلاح الاقتصاد الصيني في الوقت الراهن، يتمثل في النزاع بين النظامين القديم والجديد للتسيير الاقتصادي. اذ تنعدم لديه امكانية مواصلة الاعتماد على الادارة الاوامرية - الايعازية الصارمة للاقتصاد، وعلى الاستخدام الفعال للطرق الاقتصادية بهدف قيادة النشاط الاقتصادي وضبطه. وما لم تتم ازالة هذا التعارض، فسيكون من الصعب تلافي فترة وجيزة، كما ان ازالة التعارض بين القديم والجديد تفترض بدورها دراسة مسائل غير سهلة وحلها.

- كيف يمكن الجمع بين التنظيم المبرمج وتنظيم السوق؟

ان نموذج النظام الاقتصادي الذي تسعى اليه في الصين هو اقتصاد السوق المبرمج، حيث كما

Digitized by Birzeit University Library

ذكرنا "تنظم الدولة السوق، والسوق توجه المؤسسات". ومن المفترض مرور فترة طويلة نسبيا من التعايش بين التنظيم المبرمج وتنظيم السوق. ولكن كيف يمكن الجمع بين هذين الضابطين؟ ان هذه القضية لا تزال من دون حل حقيقي حتى الان.

اين يكمن العنصر الرئيسي لاعادة البناء؟

تقدم وثائق الحكومة الصينية بشأن الاصلاح الجواب الاتي عن هذا السؤال: في اصلاح الاسعار. على الرغم من ان نظام الاسعار المزدوج المطبق الان، اضطلع بدور ايجابي، فانه سبب قدرا غير قليل من الخسائر، حيث خلق على اساس الفارق في الاسعار ما يشبه "الدفينة"، التي ترعرع فيها المضاربون والمتلاعبون الذين يعيشون على المداخيل غير المشروعة.

ثمة وجهة نظر اخرى في اوساط الاقتصاديين النظريين، مفادها ان العنصر الرئيسي للاصلاحات لا يكمن في الاسعار، بل في شكل الملكية. ويعتقد انصارها انه من دون اصلاح اشكال الملكية يستحيل ادخال آلية الادارة الذاتية للمؤسسات، كما يستحيل تحويلها الى وحدات اقتصادية ذات تمويل ذاتي ومنتجة للسلع، وهذا يعني انه يستحيل تطوير الاقتصاد السلمي المبرمج.

ويعتبر انصار هذا التناول ايضا ان المقاولة التي تطبقها المؤسسات في الوقت الراهن على اساس الفصل بين حق الملكية وحق التسيير الاقتصادي، غير قادرة باي شكل من الاشكال على حل تلك المعضلات التي نواجهها، مثل قصر مدة وجودها، وعدم التناسب بين الحقوق والواجبات. ولذا فان هؤلاء الاقتصاديين يرون المخرج في ادخال نظام الاسهم. صحيح ان نظام الاسهم القائم على قاعدة الملكية الخاصة، يعتبر بالفعل شكلا جيدا للتنظيم الفاعل للنشاط الاقتصادي وتجسيد علاقات الملكية. ومع ذلك، كيف يمكن تطبيقه في الصين التي لا تزال مخلصة للاشتراكية مع ما يتسم به هذا النظام من اولوية للملكية الاجتماعية؟ ما هو الارتباط بين الشكل الاجتماعي للملكية ونظام الاسهم؟ الا يؤدي الشكل الاخير الى انهيار الشكل الاول؟ ان هذه الاسئلة لا تزال تحتاج الى دراسة.

- كيف يتفاعل الاصلاح والتطور؟

يمكن القول، نظريا، ان اعادة البناء تخدم التطور، اما التطور فيحفز اعادة البناء. وكأن كل شيء يسير على ما يرام. اما في الواقع فثمة معضلات كثيرة للاسف. فعلى سبيل المثال، ان "التسخين المفرط" للاقتصاد الملاحظ في السنوات الاخيرة، والطفرتان الاستثمارية والاستهلاكية والتضخم خلقت المصاعب امام تقدم اصلاح الاسعار. ويتكون وضع يعيق فيه تطور القوى المنتجة والظروف الاقتصادية الموضوعية اعادة البناء. كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة التي تتسم بالمفارقة للوهلة الاولى؟ بالضعف النسبي للقوى المنتجة في الصين ووجود اقتصاد يتسم بالنقص الناجم عن حدة الخامات، وبضعف التصورات عن كيفية تطوير الاقتصاد السلعي، والنقص في الخبرة. وكل ذلك يقيد عملية التحولات. وفي الوقت نفسه تلفت النظر في السنوات الاخيرة وقائع مثيرة للقلق، مثل "التسخين المفرط" للاصلاح، وعدم الصبر في الحصول على النتائج، والانفصال عن الوضع الفعلي في البلاد وتجاهل امكاناته العملية. وقد غدت هذه الظاهرات مصدرا لقلق الادارات التي تحدد السياسة المناسبة، ولذا بالذات طرح نهج تنقية اقتصاد الصين وتنظيمه.

- ما هو جوهر العلاقات المتبادلة بين الاصلاحين الاقتصادي والسياسي؟

خلافا للاصلاح الاقتصادي المطبق في الصين منذ اكثر من عشر سنوات، لم يطرح الاصلاح السياسي على جدول الاعمال الا منذ فترة

Digitized by Birzeit University Library

وجيزة، حتى انه يمكن ان ينشأ انطباع بانه "تأخر" بعض الشيء. ومن الواضح بصورة مطلقة الان انه لا يمكن تحقيق النجاح بالانشغال في الشؤون الاقتصادية وحدها ووضع الامور السياسية جانبا. اذ سيكون الناس هم العقبة الاولى على هذا الطريق. وينبغي التفكير جيدا بكيفية الربط بين الجانبين. وتكمن المسالة ايضا في كيفية اجراء الاصلاح السياسي. ان العقبة الرئيسية على طريق الاصلاح السياسي تتمثل الان في محاولات اسقاط قيادة الحزب الشيوعي الصيني والتخلي عن النظام الاشتراكي، واحلال الجمهورية البرجوازية مكان الجمهورية الشعبية الاشتراكية، والاخلال بالطمأنينة والتلاحم في البلاد.

اننا على يقين من انه بقدر انجاز مهمات البناء التي تواجه مجتمعنا سوف تظهر الاشتراكية ذات الخصوصية الصينية، باقناع متزايد، افضلياتها على الرأسمالية.

عن صحيفة «الأهالي» ١٩٩٠/٥/٩

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية، او تدبج من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة بذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاولى وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل، المهنة، والعنوان، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة. علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- "مادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة، وعلى وجه واحد من الورقة، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى: مجلة الكاتب/ ص.ب (٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

• قسيمة اشتراك •

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر مجلة الكاتب.

قيمة اشتراك واحد لمدة ..... على ان ترسل الى العنوان التالي

Name الاسم _____

Adress العنوان _____

City المدينة _____

Country البلد _____

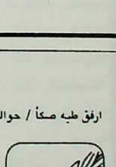

قيمة الاشتراك

للافراد	سنة	للمؤسسات المحلية	٥٠ دولار
الاشتراك المحلي	٣٠ دولار	اوروبا	١٠٠ دولار
اوروبا	٩٠ دولار	بلدان اخرى	١٥٠ دولار
بلدان اخرى	٧٥ دولار		

الاشتراك السنوي

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي

AL - KATEB.P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

● يركضون في شوارع بيت ساحور واصابعهم على الزناد ●

(صورة خاصة بـ «الاتحاد» ـ القدس. تصوير: «نورة»)

والد احد جرحى الحادث الاجرامي في ريشون ليتسيون يقبل راس ولده الجريح.

صورة عن « يديعوت احرونوت »

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

122

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

Digitized by Birzeit University Library